الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة-

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم التاريخ

الإماء وأثرهن في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي

(41ـ 132هـ/ 661ـ 749م)

مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، تخصص:
الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المشرق الإسلامي
(1ـ 132هـ/622ـ 749م)

إعداد الطالب:
عمر بوداود

إشراف الأستاذ الدكتور:
إسماعيل سامعي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د.عمارة علاوة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	رئيسا
أ.د. إسماعيل سامعي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	مشرفا ومقررا
أ.د. محمد فرقاني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	عضوا
أ.د. يوسف عابد	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	عضوا

السنة الجامعية: 1435-1436هـ/2014-2015م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة-

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم التاريخ

الإماء وأثرهن في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي

(41ـ 132هـ/ 661ـ 749م)

مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، تخصص:
الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المشرق الإسلامي
(1ـ 132هـ/622ـ 749م)

إعداد الطالب:
عمر بوداود

إشراف الأستاذ الدكتور:
إسماعيل سامعي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د.عمارة علاوة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	رئيسا
أ.د. إسماعيل سامعي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	مشرفا ومقررا
أ.د. محمد فرقاني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	عضوا
أ.د. يوسف عابد	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة–	عضوا

السنة الجامعية: 1435-1436هـ/2014-2015م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة:

تعد فترة الدولة الأموية، من أصعب الفترات التاريخية للأمة العربية الإسلامية وأعقدها في مجال البحث والدراسة خاصة في شقها الاجتماعي، وقد يكون مرد ذلك أن الذين كتبوا عن تاريخ الدولة الأموية، سواء السياسي، أو الاقتصادي أو الاجتماعي لم يكونوا ممن عاصروها أو عاشوا فيها، إنما كتبوا عنها من خلال المصادر المختلفة، وهي مصادر في الغالب اعتمدت على الروايات الشفوية خاصة الكتاب القدماء، وهنا يمكن أن نضع أكثر من علامة استفهام حول مدى دقة وصحة هذه الروايات ومطابقتها للواقع.

وبما أن الدراسات التاريخية التي تتناول الحياة الاجتماعية لمجتمع ما؛ تُعد من أهم الأبحاث التي تساعد على فهم الكثير من التطورات والتحولات التي حصلت في هذا المجتمع، ومست مختلف مناحي الحياة السياسية منها والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية؛ لارتباط هذه المجالات ببعضها البعض؛ فقد أولى الباحثون اهتماما خاصا بهذه الأبحاث ويعتبر موضوع الإماء من الموضوعات الاجتماعية التي حظيت باهتمام الباحثين، فقد عملوا على إبراز المصادر التي أدت إلى تواجد الإماء في المجتمع الإسلامي مركزين على السبي باعتباره موردا هاما للإماء في هذا العصر لارتباطه بالفتوحات، كما ناقشوا مختلف الأحكام الفقهية المتعلقة بالإماء، من حقوق وواجبات ومعاملة ووضع اجتماعي وقانوني، ولكن هذه الأبحاث والدراسات في الغالب لم تبد اهتماما كبيرا بأثر الإماء في المجتمع الإسلامي خلال العصر الأموي سلبا أو إيجابا واكتفت بشرح الجوانب الفقهية والتشريعية المتعلقة بالإماء، وهو ما يعتبر تجاهلا للأثر الذي تركته في المجتمع الإسلامي خلال هذا العصر خاصة على مستوي الحياة الأسرية، وتهميشا للدور الذي قامت به في عديد المجالات خاصة منها الفنية والأدبية، ومحاولة مني لإبراز هذا الأثر جاء اختياري لهذا الموضوع والموسوم بـ:

"الإماء وأثرهن في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي" (41-132هـ/661-749م)

الجدير بالدراسة والبحث؛ لما له من صلة وطيدة بالتاريخ الاجتماعي للأمة العربية الإسلامية وهي في طور النشأة والتكوين أي دولة حديثة العهد.

أغلب **الكتابات السابقة** تطرقت إلى موضوع الإماء من جانب فقهي وتناولته بالشرح والتحليل وحددت وضعيتها القانونية والحقوق التي منحها الإسلام لها والواجبات المفروضة عليها وعلاقاتها بأسيادها كما تناولت موضوع الزواج بين الأرقاء وبينهم وبين والأحرار...الخ، أو اشارت إليه كعنصر ثانوي عند دراستها للرق والعبودية في المجتمع الإسلامي في هذا العصر بالذات، وبالتالي حسب علمي وما تمكنت من الاطلاع عليه؛ لا توجد دراسات سابقة تناولت موضوع الإماء وأثرهن في العصر الأموي بالبحث والتحليل،

فمثلا صدر في سنة 2001م، كتاب لفاضل الأنصاري تحت عنوان:**العبودية –الرق والمـرأة بـين الإسـلام الرسولي والإسلام التاريخي–** وقد تضمن هذا الكتاب بابين، الأول خصص للحديث عـن الـرق كعبوديـة استرقاق عامة، والثاني تناول عبودية المرأة في الإسلام، وما يلاحظ على هذا الكتاب أن صاحبه متحامل كثيرا على الخلافة الأموية والعباسية؛ ويتمهما بتوظيف الدين لأغراض سياسية، وكل ما ورد في هذا الكتـاب مـن حديث عن عبودية المرأة في العصر الأموي، لا يعدو أن يكون مجرد إشارات مقتضبة، واتهامات ونقـد لاذع لسياسة الدولة الأموية وخلفائها.

أما كتاب "**الرق ماضيه وحاضره**" لعبد السلام الترمانيني، فقد تناول فيه موضـوع الـرق في الماضـي والحاضر مركزا على دوافع ومصادر الاسترقاق قبل الإسلام وبعده وحياة الرقيق وطـرق معاملتـهم قـديما وحديثا، وخصص فيه مبحثا للحديث عن تأثير الأرقاء في المجتمعات القديمة، من خلال المرأة تناول فيه بشـيء من الاختصار تأثير المرأة المسترقة في المجتمع الإسلامي بصفة عامة دون تخصيص عصر بذاته.

هذا بالإضافة إلى العديد الكتب والمقالات وجميعها تناولت موضوع الرق والعبودية بصـفة عامـة، مركزة في أغلب الأحيان على المقارنة بين أوضاع الرقيق في المجتمع الإسلامي خلال العصر الوسيط والمجتمعات الأخرى سواء التي سبقته أو عاصرته.

وأما **دوافع** اختيار الموضوع فمنها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي، فأما الدوافع الذاتية فمنها ميلي للكتابة في التاريخ العربي الإسلامي بصفة عامة وتاريخ الدولة الأموية بصفة خاصة، وهذا للغموض الذي مازال يكتنف تاريخ هذه الدولة خاصة في جانبه الاجتماعي من جهة، ومن جهة أخرى نقص الأبحاث والدراسـات المتخصصة التي تناولت الحياة الاجتماعية للدولة الأموية، مقارنة بما كتب عنها في المجال السياسي.

وقد ازدادت رغبتي في الكتابة أكثر بعد دراستنا النظرية لفترة صدر الإسلام والدولة الأموية، حيـث بدى لي أن التاريخ الاجتماعي للدولة الأموية مازال في حاجة إلى دراسة وبحث لبعث الروح فيه مجـددا، لمـا يتضمنه من مبادئ سامية وقيم نبيلة وأخلاق فاضلة وصفات حميدة، أهمها النبل والشرف والاعتـزاز برمـوز الهوية الوطنية– العروبة والإسلام–والتسامح وقدرة أفراد المجتمع على التعايش فيما بينهم في وطن واحد رغـم اختلاف منازلهم (عبيد، وأسياد)، وأعراقهم ومشاربهم ودياناتهم (عرب، موالي، يهود، مسحيين، مسـلمين) وهي مبادئ وقيم نحن في أمس الحاجة اليها اليوم لتوحيد الصفوف وشحذ الهمم.

وأما الدوافع الموضوعية فمنها على وجه الخصوص قلة الأبحاث التي تناولت موضوع المرأة المسترقة في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي، وعالجت موضوع الأمة كفرد في المجتمع الإسلامي يعيش حالة استثنائية ألا

وهي حالة الرق والعبودية، لأن مثل هذه الدارسات والأبحاث تمكن من وضع صورة للمجتمع تساعد على فهم الكثير من الأحكام والممارسات الخاصة بالإماء خلال العصر الأموي، فمثلا مازال بعض الناس إلى اليوم ينظرون إلى إباحة الإسلام للتسري بالإماء والتي عرفت انتشارا واسعا في العصر الأموي على أنها دعوة لإشباع الغريزة الذكورية، ومظهر من مظاهر احتقار المسلمين في ذلك العصر للمرأة المسترقة، وهو فهم خاطئ لا يمت إلى الحقيقة في شيء، بالإضافة إلى إبراز تطور أوضاع الإماء في العصر الأموي ومدى تأثيرهن على الأسرة والمجتمع.

وتكمن **أهمية الموضوع** في كونه يتناول دراسة حالة اجتماعية عرفتها كل المجتمعات التي سبقت الإسلام، وهي ظاهرة استرقاق المرأة؛ ويعطي وصفا وتحليلا لأوضاع هذه المرأة في المجتمع الإسلامي خلال العصر الأموي ويبين دور الإسلام في التخفيف عن هذه الفئة وسعيه إلى نقلها من العبودية إلى الحرية بشتى الطرق، وهو إجراء فريد من نوعه لم تعرفه المرأة المسترقة من قبل.

يهدف البحث إلى تبيان مكانة المرأة المسترقة في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي؛ من خلال تبيان التطورات التي عرفتها أوضاع الإماء، كخادمات وسراري وأمهات أولاد ومغنيات وشاعرات ومحظيات عند الخلفاء والأمراء...الخ، ومدى تأثرهن في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي على الأسرة والمجتمع.

كما **يهدف** أيضا إلى وضع صورة للمجتمع الإسلامي في العصر الأموي من خلال دراسة عينة من أفراده ألا وهي المرأة المسترقة، لفهم التشريعات والقوانين والممارسات التي تمت في ذلك العصر والمتعلقة بالإماء، وإدراك أبعادها الاجتماعية ومقاصدها الشرعية ووضعها في إطارها الصحيح وإظهارها على حقيقتها؛ لا كما فسرها الناقمون والمغرضون والمتحاملون على الإسلام والمسلمين قديما وحديثا.

إنّ موضوع الإماء وأثرهن في المجتمع الإسلامي خلال العصر الأموي، يطرح **إشكالا رئيسيا هو**: كيف كانت أوضاع الإماء في العصر الأموي؟ وكيف تمكنت من الولوج إلى البيت العربي ومن ثم إلى الأسرة والمجتمع العربيين وإحداث بعض التغيرات فيهما؟ وهو ما يطرح بدوره بعض التساؤلات الفرعية الأخرى:

1-ماذا يقصد بالإماء؟ وهل هناك فرق بين الرق والعبودية والسبي والإماء؟ وكيف نظرت الشريعة الإسلامية إلى استرقاق المرأة (الإماء)؟ وما الذي قدمته لها مقارنة بالقوانين والتشريعات الأخرى؟

2-ما الأثر الذي تركته الإماء على الحياة الأسرية خلال العصر الأموي، وكيف ساهمت في التحولات والتطورات التي عرفتها الأسرة العربية ومست جوانب هامة فيها؟ وهل كان لهذا الأثر علاقة بالمشاكل الأسرية

التي عرفتها هذه الأسرة، من مشاحنات، وخلافات، وفتور في بعض الأحيان للعلاقات الزوجية... باعتبارهـا مشاكل أسرية موجودة في كل زمان ومكان؟

3-أسهمت الإماء في ظهور وانتشار بعض الظواهر الاجتماعية في المجتمع الإسلامي خلال العصر الأموي سلبا وإيجابا، فما مدى الأثر الذي تركته هذه الظواهر على سلوكات الأفـراد وممارسـاتهم وانتمـائهم العـربي الإسلامي؟

4-عاشت الإماء خلال العصر الأموي في قلب المجتمع الإسلامي، وتعايشت معه وأثرت فيه وتأثرت به، فمـا نوع هذا التأثير والتأثر؟ وما مظاهره وانعكاساته؟

لقد واجهت البحث، **بعض الصعوبات** منها على وجه الخصوص ندرة الدراسات السابقة للموضوع وصعوبة الوصول إلى بعضها، وقلة المعلومات وتشتتها بين المصادر المختلفة، -أدبية، فقهية، تاريخية- وفي بعض الأحيان تضاربها والمبالغة فيها، كما أن المادة المصدرية الخاصة بالعصر الأموي خاصة في الجانب الاجتمـاعي شحيحة لا تتجاوز بعض الإشارات القليلة، وهي في الغالب مأخوذة من مصادر متأخرة لبعض الكتاب الـذين عاشوا بعد العصر الأموي أمثال الجاحظ وابن الجوزي والنوري... وغيرهم من الكتاب والمـؤرخين، وفيهـا تكرار كبير، وهذا ما تطلب الكثير من الصبر والوقت للوصول إليها ومن ثم دراستها وتمحيصـها ومقارنـة بعضها ببعض، وقد كان لتوجيهات ونصائح، وإرشادات، وملاحظات، وتصحيحات، وتصويبات، الأسـتاذ المشرف الأثر الكبير في تذليل الكثير من الصعوبات والتخفيف من حدتها والتغلب عليها في بعض الأحيان.

كما أن اختصاص البحث بالعصر الأموي يطرح إشكالية تتمحور حول طبيعة المادة المصـدرية الـتي تناولت هذا العصر بالذات، والظروف المحيطة بكاتبها ودوافع الكتابة وتوجهات أصحابها وميولاتهم وانتماءاتهم العرقية والمذهبية، وهذا كله يجعل الباحث في حيرة من أمره أمام تضارب المعلومات أحيانا وتداخلـها أحيانـا أخرى، كما يتطلب منه الحيطة والحذر حتى لا ينساق وراء الروايات المتعددة وهـو أمـر في غايـة الأهميـة والصعوبة.

تطلبت دراسة موضوع الإماء الاعتماد على العديد من المصادر والمراجع المتنوعة، وتوظيـف عـدة **مناهج** لمعالجة عمق الإشكال المطروح، ومن بينها **المنهج التاريخي** الذي يسمح بتصوير الحدث بما يمكن مـن ملاحظة التداخل بين المؤثرات المختلفة التي أسفرت عنه ويتطلب احترام السياقات الزمنية في توظيـف المـادة المعرفية المقدمة، وترتيبها زمنيا من الأقدم إلى الأحدث لفهم مختلف التحولات والتطورات الحاصلة والـتي لهـا علاقة بالموضوع، **والمنهج الاستقرائي** الذي يمكن من استقصاء المادة المعرفية المتوفرة وتفكيكهـا واسـتخراج

المعلومات الهامة منها، ثم إعادة بناء المعطيات المتحصل عليها بما يتناسب وخطة الدراسة وموضوعها ومن ثم الإجابة على الإشكال المطروح، كما يمكن الانتقال من الخاص إلى العام، **والمنهج التحليلي** الذي يستعمل في تقصي الأسباب والبحث عن الكوامن للوصول إلى الحقيقة، ويسمح باستخدام العقل في التعامل مع المادة الخبرية، وفهم خلفياتها وأبعادها والعوامل المساهمة في إخراجها بالشكل الذي قدمته المصادر المختلفة، وقد حاولت الإلمام بأطراف الموضوع، وإن كان من الصعوبة بمكان على أي باحث مبتدئ أن يلم بحيثيات الموضوع ويعطيها حقها من الدراسة والتحليل؛ لنقص خبرته وقلة تمرسه، ومع ذلك فقد عملت على أثرائه بما تمكنت منه من معلومات ومعارف.

وللإجابة على الإشكال المطروح والأسئلة الفرعية المتعلقة به تم وضع **خطة للدراسة** مكونة في الأساس من مقدمة وثلاثة فصول، يضم كل فصل مجموعة من العناصر الفرعية، وخاتمة تضمنت ما توصل إليه البحث من نتائج بالإضافة إلى ملاحق وفهارس.

تضمنت **المقدمة**، نبذة مختصرة عن الموضوع وأهميته ودوافع اختياره والأهداف المرجوة من البحث وإشكالية الموضوع والدراسات السابقة له ومنهج البحث والصعوبات التي واجهته، وأما **الفصول** فقد جاءت على النحو الآتي:

الفصل الأول الموسوم "**وضعية الإماء في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي" (41-132هـ/662-749م)**، تناول مفهوم الإماء لغة واصطلاحا والفرق بين الإماء والرقيق والعبيد والسبي ومصادر الإماء في العصر الأموي، العسكرية (السبي)، والاجتماعية (الوراثة)، والاقتصادية (التجارة)، وتطرق إلى أعراق وجنسيات الإماء، ونظرة الشريعة الإسلامية إليهن من خلال المعاملة والحقوق والواجبات.

الفصل الثاني جاء تحت عنوان "**أثر الإماء على الحياة الأسرية في العصر الأموي (41-132هـ/622-749م)** تناول بالبحث والتحليل تأثير الإماء على الأسرة العربية وعلى البيت العربي وكيف تمكنت الإماء من الولوج إلى البيت العربي بطريقين، طريق الأمة التي تشتغل في المنازل والقصور، أو طريق الجارية التي اتخذت للتسري وطلب الولد، كما تم التطرق إلى مجالات التأثير ومظاهره على مستوى الأسرة من زواج مأكل ومشرب وملبس وعلاقات أسرية، وانعكاسات ذلك على الرجل، والمرأة الحرة، والأبناء، والحياة الزوجية.

الفصل الثالث وموضوعه "**أثر الإماء في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي" (41-132هـ/622-749م)**، وتناول التسري والزواج بالإماء وأثرهن في اختلاط النسب العربي وامتزاجه بدماء

أخرى غير عربية من جهة الأم، فقد ظهر الكثير من الأبناء في هذا العصر ينتمون من جهـــة الأم إلى أصـــول بربرية أو فارسية أو رومية، فمثلا يزيد بن الوليد بن عبد الملك أمه فارسية، وأم عرار بن عمر بن شأس زنجيـــة وأم عطية بن سعد بن جنادة العوفي رومية،كما تناول المولدين ونظرة المجتمع إلـــيهم ونفـــوذهم السياســـي والعسكري والعلمي، وإسهامات الإماء في إثراء الفنون والآداب خاصة الشعر والغناء، حيث أدخلت الكـــثير من الألحان الفارسية على الغناء العربي فزادته رونقا وجمالا، وساهمت في ازدهار الشعر الغنائي (الغزل)، وتبيان مساهمة الإماء في انتشار بعض الظواهر السلبية في المجتمع سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كظاهرة اللحن في اللغة وظهور بعض المفاسد كالتهتك وممارسة الرذيلة، وإن كان انتشارها محدودا جدا في هذا العصر.

وخلص العمل **إلى خاتمة** تضمنت ما توصل إليه البحث من نتائج، كما تم تزويد البحث بمجموعة من الملاحق تمثلت في جداول تضمنت أسماء المشاهير من الإماء وأولادهن الذين نبغوا في شتى المجـــالات، ووضـــع فهارس تتعلق بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار، والأعلام، والشعوب والقبائل، والأماكن، تسهل على القارئ البحث في المذكرة.

وفي الختام، أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان للأستاذ/ الدكتور **إسماعيل سامعي**، المشرف علـــى هذه الرسالة على صبره وسعة صدره، فقد منحني الكثير من وقته وجهده وأفادني كثيرا بملاحظاتـــه العلميـــة والمنهجية الدقيقة؛ لقد ألفته مشرفا مقتدرا وحازما غير مجامل ولا متحامل، وأستاذا متمكنا ومتفهما، فجزاه الله عنا خير الجزاء، وإلى جميع الأساتذة الأفاضل الذين سهروا على تعليمنا وتوجيهنا والأخذ بأيـــدينا إلى مجـــال البحث التاريخي.

أرجوا أن أكون قد وفقت في دراسة هذا الموضوع وفي إعطاء صورة حسنة عن الإسلام؛ في موقفه من العبودية بصفة عامة وعبودية المرأة بصفة خاصة، أسأل الله تعالى التوفيق والنجاح إنه ولي ذلك والقادر عليـــه وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

- عرض وتحليل لأهم المصادر والمراجع:

تطلب البحث في موضوع الإماء في العصر الأموي، تنوعا في مصادر المادة الخبريـة، مـن مصـادر تاريخية، وأدبية، وفقهية، وحديث، وتفسير، وسير، وتراجم، وطبقات، وكتب الجغرافيا والفتوح والـرحلات وكتب الأنساب والمعارف العامة...الخ، القديمة منها والحديثة، ومن أهم المصادر والمراجع التي أفادت البحث:

أ-المصادر القديمة:

1-كتب التاريخ العام:

أفادت كتب التاريخ البحث في مختلف مراحله خاصة **كتاب التاريخ** لليعقـوبي أحمـد بـن جعفـر (284هـ/897م)، حيث يبين هذا الكتاب عمليات الفتح والسبي في فارس وبيزنطة، خلال العصر الأموي، وهو ما يعطي تصور الأعداد وأجناس وثقافات النساء اللواتي تم سبيهن وضرب عليهن الرق وبالتالي أصبحن إمـاء وكتاب "**الملوك والرسل**"، للطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، حيث تضمن هذا الكتـاب معلومات قيمة عن الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي و أحجام السبي التي رافقتـها وبالتـالي سـاهم في التعرف على أعراق وجنسيات الإماء، وكتاب "**البداية والنهاية**"، لابن كـثير عمـاد الـدين أبـو الفـداء (ت774هـ/1372م) "**والكامل في التاريخ**"، لابن الأثير عز الدين بن محمد (ت630هـ/1232م)، وكانت الإفادة من هذه الكتب كبيرة خاصة في الفصل الأول، فقد قدمت للبحث بعض المعلومات القيمة المتعلقـة بالإمـاء وعرفت بأعراقهن وانتماءاتهن وثقافاتهن، على الرغم من أن الأرقام التي تضمنتها هذه المصادر فيها الكثير مـن المبالغة والتضخيم، ولكنها تمكن من وضع تصور تقريبي لعمليات السبي الحاصلة في هذا العصر، أمـا كتـاب "**تاريخ الخلفاء**"، للسيوطي جلال الدين عبد الرحمان (ت911هـ/1505م)، فقد احتوي على معلومات كـثيرة تتعلق بحياة خلفاء بني أمية وإن كانت هذه المعلومات تحتاج إلى تدقيق وتمحيص قبل توظيفها لما فيها من تحامل على بعض الخلفاء، كما أفاد البحث في التعرف على أبناء الإماء من الخلفاء في العصر الأموي.

2-كتب الفقه الإسلامي والسياسة الشرعية:

زخرت بمعلومات قيمة تخص الجانب التشريعي والفقهي، وكان مـن أهمهـا "**كتـاب الأحكـام السلطانية**"، للماوردي أبو الحسن علي بن محمد (ت 450هـ/1058م)، وكتاب "**شـرح السـير الكـبير**" للسرخسي محمد بن أحمد، (ت 490هـ/873م)، وكتاب "**السنن الكبرى**"، للبيهقي أحمد بن الحسين بن علـي (ت458هـ/1066م)، حيث تمت الاستفادة من هذه الكتب خاصة في الفصل الأول، فيما يخص الآراء الفقهيـة

المتعلقة بالإماء، كالمعاملة، والحقوق، والواجبات، والعقوبات، والمكاتبة والعتق، وغيرها من المسائل الفقهية التي نظمت حياة الإماء في المجتمع الإسلامي خلال العصر الأموي.

3-كتب التفسير والأحاديث النبوية:

تم الرجوع إلى كتب تفاسير القرآن الكريم حيث أفادت في تفسير الآيات القرآنية، المتعلقة بالإماء والتي تناولت التسري والوطء والنكاح والاستيلاد، وتفسير آيات العتق، وفي مقدمتها كتاب "**جامع البيان لأحكام القرآن**"، للطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، **الجامع لأحكام القرآن**"، للقرطبي زكريا بن محمد (ت682هـ/1282م)، وكتاب "**تفسير ابن كثير**"، لابن كثير أبو الفداء إسماعيل(ت774 هـ /1372م)، وكتاب "**روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني**"، للألوسي شهاب الدين محمود (ت1270هـ/1653م)، وكانت الاستفادة كبيرة من هذه المصادر خاصة في الفصل الأول، حيث عرفت بملك اليمين من الإماء وبينت طرق وكيفيات تملكهن، وشروط وطئهن ونكاحهن، كما أوضحت الأحكام المتعلقة بالإماء مثل، العدة، والزنا، والسرقة، والقتل، والإرث، وغيرها.

وأما كتب الحديث مثل كتاب "**الموطأ**"، للإمام مالك بن انس (ت179 هـ /795م)، و"**صحيح البخاري**"، للبخاري محمد بن إسماعيل (ت256 هـ/869م)، وكتاب"**السنن الكبرى**"، للنسائي أحمد بن شعيب بن عبد الله (ت303هـ/915م)، فقد تناولت الأحاديث النبوية المتعلقة بالإماء والتي تعتبر مرجعا رئيسيا لكل التشريعات الإسلامية الخاصة بهذه الفئة بعد القرآن الكريم، وكانت الاستفادة منها كبيرة خاصة في الفصل الأول والثاني.

4-كتب الأدب واللغة والمعاجم اللغوية:

احتوت كتب الأدب معلومات اجتماعية قيمة، بالرغم من قلتها وصعوبة الوصول إليها لتناثرها بين ثنايا هذه الكتب، وكان من أهمها كتب الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/868م)، منها على وجه الخصوص كتاب "**الحيوان وكتاب البيان والتبيين، وكتاب الرسائل** "، وقد تضمنت هذه الكتب معلومات قيمة عن الماء ومركزهن الاجتماعي ونظرة الناس إلى التسري ومكانة أبناء الإماء خاصة وأن الجاحظ قريب العهد بالدولة الأموية، وكتاب "**العقد الفريد**"، لابن عبد ربه أبو عمر محمد (ت327هـ/938م)، وكتاب "**نهاية الأرب في فنون الأدب**"، للنويري (ت333هـ/1332م)، وكتاب "**الأغاني**"، للأصفهاني أبي الفرج(356هـ/976م)، وكتاب **البصائر والذخائر**" للتوحيدي (ت414هـ/1022م)،وكتاب "**المستظرف من كل فن مستظرف**"، للأبهيشي (ت850هـ/1446م)،وقد أفادت هذه الكتب البحث في كل مراحله، بما احتوته

من معلومات قيمة تتعلق بحياة الإماء في المجتمع الإسلامي خلال العصر الأموي ومركزهن الاجتماعي ودورهن في ازدهار بعض الفنون والآداب خاصة الغناء والشعر، ووصول البعض منهن إلى أعلى المراتب الاجتماعية من خلال تسري الخلفاء بهن وإنجابهن للعلماء، والخلفاء القادة الكبار، وبينت أعراقهن وأوصافهن ومميـزات كـل جنس منهن، وأشارت إلى مكانة أبناء الإماء في التراتبية الاجتماعية ونظرة المجتمع إليهم خاصة في بداية العصر الأموي، وكيف حرم الكثير منهم من تولي منصب الخلافة بسب هذه النظرة، وذكرت محاسن مساوئ الإماء.

وكذلك كتب اللغة مثل كتاب الكامل في اللغة والأدب للمبرد، أبو العباس محمـد بـن يزيـد (ت 285هـ/ 898م)، وكتاب المخصص، لابن سيده أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي (ت458هـ/1065م)، فقد تناولت الكثير من الأشعار التي تحدثت عن الإماء وأولادهن، كما تناولت بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية للإماء، ومركزهن الاجتماعي، وما قيل في أوصافهن ومميزاتهن وأخلاقهن.

وأما **المعاجم وقواميس** اللغة فكانت الاستفادة منها كبيرة في التعريف بالكثير من الألفاظ التي احتـاج إليها البحث من رق وعبودية وإماء وجواري وعتق ومكاتبة وتسري وغيرها من الكلمات، وبينـت مـدلولها اللغوي، خاصة كتاب "**لسان العرب**"، لابن منظور محمد بن مكـرم(ت711هـ/1311م)، وكتـاب "**تـاج العروس**"للزبيدي محمد مرتضى(1205 هـ/1790م)، "**والصـحاح في اللغـة**" للجـوهري إسماعيـل بـن محمد(ت393هـ/1002م)،"**تفسير البحر المحـيط**"، للفـيروز آبـادي مجـد الـدين محمـد بـن يعقـوب (ت817هـ/1414م)، وكانت الاستفادة من هذه المعاجم كبيرة خاصة في الفصل الأول والثاني من البحث.

6-كتب التراجم والطبقات والأنساب:

وكان لكتب التراجم والطبقات أهمية كبرى في الفصلين الثاني والثالث إذ عرّفت بنساء أصولهن مـن السبي تم استرقاقهم أثناء عمليات الفتح،خاصة كتاب "**الطبقات الكبرى**" لابـن سـعد (ت230هـ/835م) وكتاب "**تاريخ دمشق**" لابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسين (571هـ/1175م)، وكتاب "**وفيات الأعيان**" لابن خليكان أبي العباس شمس الدين أحمد (ت681هـ/1282م)، وكتاب "**وفيات المشاهير والأعلام**"، للـذهبي أبو عبد الله محمد (ت748هـ/1347م)، إذ احتوت هذه الكتب على معلومات قيمة حـول عمليـات الفـتح والسبي، وظهور أبناء الإماء (المولدين) وتنفذهم في الدولة الأموية خاصة في العقـدين الأخيريـن، وعرفـت بأصولهم وانتماءاتهم من جهة أمهاتهم، كما تضمنت ترجمة للعديد من الأسماء التي عاشت في العصر الأمـوي وكانت لها علاقة بالإماء، من خلفاء، وأمراء، وفقهاء، وشعراء، وبعض الأشراف.

أما كتب الأنساب فقد احتوت على معلومات هامة تخص النواحي الاجتماعية ومن أشهرها كتـــاب "**نسب قريش**"، لمصعب الزبيري (ت236 هـــ /851م) "**أنساب الأشراف**" للبلاذري أبو الحسن أحمد بن يحي (ت279هـــ/829م)، "وكتاب **الأنساب**" للسمعاني (ت562هـــ/1166م)،وقد قدمت هذه الكتب معلومات كثيرة وقيمة عن العلاقة بين الإماء والأسياد، كما تطرقت إلى وصول المولدين إلى المناصب العليا في الدولة بما فيهـــا منصب الخلافة، وأفادت الدراسة في تأثير الإماء على اللغة، وزواج العرب من الإماء، وكانت الإفـــادة منـــها كبيرة خاصة في الفصلين الثاني والثالث، حيث تمت الاستعانة بها في تحديد انساب أبناء الإماء.

7-كتب الجغرافيا ومعاجم البلدان والرحلات:

وأما كتب الجغرافيا ومعاجم البلدان وكتب الرحلات، فقد أفادت البحث في التعرف علـــى أسمـــاء الأقاليم والأماكن والمدن الواردة في البحث وفي مقدمتها "**معجم البلدان**" لياقوت الحموي شهاب الدين أبـــو عبد الله (ت626هـــ/1228م)، وكتاب "**آثار البلاد وأخبار العباد**" للقزويني زكريا بن محمد (ت682هـــ/1283م) وكتاب "**معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**"، للبكري عبد الله بن عبد العزيز(ت487 هـــ/1095م) حيث تضمنت هذه الكتب معلومات قيمة عن عمليات السبي في المناطق التي فتحت عنوة في آسيا، وإفريقيـــا وأوروبا، وأسهمت في معرفة أصول، ولغات، وثقافة، وطبائع، وصفات، الإماء اللواتي تم سبيهن.

ب-المراجع الحديثة:

تكمن أهمية المراجع الحديثة في كون البعض منها يستند إلى مخطوطات أو مصادر ودراسات وأبحاث لم أتمكن من الوصول إليها أو الاطلاع عليها سواء أكانت عربية أو أجنبية، كما أن هذه المراجع قد تختلـــف في الرؤى ومناهج البحث؛ وبالتالي تتعدد النتائج فيها وقد تتباين بتباين أفكار أصحابها وتوجهاتهم، وهـــو مـــا يفتح آفاق جديدة للكتابة حول الموضوع من خلال مقارنة هذه الدارسات والأبحاث بعضها ببعض ومعرفـــة أوجه الاختلاف وأوجه التشابه فيها والخروج بتصور جديد للموضوع.

وقد كان للمؤلفات الحديثة من كتب ومجلات وأبحاث وكتابات، نصيبٌ في هذه الرسالة، فقد أفادتها في بعض الجوانب خاصة كتاب "**تاريخ التمدن الإسلامي**" الجزء الخامس لجرجي زيـــدان، الـــذي احتـــوي معلومات قيمة تخص الجانب الاجتماعي في القرن الأول الهجري، خاصة ما تعلق منها بالتطورات والتحولات التي شهدها المجتمع العربي الإسلامي مع نهاية القرن الأول الهجري، في مجال المأكل والملبس والمشرب، والعادات والتقاليد، وكتاب "**الرق ماضيه وحاضره**"، لعبد السلام الترمانيني، والذي تناول فيه موضوع الـــرق ماضـــيه وحاضره، فقد احتوى هذا الكتاب معلومات قيمة عن الرق وأسواقه، والعتق ومعاملة الرقيق وظاهرة تقـــيين

الجواري، وبدرجة أقل كتاب "**ضحى الإسلام**" لأحمد أمين، حيث أفاد البحث في الفصـــل الثـــاني والثالـــث واختلفت هذه الاستفادة من عنصر إلى أخر، وكتاب "**قصة الحضارة**" لول دينورايت، وكانت الاستفادة منـــه في التعرف على وضعية المرأة المسترقة في المجتمعات التي سبقت الإسلام، وكتاب تاريخ "**العرب قبل الإســـلام لجواد علي**"، وقد احتوى معلومات قيمة عن الحياة الاجتماعية للعرب خاصة في العصر الجاهلي، بالإضافة إلى كتاب **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن** الأول الهجري لأحمد صالح العلي، فعلى الرغم من أنه يختص بدراسة منطقة معينة إلا أنه يمكن اتخاذه كأنموذج للعديد من المناطق الأخرى، خاصة فيما تعلـــق بالإماء.

كما تمت الاستفادة من بعـــض البحوث والدراسات المنشورة في المجلات المحكمة، مثـــــل مقـــال: **الموالي والرقيق في نجد والحجاز خلال العصر الأموي**، لعبد العال أحمد رضا، المنشور بمجلة المؤرخ المصـــري الصادرة عن كلية الآداب قسم التاريخ بجامعة القاهرة، سنة1994م، العدد الثالث عشر، والذي تطرق فيـــه إلى الرقيق في نجد خلال العهد الأموي وأشار إلى بعض الأعمال التي كانوا يمارسونها وإلى ظاهرة التسري والزواج من الإماء.

الفصل الأول:

وضعية الإماء في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي

أولا: الإماء لغة واصطلاحا

ثانيا: مقارنة بين الإماء والرق والعبودية والسبي

ثالثا: مصادر الإماء

رابعا: أعراق الإماء وجنسياتهن

خامسا: معاملة الإماء

سادسا: حقوق الإماء و واجباتهن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الإماء لغة واصطلاحا

1-تعريف الإماء لغة:

الأمة خلاف الحرة والجمع إِمَاءُ، وآمُ، وإمْوانُ، وأَمْوانُ، قال السليك من البحر الطويل:

يَاصَحِبِيَّ ألا لاحَيَّ باالوَادِي*** إلاَّ عَبيدُ وآمٍ بيْنَ أَزْوادِ

وتجمع أيضا على إموان، كقول أحدهم: إذا ترامى بنو الإموان بالعار[1]، قال ابن الهيثم الأم جمع الأمة كالنخل والنخلة، ويقال أيضا: الأمة أُمُوةٌ، وجمعها أمْوانُ، وإمَاءُ، وآمُ، وإمْوانُ.[2]

فالأمة إذن هي المرأة التي وقعت في العبودية، لسبب من الأسباب[3]، وفقدت حريتها، وبذلك أصبحت مملوكة لغيرها، والأمة في الإسلام هي المرأة التي سبيت[4]، وفقدت حريتها في حرب مشروعة بين دار الكفر ودار الإسلام.

2-تعريف الإماء اصطلاحا:

أما مصطلح أو تسمية الأمة: فمعناه المملوكة من النساء[5]، وخلافها المهرة[6]، أو الحرة والأمة المرأة ذات العبودية وقد أقرت بالأموة.[7]

إذا فتسمية الأمة هو الاسم الذي أطلق على المرأة المسترقة، وأصل هذه الكلمة يعود إلى أصول سامية قديمة، فالسوماريون وهم من الشعوب السامية كانوا يطلقون على المرأة الأسيرة تسمية عبد، أما البابليون فسموها آمتون.[8]

1- الجوهري إسماعيل بن محمد، (ت393هـ/1002م): الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور، (د.ط، بيروت: دار العلم للملايين، 1987)، 24/1؛ ابن منظور، بن مكرم، (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، (ط1، بيروت: دار صادر، د.ت)، 273/5.

2- ابن منظور، لسان العرب، 273/3؛ الجوهري، الصحاح في اللغة، مادة، 24/1.

3- تعددت مصادر الرق قبل الإسلام؛ فمنها رق الأسر، ورق الفقر، ورق النسب، ورق الخطف، ورق الجنس، (أنظر أحمد شفيق، الرق في الإسلام، ترجمة أحمد زكي، (ط.1، بولاق مصر: المطبعة الأهلية الأميرية، 1892م)،22.

4- **السبي**: لغة من السباء، وتسابى القوم إذا سبي بعضهم بعضا، والسبية المرأة المنهوبة، (أنظر ابن منظور، لسان العرب، 3/14؛ الجوهري، الصحاح في اللغة)، 130/3.

5- ابن منظور، المرجع السابق،121/1؛ ابن فارس أبو الحسن أحمد (ت365هـ/981 م): معجم مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام هارون، (ط1، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1366هـ)،136/1.

6- **المهرة**: هي المرأة الحرة، قال الجوهري المهرة هي المرأة الحرة والمهائر هم الحرائر؛ وضدها السرائر، (أنظر ابن فارس، المرجع السابق،184/5)

7- نفسه.

8- الشامي قدورة فاطمة: الرق والرقيق في صدر الإسلام والدولة الأموية، (ط1، بيروت: دار النهضة العربية، 2009)، 20.

كما عرفت المرأة المسترقة باسم قطين وتعني الأمة، والقطون تعني الإقامة في المكان؛ والقطين عند العرب الساكن في الدار[1]، وقد يرد هذا اللفظ للمبالغة أيضا، كقول زيد بن حارثة رضي الله عنه: فإني قطين مكة عند المشاعر، والقطين هم أيضا أتباع الملك ومماليكه، والقطين هم أهل الدار، وهم الخدم والأتباع[2] هذا بالإضافة إلى تسمية فتاة وخادمة.

ومع ازدياد عمليات الفتح في العصر الأموي وتوسعها ظهرت تسمية السبيّة، والوليدة، والخادمة وهي تسميات اختلفت في مدلولها من عصر إلى أخر فمثلا تسمية الوليدة تطلق على الأمة التي تلد (تنجب) من سيدها، وهذا ما يستشف من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أيما وليدة ولدت من سيدها فإنه لا يبعها ولا يهبها ولا يورثها وهو يستمتع بها فإذا مات فهي حرة».[3]

وتسمية الخادمة تطلق على الأمة التي تستخدم في الأعمال المنزلية المختلفة، ولفظ الأمة عند العرب قبل الإسلام؛ كان يطلق على الجارية السوداء البشرة، أما البيض فيطلقون عليهم اسم الجواري.[4]

وفي القرآن الكريم ورد ذكر المرأة المسترقة تحت تسميات عديدة، فذكرت باسم الآمة في قوله تعالى: ﴿**وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[5]، وقد ذكر القرطبي في تفسير هذه الآية أنه ينبغي أن تكون الرغبة في تزويج الإماء والعبيد إذا كانوا صالحين، والصلاح يعني الإيمان والتقوى[6]، ووردت باسم ملك اليمين في قوله تعالى: ﴿**فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تعدلوا فواحدة أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ**﴾.[7]

1- **القطين**: تعني أهل الدار، ويقال لأهل مكة وعاكفيها قطين الله، والقطين تعني الحشم والخدم أيضا، (أنظر الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت538هـ/924م)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية،1998م)،384/1، الزبيدي محمد مرتضي، (ت1205هـ/1790م)، تاج العروس، (د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1966)، 8143/1.

2- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 104/5.

3- مالك بن أنس، (ت 179هـ/795م)، الموطأ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، (د.ط، الجزائر، دار الكتاب الحديث، 2012)، 476/8،245؛ البيهقي أحمد بن الحسين بن علي،(ت458هـ/1066م)، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: عطا محمد عبد القادر، (د. ط، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، 1994م)،342/10.

4- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط4، بغداد: مطبعة المجتمع العلمي العراقي، 1972)، 146/8.

5- النور، 32.

6- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت681هـ /1272م)، تفسير القرطبي، تحقيق: البخاري هشام سمير، (ط1، الرياض: دار عالم الكتب، 2003م، 240/1؛ الماوردي أبو الحسن علي بن محمد(450هـ/1058م)، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم، (د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، 97/4.

7- النساء، 03.

وملك اليمين في هذه الآية يقصد به الإماء[1]، وردت باسم فتاة في قوله تعالى:﴿**وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَات**﴾[2] والمحصنات المراد بهن الحرائر وفتياتكم المؤمنات المراد بهن الإماء[3].

أما في الأحاديث النبوية الشريفة، فقد ذكرت المرأة المسترقة بنفس الأسماء السابقة الذكر، حيث وردت باسم الأمة في قوله ﷺ : **"من أشراط الساعة أن تلد الأمة ربها"**.[4]

وسميت بالجارية في قوله ﷺ:**"أيما رجل كانت عنده جارية فعلّمها وأحسن تعليمها وأدّبها وأحسن تأديبها فأعتقها ثم تزوجها فله أجران"**[5]، ووردت باسم فتاة في الحديث الذي نهى فيه النبي ﷺ عن قول عبدي وأمتي، لأن كل النساء إماء الله، وكل الرجال عبيد الله، إذ يقول: **"لا يقل أحكم أطعم ربك وضئ ربك أسقي ربك، وليقل سيدي مولاي، ولا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي"**.[6]

من خلال هذه التعريفات والتسميات المختلفة، يتضح أن المعنى اللغوي لكلمة أمة لا يختلف كثيرا عن المفهوم الاصطلاحي، فكلاهما يعبر عن حياة العبودية التي عاشتها المرأة التي وقعت في الأسر، أو استعبدت لسبب من الأسباب؛ إنما يكمن الفرق في نظرة الإسلام لعبودية المرأة وسعيه إلى تحريرها بطرق وأساليب عديدة، ونظرة القوانين والأعراف والتشريعات الوضعية عند الأمم التي سبقت ظهور الإسلام أو عاصرته.

فالإسلام عمل على نقلها من حياة العبودية، إلي الحرية، بطرق شتى كالزواج من السيد أو الإنجاب منه، وهذا ما عبر عنه ابن عبد ربه بقوله:«تطرقت شريعة الإسلام إلى الفارق بين الرجل والمرأة (عبد، أمة)

1- القرطبي، تفسير القرطبي، 21/5؛ الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، (ت1270هـ/1653م)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية،1415هـ)،12/4.

2- النساء، 25.

3- القرطبي، تفسير القرطبي، 136/5؛ القنوجي أبو الطيب محمد بن الصديق، (1307هـ/1910م)، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: الأنصاري عبد الله إبراهيم، (د.ط، صيدا: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1992م)،85/3.

4- البخاري محمد بن إسماعيل، (ت256هـ/869م): صحيح البخاري، تحقيق: الناصر محمد بن الناصر، (ط.1، دمشق: طوق النجاة، 1422هـ)، 460/8؛ الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب، (360هـ/918م)، مسند الشاميين، تحقيق: السلفي حمدي بن عبد المجيد، (ط.1، بيروت: مؤسسة الرسالة،1984م)،345/3.

5- الطبراني، مسند الشاميين، 476/8؛ البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، (ت458هـ/1066م)، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: عطا محمد عبد القادر، (د. ط، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، 1994م)،19/8.

6- الطبراني، المرجع السابق، 487/8؛ البيهقي، المرجع السابق، 19/8

في أمر العتق؛ فعملت على نقل الإماء من رابطة العبودية إلى الرابطة الزوجية وأمرت المسلمين بالزواج بهم والإحسان والبر بهم».[1]

وعليه فالأمة لغة واصطلاحا هي المرأة المملوكة التي وقعت في العبودية وفقدت حريتها، وأصبحت ملكا لغيرها، وعكسها المرأة الحرة، وأن تسمية الجارية، والسبية، والعبدة، والقنة، والخادمة، والوليدة والوصيفة، هي مرادفات لما معناه الأمة،أي المرأة المملوكة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- ابن عبد ربه أبو عمر بن محمد، (ت327هـ/938م)، العقد الفريد، شرح وتصحيح: أحمد أمين وآخرون، (ط.3، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965م)، 41/1.

المبحث الثاني: مقارنة بين الإماء والرق والعبودية والسبي

أ-التعريف بالرق والعبودية والسبي:

توطئة:

ذُكرت المرأة المسترقة في المصادر التاريخية والأدبية والفقهية، بتسميات عديدة، فقد وردت باسم الأمة والجارية والفتاة، والعبدة، والقنة، والسبية، وغيرها من الأسماء، وعليه فقد يتبادر إلى الأذهان أن هذه التسميات تختلف من حيث المعنى، وأن لكل اسم منها معنا خاصا به قد يكون بعيدا كل البعد عن المعنى الذي يحمله أي اسم آخر من هذه الأسماء.

هذا يدفع إلى طرح التساؤل التالي: هل هذه الأسماء والصفات، والمصطلحات إن صح التعبير تحمل نفس المعنى؛ وتصب جميعا في خانة واحدة؟ أم أنها تختلف من حيث المعنى كاختلافها في الأسماء والصفات؟

وللإجابة عن هذا السؤال يجب إجراء مقارنة بسيطة بين المفاهيم التي تحملها هذه الأسماء لغة واصطلاحا لإبراز أوجه الشبه والاختلاف بينها إن وجدت وتوضيح الصورة وإزالة اللبس؟

أولا: الرق

1-الرق لغة:

الرق بالكسر: المِلْكِ وهو العُبُودِية[1]، والرّقِيقُ المملوك بيّن الرِّقِ، وتجمع على رِقاقِ[2] ورق صار في رق، واسترقه فهو مرقوق، ومرق ورقيق، وجمع الرقيق أرقاء، وكلمة رقيق من الألفاظ التي تقال للواحد وللجمع، فالعبد رقيق والعبيد رقيقا أيضا.

2-الرق اصطلاحا:

الرق في عرف الفقهاء: هو عبارة عن عجز حكمي شرع في الأصل جزاء عن الكفر[3]، أما أنه عجز فلأنه لا يملك ما يملك الحر من الشهادة والقضاء وغيرهما، وأما أنه حكمي فلأن العبد قد يكون أقوى

1- ابن منظور، لسان العرب، 73/3؛ الجوهري، الصحاح في اللغة، 440/1؛ ابن فارس، مقاييس اللغة، 205/4.

2 - الجوهري، الصحاح في اللغة، 1483/4.

3-ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد، (ت595هـ/1198م): بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (د.ط، القاهرة: دار الحديث، 2004م)، 397/1؛ المناوي زين الدين محمد، (ت1031هـ/1634م)، فيض القدير، تعليق: الحموي ماجد، (ط.1، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ)، 659/1.

في الأعمال من الحر حسا، ولذلك كان من قواعده أن المسلم المولود من أبوين حرين لا يجوز استرقاقه بحال من الأحوال[1] وقصر الاسترقاق على من كانوا حربا على الإسلام بشروط معينة[2].

أما تعريف الرق من الوجهة القانونية فهو مباشرة فرد على فرد آخر أو أن تباشر جماعة على جماعة أخرى أو فرد بعض سلطات حق الملكية[3]، وقد أجمعت كل التعاريف التي تناولت الرق على أنه يمثل الخضوع والطاعة والملكية للغير.

ثانيا: العبودية

1-لغة:

العبد المملوك خلاف الحر، قال سيبويه وكلمة عبد هي في الأصل صفة، قالوا رجل عبد ولكنه استعمل استعمال الأسماء، والجمع أعبد وعبيد مثل كلب وكليب، وعباد وعبيد مثل سقف وسقِيف ومن الجمع أيضا عبدان بالكسر مثل جحشان، وعبدّان مشددة الدال، وأعابد جمع أعبد، ويقال فلان عبد بيّن العُبودية والعَبودية والعبدية، وأصل العبودية الخضوع والتذلل[4]، قال الأزهري: "اجتمع العامة على التفرقة بين عباد الله والمماليك فقالوا: هذا عبد من عباد الله وهؤلاء عبيد مماليك.[5]

هذا يعني أن لفظة عبد والعبد تطلق على من وقع في العبودية، أي اعتبد (صار عبدا) و لم يملك أبواه، أو سبي و لم يملك أبواه، ويطلق على هؤلاء عبيد مملكة[6] أي أنه غلب عليهم واستعبدوا وهم أحرار وخلافهم الأقنان ومفردها قن، وهو العبد الذي ملك هو وأبوه أو الذي ولد عند سيده ولا يستطيع أن يخرج عنه.[7]

1-السرخسي محمد بن أحمد بن أبي سهيل، (490هـ/873م)، شرح السير الكبير، تحقيق: محمد حسن الشافي، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م)، 43/6.

2- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد، (450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية، (د.ط، القاهرة: دار الحديث، د.ت)، 257/1.

3- مصطفى الجداوي، دراسات جديدة عن الرق في التاريخ والإسلام، (د. ط، القاهرة: د. د، 1963) 1/ 19.

4- ابن منظور، لسان العرب، 273/3؛ ابن فارس، مقاييس اللغة، 104/5.

5- ابن منظور، لسان العرب، 273/3.

6- عبيد مملكة تقال لمن غلب عليهم ويستعبدوا وهم أحرار، جاء في التهذيب عبد المملكة هو الذي سبي و لم يملك أبواه، (انظر ابن منظور، لسان العرب)، 491/10.

7- ابن منظور، لسان العرب، 367/14؛ الجوهري، الصحاح في اللغة، 298/1.

فمثلا استعملوا لفظة عبد في المعنى المجازي كقول أحدهم إذا أراد التصغير من شأن شخص آخر أنت عبد من عبيدي، أي جعله بمنزلة الخدم، واستعملوها في المعنى الحقيقي وقصدوا بذلك المملوك كقولهم كان عبدا رومانيا أو قولهم كان عبدا حبشيا، فقصدوا بها مملوكا كائن من كان لونه أو جنسه.[1]

2- العبودية اصطلاحا:

أما العبودية في الاصطلاح فتعني كل شخص كان في ملك إنسان آخر بصرف النظر عن لونه وجنسه فهو في حكم الملك[2]، كما تعني أيضا الخدم والأتباع[3]، والتبعية هنا يقصد بها الاعتراف بسيادة شخص، ويضاف إلى هذا المفهوم ما ورد في القرآن الكريم فقد استعمل القرآن الكريم كلمة رقبة[4] وعبارة ملك اليمين[5]، والمراد بهما العبد موضوع الملكية سواء كان ذكرا أو أنثى.

ثالثا-تعريف السبي:

1- السبي لغة:

يقال سبيت النساء سبيا وسباء[6]، ووقع عليهن السبي، وهذه سبية فلان (الجارية المسبية)[7]، والسبية والسبية المرأة المنهوبة في الحرب[8]. وعليه فالسبي مرتبط بالحرب والفتوح، فلا سبي بدون حرب أو غزوات أو غارات أو فتوحات، أما في الإسلام فمصدر السبي هو الحرب المشروعة ويكون ضمن أربعة خيارات هي: (القتل، السباء، والمن والفداء)، وبما أن الإسلام حرم قتل النساء والأطفال أثناء الحرب؛ فانه يجوز سبيهم إذا فتحت البلد عنوة أو كانوا في ساحة القتال[9].

1- نفسه، 146/8.

2- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 146/8.

3- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 104/5؛ ابن منظور لسان العرب،73/3.

4- قال تعالى: ﴿ **فَكُّ رَقَبَةٍ**﴾، البلد، 13

5- قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا**﴾، النساء، 3.

6- ابن منظور، لسان العرب، 93/1؛ الجوهري، الصحاح في اللغة، 298/1

7- الجوهري، الصحاح في اللغة، 302/1؛ ابن منظور، لسان العرب، 93/1

8- ابن منظور، لسان العرب، 367/14.

9-القرطبي، تفسير القرطبي، 135/5، الشنقيطي محمد الأمين بن المختار، (ت 1393هـ/ 1996م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (د. ط، بيروت: دار الفكر، 1995م)، 249/7.

2- السبي اصطلاحا:

المعنى الاصطلاحي للسبي لا يكاد يخرج عن التعريف اللغوي، وكذلك في التفريق بين السبايا والأسرى، فالسبايا هم النساء والأطفال الذين ظفر المسلمون بأسرهم أحياء، والأسرى هم الرجال والمقاتلون إذ تمكن المسلمون بأسرهم أحياء، في الحرب بين دار الكفر ودار الإسلام.[1]

وعليه فالسبي يكون للنساء والأطفال[2]، والأسر يكون للمقاتلين من الرجال، وأساس نشأة السبي هو وجود النساء والصبيان في ميدان القتال[3]، أو عند فتح المناطق عنوة، فيقع الأسر على الجميع، ومن هنا تساق النساء أسيرات؛ فيصرن بعد قسمة الغنائم، في أيدي المحاربين (ملك اليمين).[4]

ولما كان في الغالب يقتل أزواجهن، ويفر البعض الآخر حتى لا يعود إلى بلاد المسلمين، كان من الواجب على المسلمين كفالة هؤلاء السبايا، بالإنفاق عليهن وتحصينهن ومنعهن من الفسق من خلال التسري بعد امتلاكهن -ملك اليمين-، لأنه من المصلحة لهن وللمجتمع الإسلامي أن يكون لكل واحدة منهن كافل يكفلها همّ الرزق.

وعليه فالسبي لا يكون إلا بعد الحرب؛ أما العتق فيكون بعد الرق جاء في الأحكام السلطانية: يكون الإمام-قائد الجيش- في الأسر مخيرا في إستعمال الأصلح من أربعة أمور هي القتل، أوالاسترقاق حيث يجري عليهم أحكام الرق من بيع أو عتق، أو يفادي بهم بمال أو أسرى، أو يمن عليهم ويعفوا عنهم، وإن اسلموا سقط القتل عنهم[5]

ب-الفرق بين الإماء والرق والعبودية والسبي:

من خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية السالفة الذكر يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

1) الرق كلمة عامة تطلق على كل شخص (ذكر، أنثى) فقد حريته وصار ملكا لغيره لسبب من الأسباب، تقال هذه الكلمة للعبد والأمة[6] والقن والجارية والسبية، أي لكل من صار ملكا لغيره.

1- الجوهري، الصحاح في اللغة، 298/1؛ ابن منظور، لسان العرب، 93/1.

2- الماوردي، الأحكام السلطانية، 257/1.

3-نفسه.

4- القرطبي، مصدر سابق،135/5، الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،249/7.

5 -الماوردي، الأحكام السلطانية، 90/1.

6- أطلقت تسمية الأمة و الجارية في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، على كل امرأة فقدت حريتها وأصبحت غير حرة؛ فقد ذكرت باسم باسم الأمة في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ**

2) العبودية والسبي والإماء نوع من أنواع الرق فجميعها تحمل معنى واحد هو فقدان الحرية والخضوع للغير، و قد يكون الاختلاف في التسميات راجع إلى الاختلاف في لون البشرة والمهام وطريق الاسترقاق، والجنس (ذكر أو أنثى)، فالشخص الذي وقع في الرق بسبب الحرب يسمى الأسير إذا كان مذكرا ويطلق عليه اسم السبية إذا كان مؤنثا، والشخص الذي ولد من أبوين رقيقين يطلق عليه اسم عبد إذا كان مذكرا وعبدة إذا كان مؤنثا، والأمة تسمية تطلق على المرأة التي وقعت في الرق بسبب الأسر أو الولادة –إذا ولدت من أبوين عبدين- كما تطلق هذه التسمية على المرأة المسترقة التي تكون بشرتها سوداء تمييزا لها عن الجارية ذات البشرة البيضاء، كما هو الحال عند العرب في الجاهلية.

3) لفظة العبودية صفة وليست اسما، وإنما استعملت استعمال الأسماء[1]، لذا يمكن أن تطلق على كل شخص فقد حريته وأصبح ملكا لغيره بصرف النظر عن لونه وجنسه وسبب استرقاقه.

4) للتمييز بين العبيد تطلق كلمة قن[2] على الشخص الذي استعبد هو ووالديه، أو ولد من أبوين عبدين، وتطلق تسمية عبيد الملكة[3] على الشخص الذي استعبد هو و لم يستعبد أبواه؛ أو ينتمي إلى أبوين حرّين.

5) تسمية الجارية تطلق على الأمة المملوكة ملك اليمين[4]، والتي فقدت حريتها في حرب مشروعة، أو تملكها سيدها بالشراء أو الهبة أو الوراثة.

6) -لفظتي الأمة والجارية متداخلتان؛ يقصد بهما في أغلب الأحيان المرأة التي وقعت في الرق بسبب السبي أو التي يملكها صاحبها بالشراء أو الولادة أو الهبة، لذا يتم في اغلب الحالات استعملهما للتعبير عن المرأة التي وقعت في الرق.

عَلِيمٌ ﴾، النور،23، وسميت بالجارية في قولهﷺ: **"أيما رجل كانت عنده جارية فعلّمها وأحسن تعليمها وأدّبها وأحسن تأديبها فأعتقها ثم تزوجها فله أجران"**،(أنظر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى)، 8 /19.

1- ابن منظور، لسان العرب،73/3.

2- **القن**: هو العبد الذي ملك هو ووالديه (الأب والأم)، قال الليحاني: القن هو العبد الذي ولد عند سيده ولا يستطيع الخروج عنه، (أنظر ابن منظور، لسان العرب،348/13؛ الزبيدي، تاج العروس)،6790/1.

3- ابن منظور، لسان العرب، 348/13؛ الزبيدي، تاج العروس،6790/1.

4- **ملك اليمين**: يدخل في ملك اليمين الإماء المملوكات ملكية شرعية عن طريق السبي وقسمة الغنائم أو بالشراء أو بالهبة والوراثة ممن يملكها فعلا، ويقول القرطبي في تفسيره للآية، 25، من سورة النساء أن المراد بملك اليمين هنا الإماء، (أنظر القرطبي، تفسير القرطبي، 136/5؛ الشنقيطي، أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن)،249/7.

يستنتج مما تقدم أن لفظ الأمة؛ كلمة عامة تطلق على كل امرأة وقت في الرق وفقدت حريتها وأصبحت مملوكة، وعليه فكل امرأة مملوكة غير حرة هي أمة سواء أكانت جارية، أو سبية، أو وليدة، أو قنة أو عبدة أو رقيقة؛ وأن هذه الأسماء هي مرادفات لما معناه الأمة أي المرأة المملوكة – وعكسها الحرة – التي وقعت في الرق وفقدت حريتها لسبب من الأسباب، كالسبي في حرب مشروعة كما هو الحال عند المسلمين، وأصبحت بموجب ذلك ملكا لمن آلت إليه، أو ملكت له بالشراء أو الهبة، أو الوراثة...الخ، وعاشت بذلك حياة الرق والعبودية، وأن تَعَدُدِ الأسماء قد يكون القصد من وراءه التمايز والتفاضل، فيقال للأمة التي تلد لسيدها من أبوين عبدين وليدة، ويقال للأمة ذات البشرة البيضاء جارية ويقال للأمة المغنية قينة ويطلق على الأمة التي تقوم ببعض الأعمال المترلية الخادمة أو الوصيفة.

إنَّ هذه الأسماء وإن اختلفت في تعبيرها المجازي من عصر إلى عصر ومن جماعة إلى أخرى وقد يكون مرد ذلك؛ تسهيل الفهم وتقريب الصورة، فيقال مثلا: هذه قينة رخيمة الصوت والمراد بها الأمة التي تحسن الغناء ولها صوت جميل، كما يقال أيضا هذه جارية ظريفة وحاذقة والمراد بذلك الأمة التي تكون على قدر كبير من العلم والثقافة وحسن الصنعة، فإنها تشترك جميعا في معنى حقيقي واحد هو الأمة والذي يعني المرأة المملوكة الفاقدة لحريتها، وهذا ما يستشف من التعريفات اللغوية والمفاهيم الاصطلاحية السابقة الذكر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: مصادر الإماء

توطئة:

استعباد الإنسان ظاهرة اجتماعية قديمة، عرفتها كل الشعوب والأمم التي سبقت ظهور الإسلام، ومارستها على نطاق واسع حتى باتت من الأمور المتأصلة في الطباع والأعراف[1]، ووضع اجتماعي لا يستنكره إنسان؛ ولا يعترض عليه أو يفكر في إلغائه أحد.

فكل الشعوب و الأمم التي سبقت ظهور الإسلام، أقرت استرقاق الإماء وممارسته و لم تعترض عليه، سواء كانت هذه الشعوب وثنية لا تدين لنبوة ولا لكتاب منزل (الهنود مثلا) أو ذات رسالة سماوية (مثل اليهود والنصارى).

ولما جاء الإسلام، وجد هذه الظاهرة منتشرة في كامل شبه الجزيرة العربية، بل في العالم كله ولاعتبارات اجتماعية كارتباطه بتقاليد الناس وعاداتهم، واقتصادية كضرورة الخدمة، وفكرية كنظرة التفوق والاستعلاء والتفاضل المتأصلة في النفوس والذهنيات، لم يلغ الإسلام هذه الظاهرة، أو يمنعها دفعة واحدة كما فعل مع الكثير من الظواهر السلبية في المجتمع؛ مثل السرقة والزنا وشرب الخمر وتعاطي الربا وغيرها.[2]

لكن الإسلام وإن لم يلغ هذه الظاهرة أو يحرمها فإنه لم يتركها على حالها؛ بل وضع القيود والتشريعات من أجل تحسين وضعية هذه الفئة، واعتبر عبوديتها حالة عابرة، وأن الحرية هي الأصل[3] "لذا شرع العتق ورغب فيه[4]، وضيق منافذ الرق إلا منفذا واحدا هو الحرب المشروعة".[5]

1- **العرف**: هو مجموعة من القواعد الغير مكتوبة، التي اتبعها الأفراد في سلوكاتهم أجيالا متعاقبة، حتى نشأ الاعتقاد لديهم؛ أن هذه القواعد أصبحت ملزمة، وأن مخالفها سيتعرض لجزاء الجماعة، (الخياط عبد العزيز، نظرية العرف، (د. ط، عمان: مكتبة الأقصى، 1977م)، 24.

2- هناك حكمة من وراء تدرج الإسلام في الحد من الرق وإبطاله، وهي المحافظة على توازن المجتمع، ويمكن التدليل على ذلك بما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية، عندما قرر الرئيس الأمريكي برهام لنكولن (ت1865م)، إلغاء الرق هناك بقرار حاسم وفوري، فكانت النتيجة اندلاع حرب أهلية طاحنة بين المطالبين بإلغاء الرق والداعمين له، استمرت سنوات هلك فيها الملايين من الطرفين، (للمزيد: أنظر: محمد قطب، شبهات حول الإسلام)،40.

3- روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: **"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"**، (صبحي الصالح، النظم الإسلامية، (د.ط، إيران: منشورات دار الشريف حسين، 1997م)، 463.

4- قال تعالى: **"فَكُّ رَقَبَةٍ"**، البلد، 13، يقول القرطبي في تفسير هذه الآية، فك رقبة أي خلاصها من الأسر، وقيل من الرق، وفي الحديث الشريف وفك الرقبة أن يعين في ثمنها، والفك هو حل القيد، والرق قيد، وسمي المرقوق رقبة، لأنه بالرق كالأسير المربوط، وسمي عتقها فكا، كفك الأسير، (أنظر: القرطبي، تفسير القرطبي، 25/5؛ السيوطي، الدر المنثور)، 72/10.

5- الترمانيني عبد السلام: الرق ماضيه وحاضره، (د.ط، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978م)، 32.

1-المصادر العسكرية (الفتوحات):

قامت الإماء بدور هام في التاريخ الإسلامي، والحديث عنهن، يدفع إلى البحث والإستفسار عن مصدرهن، والإجابة التي يقدمها المؤرخون وكتاب السيرة تقول أن الحرب كانت من المصادر الهامة، فالأسرى من النساء يعتبرن سبايا، وقد كان هذا الإجراء سائدا عند العرب وغيرهم في الجاهلية.

وبالعودة إلى زمن الفتوحات الإسلامية في العهد الأموي وإلى ما أورده كتاب المغازي عن عدد النساء اللواتي تم سبيهن وأصبحن بذلك إماء؛ فإنهن يقدرن بالألوف وأن الفتوحات الإسلامية كانت إحدى الروافد الهامة للنساء اللواتي تم سبيهن و لم يطلق سراحهن بمن[1] أو فداء وتحولن إلى إماء في إطار المعاملة بالمثل حسب قانون الحرب.

وبما أن الحرب كانت من بين مصادر العبودية، فلا بد من الإشارة إلى تعاليم الإسلام في مشروعية الحرب والهدف منها خاصة وأن العصر الأموي شهد توسعا كبيرا في الفتوحات شمل مناطق عديدة من العالم، حيث وصلت شرقا إلى بلاد السند والصين وغربا إلى المحيط الأطلسي وجنوب فرنسا.

والحرب التي تبيح استعباد الأسرى من النساء في الإسلام، هي الحرب المشروعة التي تكون بين دار الإسلام، ودار الكفر ويكون الهدف منها[2]:

1) أن يكون القتال في سبيل الله، لقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ**﴾[3]، وهذا يعني أن الحرب في الإسلام لا تقوم على شهوة الاحتلال؛ ولا على رغبة الاستعباد والاستغلال، إنما من أجل هداية الناس وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام[4].

2) أن يكون القتال من أجل دفع الاعتداء على المسلمين، وحماية العقيدة الإسلامية، لقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾.[5]

1- **المن:** إطلاق سراح الأسير بدون فداء، (المناوي محمد عبد الرؤوف، (ت 1031هـ/1634م)، التعاريف، (ط.1، بيروت : دار الفكر،1410هـ)، 680/1.

2- حلاوي محمود مصطف، معالم الحضارة الاسلامية في صدر الإسلام، د.ط، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم،230، عبد الله ناصح علوان، نظام الرق في الاسلام،21.

3- النساء، 76.

4- شحاتة محمد صقر، معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين، (د.ط، الإسكندرية: مكتبة الأصولي، د. ت)،6/1.

5- البقرة، 190.

3) تحطيم القوى الظالمة المستبدة التي تعترض على الدعوة الإسلامية، أو تحول دون إيصالها للناس، لقوله عز وجل:﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾.[1]

4) وأن يكون القتال من أجل نكث العهود بعد توكيدها، قوله تعالى: ﴿**وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ**﴾.[2]

ولا يجوز للمسلمين محاربة قوم حتى يعرضوا عليهم أمورا ثلاثة، إما الإسلام أو الجزية وإما الحرب فإن لم يقبلوا بالإسلام كعقيدة، أو الدخول تحت حكمه ودفع الجزية هددوا بالحرب، فإن استجابوا بعد التهديد ورضوا بإحدى الأمرين السابقين-الإسلام أو الجزية-كان لهم ذلك، وإن لم ينتهوا و لم يرضوا أعلن المسلمون عليهم الحرب وقاتلوهم، وفي الحرب يحل للمسلمين أن يقتلوا المحاربين ومن يعينهم على الحرب أما المرأة والطفل والشيخ الفاني أو العاجز أو المقعد فلا يجوز قتلهم[3].

وإذا طلب المحاربون الذين يقاتلون المسلمين الصلح أثناء الحرب، أجيبوا إليه، ويتوقف القتال عندئذ امتثالا لقوله تعالى:﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[4]، أما إذا استمرت الحرب و لم يجر الصلح، وانتصر المسلمون وفتحت البلاد عنوة، فالمقاتلون يأخذون أسرى الحرب أما أهل البلد من غير المقاتلين فقائد الجيش أو أميره مخير بين استرقاقهم أو تركهم أحرارا شرط أن يدفعوا الجزية وقد نظم الإسلام أسرى الحرب وجعلهم ضمن أربع حالات هي:

1- القتل إذا خيف شرهم.

2- الفداء بمال أو بأسير من أسرى المسلمين وقع في يد العدو، أو أي بدل آخر مشروع.

3- المنُّ وذلك بإطلاق سراحهم بغير فداء.

1- الأنفال، 193.

2- التوبة، 12.

3- الماوردي، الأحكام السلطانية،70؛ السيوطي، الدر المنثور، 410/1؛ الشنقيطي، أضواء البيان،25/3.

4-الأنفال، 21.

4- الاسترقاق حيث يضرب الأمير أو قائد الجيش عليهم الرق وبهذا يكونون ملكا اليمين[1] للمحاربين بعد توزيع الغنائم، ولمالكهم الحق في وهبهم أو بيعهم أو عتقهم إن شاء ذلك أو توريثهم بعد مماته.

إذن تعتبر الحرب من المصادر الهامة للإماء في الإسلام، وهذا المصدر لا ينضب طالما أن الظروف تساعد على استمراره، فالدعوة الإسلامية وحاجتها للانتشار ومحاربة الكفار وتأمين حدود الدولة الاسلامية دفعت بالأمويين إلى توجيه الجيوش شرقا وغربا.

وبما أن نتيجة الحرب ستكون أسرى وسبي ثم استرقاق، أو من أو فداء، فقد وفد إلى المجتمع الإسلامي في المشرق العربي خلال العصر الأموي عدد كبير من الإماء، ومن مختلف الأعراق والأجناس لأن الرجال يقتلون في الغالب في المعارك، أو يقتلون بعد أسرهم إذا خيف من شرهم، لذا كثرت الجواري والإماء في هذا العصر، وأصبحن يشكلن شريحة هامة في المجتمع الإسلامي أثرت فيه وتأثرت به.

تشير الروايات التاريخية إلى أن عمليات سبي كبيرة رافقت الفتوحات الإسلامية خلال العصر الأموي، فعلى سبيل المثال لا الحصر يذكر ابن الأثير أن غنائم موسى بن نصير فاتح المغرب سنة (91هـ/710م) قد بلغت الألوف من السبايا، وأنه بعث خمسها إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك، وقيل أن موسى لما قدم إلى الشام استقدم معه ثلاثين ألف من النساء[2] القوطيات.[3]

والمتمعن في هذا العدد(30 ألف) من النساء فقط، يجده يفتقر إلى الدقة وفيه مبالغة كبيرة، وأنه يدل على الكثرة، فكيف يعقل أن ينقل موسى بن نصير هذا العدد العائل من الأشخاص في رحلة واحدة من شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا والبرتغال) حاليا، إلى بلاد المغرب ومنها إلى بلاد الشام (دمشق)، ثم إذا كان هذا عدد السبايا من النساء دون الرجال في المناطق التي فتحت عنوة فقط، فكم يكون عدد السكان الإجمالي

1- الماوردي، الأحكام السلطانية،131؛ النووي أبو زكريا يحي بن شرف، (ت676هـ/1277م)، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (ط.2، بيروت: دار إحياء التراث العربي،1392هـ)،36/10.

2- ابن الأثير عز الدين علي بن محمد، (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله، (ط.2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ)، 343/2؛ الطبري محمد بن جرير، (ت310هـ/922م)، تاريخ الأمم والملوك، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ)، 11/1.

3- **القوط**: قبائل جرمانية، ينقسمون إلى قوط شرقيين وقوط غربيين، هاجروا إلى وسبط وجنوب غرب القارة الأوربية استقر القوط الغربيين في شبه جزيرة أيبيريا (اسبانيا والبرتغال حاليا)، وأقاموا بها مملكة خاصة بهم امتدت من القرن الخامس إلى القرن الثامن الميلادي، (418-711م)؛ (أنظر سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، (د.ط، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1976)، 70.

لهذه المناطق، وبالتالي فالمبالغة في تضخيم الأعداد واضحة، ربما تكون الغاية من ورائها الكثرة وإبراز قوة الجيوش الإسلامية في هذا العصر وترهيب الأعداء.

وعليه فإن الدولة الإسلامية حصلت على أعداد كبيرة من السبي، خلال العصر الأموي أغلبهم النساء من جراء غزوها وفتحها لمناطق عديدة في إفريقيا وأوروبا وآسيا.

والمهم هو أن الأعداد الكبيرة من الإماء التي عاشت في الدولة الإسلامية خلال العصر الأموي كانت الأغلبية الساحقة مصدرها عمليات الفتح وما رافقها من سبي للنساء، وبالتالي فالحرب والفتوح تعد من أهم مصادر الإماء في العصر الأموي، وأن هذه الحرب هي حرب مشروعة هدفها نشر الدعوة الإسلامية ومحاربة الشرك والطاغوت وإعلاء كلمة الله.

2-المصادر الاجتماعية:

كان للإماء قبل الإسلام مصادر اجتماعية عديدة، كرق الجنس[1]، ورق النسب[2]، ورق الحاجة[3] ولما جاء الإسلام قضى على رق الجنس ورق الحاجة وضيق من رق النسب.

أ-**رق الجنس:** هو أن ينتسب الفرد إلى فئة من الناس تعتبر في نظر الشعوب من الفئات التي خلقت لتكون عبيدا لغيرها، وكان هذا عرف الكثير من الشعوب التي سبقت ظهور الإسلام، كاليونان والرومان والهنود واليهود.

ب-**رق النسب:** هو أن ينتسب الفرد إلى أب أو أم من الرقيق، فأبناء وبنات الأرقاء يولدون أرقاء كآبائهم يقول جواد علي: "وقد كان ابن الجارية عند العرب يعتبر رقيقا، ويدعى لأمه حتى يلحقه أبوه بنسبه"[4] وابنة الجارية أيضا جارية كأمها حتى يلحقها أبوها بنسبه، كما فعل شداد مع ابنه عنترة، فقد كان عنترة يدعى

1- يعتبر اليهود أنفسهم شعب الله المختار، وأن الله فظلهم على سائر البشر، وأنهم وحدهم عبيد الله، وبالتالي لا يمكن أن يكونوا عبيدا لغيره، وأنه اختارهم ليكونوا سادة للناس، ويكونوا الناس عبيدا لهم (أنظر الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره)، 29.

2- اعتبرت القوانين والتشريعات التي سبقت الإسلام أن الأرقاء يورثون الرق لأبنائهم بالتناسل (زواج العبيد)، فإذا كان الأب عبدا فأولاده عرفا وقانونا عبيدا مثله، أما إذا كان الأب حرا والأم أمة، فأولادها عبيدا إلا إذا اعترف الأب بأبوتهم، (جواد علي، المفصل في تاريخ العرب)، 147/8.

3- أجازت القوانين القديمة لمن استفقر أن يبيع نفسه أو أولاده وبناته، وكان هذا الأمر مألوفا عند المصريين واليونان والرومان والهنود والصينيين، فقد كان فقراء الصين من الفلاحين يبيعون نسائهم وأبنائهم بسبب الفقر، (وال جيمس ديو رانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، (د. ط، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1964م)، 281/2.

4- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، 125/18.

لأمه زبيبة، ولما أظهر شجاعته وفروسيته ألحقه أبوه بنسبه وأصبح يدعى عنترة بن شداد بدلا من عنترة بن زبيبة.[1]

ج-**رق الحاجة**: كان معروفا أيضا وشائعا عند جميع الأمم ومنهم العرب، وكان لهذا النوع من الرق عدة طرق منها: أن يبيع الشخص (رجل أو امرأة) نفسه حين تشتد به الحاجة فيصبح رقيقا، وهذا ليتمكن من العيش بعد أن ضاقت به السبل أو يبيع أبناءه أو بناته، أو يجبر الشخص على أن يكون رقيقا نتيجة عجزه عن تسديد دين عليه، وهو ما يعرف برق الدين، وكان هذا العرف سائدا عند العرب في الجاهلية.[2]

ولما جاء الإسلام ألغى الاسترقاق بسبب الفقر أو الدين، وجعل للفقراء والمعوزين حقا في مال الأغنياء، فالزكاة التي فرضها الله على المسلم الذي بلغ ماله النصاب ودار عليه الحول، تصرف لمساعدة الفقراء والمحتاجين وتحرير الرقاب وتسديد دين الغارمين لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾.[3]

كما أن الإسلام أقر مساعدة الفقراء والمحتاجين والمدينين وحبب للدائن التنازل عن دينه واعتبر ذلك من أعمال البر، التي يتقرب بها العبد المؤمن إلى ربه اعترافا بفضله وشكرا على نعمته، وبهذا سدّ الإسلام منفذين أساسيين للرق هما رق الفقر، ورق الدين.

أما الزواج بين العبيد وما ينتج عنه من أبناء فقد حدد الإسلام وضعية هؤلاء الأبناء، كما حدد وضعية الأمة التي تلد من سيدها[4]، بالنسبة لأبناء العبيد فهم عبيد بالوراثة[5]، أما الأبناء الذين يولدون من

1-عنترة بن شداد هو عنترة بن عمر بن شداد العبسي، كان يلقب بعنترة الفلحاء لتشقق شفتيه، إ دعاه أبوه في الكبر؛ وذلك لأن أمه كانت أمة سوداء يقال لها زبيبة، ويقال أن أباه قد ادعاه حينما أغار بعض أحياء العرب على بني عبس، فقال أبوه: كر يا عنترة، فقال عنترة: العبدلا يحسن الكرة إنما الحلاب والصر –شد الضرع برباط-فقال أبوه: كر فأنت حر، (أنظر ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله مسلم، (ت276هـ/900م)، الشعر والشعراء، (ط.2، القاهرة: دار الحديث، 1423هـ)، 47/1؛ الأصفهاني علي بن الحسين أبي الفرج، (ت356هـ/ 976م)، الأغاني، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية،1986م)،241/8.

من هذه الرواية يتبين أن العرب في الجاهلية كانوا يعدون أبناء الإماء عبيدا ما لم يعترف بهم آبائهم أو يلحقونهم بنسبهم أو يعتقونهم.

2- كان العربي يسترق أيضا نتيجة القمار قيل أن أبو لهب والعاص بن هشام تقامرا على أن من يفوز يسترق صاحبه، فغلب أبو لهب العاص، فاسترقه واسترعاه إبله. (أنظر الأصفهاني، الأغاني)، 100/3.

3- التوبة، 60.

4- البخاري، صحيح البخاري، 459/8؛ البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، 19/8.

5- البخاري، صحيح البخاري، 459/8.

أب حر وأم عبدة (أمة) فهؤلاء يصنفون مع الأحرار ويلحقون بآبائهم ولهم نفس الحقوق التي يتمتع بها إخوانهم من أمهات حرائر[1]، أما الأمة التي تلد من سيدها فتصبح حرة بعد الولادة منه[2]، عملا بحديث الرسولﷺ الذي يقول فيه: **"أيما امرأة ولدت من سيدها فهي معتقة"**.[3]

وبهذا يكون الإسلام سد كل المنافذ الاجتماعية للرق من فقر، وعوز، ودين، وجنس، وضيق من منفذ الزواج (النسب)، حيث لا يعتبر عبدا إلا من ولد من أبوين مملوكين، أما من كانت أمه أمة (عبدة) وأبوه حرا فهو بحكم الإسلام حرا يتمتع بكامل الحقوق التي يتمتع بها الأحرار في المجتمع الإسلامي، لذا لم يتم استرقاق أي امرأة (أمة) في عهد الدولة الأموية بسبب الفقر أو العوز أو الدين.

هذا معناه أن الإسلام لم يشرع الرق بل شرع العتق[4]، ورغب فيه وعمل على سد كل المنافذ التي تؤدي إلى استعباد الناس، رجالا ونساء، وترك منفذ واحد غير ثابت وهو الحرب ووضع لذلك شروط وكيفيات، و لم يجعل السبي والاسترقاق هو الخيار الوحيد في الحرب المشروعة التي غايتها حماية الإسلام وأهله؛ بل جعله ضمن خيارات أخرى كالمن والفداء[5]، هذا هو الفرق بين الإسلام والقوانين الوضعية الأخرى، فالإسلام جاء ليحرر الشعوب من العبودية والجهل والشرك والظلم، ويطهرها من والفساد الأخلاقي والاجتماعي ويحافظ على كرامة الإنسان مهما كان لونه أو انتمائه العرقي.

1 – الخرشي محمد بن عبد الله أبو عبد الله المالكي، (ت1101هـ/1690م): شرح مختصر خليل، (د. ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت)، 144/3.

2- الصنعاني أبي بكر عبد الرزاق بن همام، (ت 211هـ/827م)، المصنف، تحقيق: الأعظمي حبيب الرحمان، (د. بيروت: المكتب الإسلامي، 1403م)، 233/7؛ البيهقي، سنن البيهقي،346/10.

3- الشوكاني محمد بن علي، (ت 1250هـ/1834م) نيل الأوطار، تحقيق: محمد منير، (ط.3، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، د. ت)، 154/6؛ الشيباني أحمد بن حنبل أبو عبد الله، (ت 241ه/855م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (د. ط، القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت)،317/1.

4- لم ترد في القرآن الكريم لفظة **الرق** إنما وردت عبارة **فك رقبة**، قال تعالى: **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾**، البلد، 12و13، فك رقبة معناه تحريرها من الرق، وقد اعتبر الرق قيد والعتق فك القيد، (انظر للقرطبي، تفسير القرطبي، 25/5؛ السيوطي، الدر المنثور،72/10؛ الماوردي أبو الحسن علي بن محمد(450هـ/1058م)، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم، (د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، 62/2.

5- طبق المسلمين أسلوب المن والفداء مع أسرى الحرب، وهذا يعني أنه ليس في كل الأحوال كان المسلمون يسبون النساء ومن ثم يسترقونهم، إنما كان السبي خيارا قد يضطر القائد أو أمير الجيش إلى اتباعه لأن ظروف الحرب تحتم عليه ذلك، (أنظر الماوردي، الأحكام السلطانية، 262/1؛ الكتاني عبد الحي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية)، 218/1.

3-المصادر الاقتصادية:

والمصدر الأخر هو التجارة، ويقصد بها تجارة الرقيق وهي تجارة معروفة منذ القدم، ولما ظهر الإسلام لم يحرمها[1] ولم يحببها حيث انتشرت في الدولة الإسلامية الأسواق الخاصة ببيع الإماء في الشام والحجاز ومصر والعراق.[2]

أما في العهد الأموي فقد عرفت هذه التجارة انتعاشا كبيرا؛ وربما تعود أسباب ذلك إلى كثرة الإماء الناتجة عن عمليات السبي التي رافقت الفتوحات الإسلامية، وإلى الرخاء الاجتماعي والاقتصادي الذي عرفته بعض الأسر خلال هذا العصر، وميل بعض الناس إلى حياة الترف وحاجتهم إلى من يقوم على خدماتهم[3]، فحياة الترف والأبهة تحتاج إلى الجواري والإماء للقيام بمختلف الخدمات المترلية داخل البيوت والقصور كما تحتاج لجواري مغنيات من اجل المتعة والمنادمة والتسلية.[4]

عرفت الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي، توسعا كبيرا، وقد نتج عن هذه الفتوحات أعمال سبي واسعة للنساء، وهذا لأن الحرب والمعاملة بالمثل كانت تقتضي ذلك، فقد أشارت الروايات التاريخية إلى عمليات السبي هذه والتي كان ينقل خمسها إلى دمشق،[5] باعتبارها عاصمة للخلافة الإسلامية في العصر العصر الأموي، ومن ثم يتم التصرف فيه وفي الغالب يتم بيعه، فقد ذكر ابن شيبة أن عمر بن عبد العزيز لما تولى الخلافة (99-101هـ/717-719م) بعث عميرة بن زيد الفلسطيني يبيع السبي.[6]

وكانت تسبق عمليات البيع إحصاء رقيق السبي وتقسيمه، وكانت هناك مواصفات تتحكم في سعر العبد أو الأمة، فالعبد تستحسن فيه القوة والجلد والفطنة والمهارة، والأمة أو الجارية ينظر إلى مدى

1- مالك، الموطأ، 298/4؛ البخاري، صحيح البخاري،364/7.

2- أورد الإمام مالك الكثير من المسائل الفقهية الخاصة بتجارة الرقيق وأسواقه وهذا ما يدلل على أن هذه التجارة كانت موجودة في القرن الأول الهجري وكانت لها أسواق خاصة بها يتم فيها بيع وشراء الرقيق (الإماء)، (أنظر مالك، المدونة، 217/2، و 267/2.

3- العلي صالح، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، (ط.1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1953م)، 71.

4 – الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، 19.

5- حددت الشريعة الإسلامية نصيب الدولة في الإسلام من الغنائم بالخمس، فقد اتفق الفقهاء على وجوب تخميس الغنيمة لقوله عز وجل: ﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ الأنفال،41، ويكون الخمس للإمام (خليفة المسلمين)، ينفقه في مصاريفه الشرعية، ولا يستأثر به لنفسه، (الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت،1409هـ/1988)، 12/20.

6- ابن شيبة أبو بكر عبد الله محمد، (ت235هـ/859م): المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (ط.1، الرياض: مكتبة الرشد، 1409هـ)، 337/12.

جمالها ومصدرها وثقافتها[1]، وكانت بنات الأشراف من الجواري والإماء يقومن ثم يبعن لمن يدفع فيهن السعر المرتفع، فقد قيل أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، اشترى ثلاثة بنات من سبي فارس في خلافة عمر ابن الخطاب ﷺ (13-23هـ/634-644م)[2] بعد تقويمهن، فدفع بواحدة لابنة الحسين فولدت له علي ودفع بالثانية إلى محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فولدت له القاسم، ودفع بالثالثة لعبد الله بن عمر فولدت له سالم وقيل إن هؤلاء الثلاثة(علي والقاسم وسالم) أبناء خالة.[3]

يبدو أن مهنة بيع الرقيق كانت غير مستحبة لدى المسلمين لما فيها من إهانة للنفس البشرية، حيث كان ينظر إلى ممتهنيها على أنهم من أشرار الناس، لأنهم يبيعون الناس، فقد أوردت المصادر التاريخية أن أناسا دخلوا على معاوية ابن أبي سفيان (40-60هـ/661-680م) فسألهم عن صنائعهم-مهنهم- فقالوا: بيع الرقيق، فقال: بئس التجارة، ضمان نفس ومؤونة ضرس[4]، وهي نفس النظرة عند عبد الله بن الزبير، فقد قال لرجل كان يتعاطى بيع الرقيق: ما أشد إقدامك على ركوب الغرر، وإضاعة المال، فقال: بماذا ! قال: بضاعتك الملعونة، قال: وما لها، قال: هي ضمان نفس ومؤونة ضرس.[5]

ورغم ذلك فهذه الروايات تبين أن تجارة الرقيق كانت موجودة خلال العصر الأموي، وبما أن العرب كانت تستهجن هذه التجارة لموقف الإسلام منها، فربما كان أغلب ممارسيها من غير العرب خاصة وأن الدولة الأموية كانت تضم العديد من الأقليات، كاليهود والنصارى.

كانت الإماء؛ تباع في سوق خاصة تعرف بسوق الرقيق، وفيه يعرض النحاسون تجارتهم ويقسمون إماءهم وجواريهم إلى مجموعات لكل مجموعة خواصها ومزاياها[6]، حيث يتم عرض الإماء على منصة ليراهن الناس وينادي النخاس عليهن ويمتدح مزاياهن ومحاسنهن وتجري في بعض الأحيان المزايدة عليهن

1- كان الجمال والثقافة والمصدر (الأصل) شروطا أساسية في تحديد سعر الجارية، فقد بيعت الجارية حبابة بأربعة آلاف دينار، لجمالها وإجادتها الغناء، (أنظر النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م)، 58/2.

2- ابن خلكان أبو العباس أحمد، (ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان، تحقيق: عباس إحسان، (ط.1، بيروت: دار صابر، 1900م)، 267/3.

3- ابن خلكان أبو العباس أحمد، المرجع السابق ،267/3.

4- أحمد أمين: ضحى الإسلام، (ط.6، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1961م)، 84/1.

5- الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود (ت 538هـ/1146م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، (د. ط، بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1992)،343/3؛ الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد (ت502هـ/1110م)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: الطباع عمر، (ط.2، بيروت: دار القلم ،1999م)، 212/1.

6- اشتهر كل جنس بصفات معينة وقد ألفوا في ذلك كتبا بينوا فيها الصفات المستحسنة في كل جنس، منها على سبيل المثال كتاب رسائل بن بطلان، شراء الرقيق وتقلب العبيد، تحقيق، عبد السلام هارون).

ويشتريهن من يدفع فيهن ثمن أعلى[1]، ويحق للمشتري أن يقلب الأمة أو الجارية كما يقلب أي سلعة يريد شراؤها[2]، ووفي بعض كانت الإماء والجواري الحسان المثقفات تباع في منازل خاصة أو بواسطة تاجر كبير لأن بيعهن في الأسواق العامة بمثابة عقوبة وحط من قدرهن.[3]

استعمل النخاسون[4] حيل وأساليب عديدة في إخفاء العيوب حتى أنهم كانوا يبيعون المريض بالصحيح والغلام بالجارية، فقد أورد القزويني أن سوقا يقام كل سنة في أول الربيع يقال له (بيلة[5]) يأتيه الناس من كل مكان وفيه تباع الجواري التركية والرومية والغلمان، ومن عادة هذا السوق أنه من اشترى شيئا لا يرده، وأن في هذه السوق اشترى رجلا غلاما حسن الصورة بثمن مرتفع فلما غاب عنه صاحبه تفحصه فوجده جارية.[6]

هذه الحادثة تبين بعض الحيل التي كان يستعملها تجار الرقيق بصفة عامة وتجار الإماء والجواري بصفة خاصة، وهذا لإخفاء العيوب، فقد كانوا يستعلمون العديد من العقاقير التي تحافظ على مظهر الجارية وأناقتها ولربما بالغوا في إظهار الملاحة والكشف عن المفاتن بهدف استفزاز الرغبات والشهوات وإيقاظ المشاعر، فقد أورد الزمخشري قول أحد الناخسين إذ يقول:« ربع درهم حنة يزيد ثمن الجارية مائة درهم فضة».[7]

لقد ساهمت الإماء في ازدهار تجارة الرقيق وانتعاش أسواق النخاسة خلال العصر الأموي، حيث عادة الحياة لها من جديد بعدما فقدت حيويتها ونشاطها خلال العهدين النبوي والراشدي؛ بسبب تحريم الإسلام لاستعباد المسلمين وبيعهم وتحريمه لبيع الأمة أو الجارية المسلمة للكافر[8]، وميل الناس في هذين العهدين إلى حياة الزهد والبساطة، وانشغالهم بالجهاد ونشر رسالة الإسلام، ولكن مع توسع الدولة الإسلامية في العهد الأموي وميل بعض الناس إلى حياة الترف والأبهة وتحسن الأوضاع الاجتماعية

1-الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، 87.

2 – الصنعاني، مصنف الصنعاني، 287/7.

3- الترمانيني، المصدر السابق، 87.

4 – النخاسين هم بائعي الدواب، سميو بذلك لنخسهم إياها حتى تنشط، حرفتهم النخاسة، وقد سمي بائع الرقيق نخاسا، (أنظر ابن منظور، لسان العرب)، 603/3.

5- **بيلة**: سوق تقام مرة في السنة في أول الربيع يقصدوها التجار من مناطق عدة، توجد في أرض الروم، (للمزيد انظر القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد)،218/1.

6- القزويني، آثار بلاد أخبار العباد، 218/1.

7- الزمخشري، ربيع الأبرار، 18/3؛ آدم سميث، الحضارة الإسلامية، 303/1.

8- ابن تيمية، كتاب الفتاوى، 32/ 185.

والاقتصادية لأغلب الأسر وامتلاك الناس للثروة وأخذهم بأطراف الحضارة عمدوا إلى الإكثار من الإماء.[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 – تشير الكثير من الروايات إلى الرخاء الاجتماعي والاقتصادي الذي عرفته بعض المدن في العصر الأموي خاصة مدن الحجاز والشام، (أنظر أحمد بديع الشريف، الصراع بين الموالي والعرب، 21؛ شوقي الضيف، الشعر والغناء في مكة والمدينة)، 56.

المبحث الرابع: أعراق الإماء وجنسياتهن

حدثت عمليات سبي كثيرة خلال العصر الأموي؛ نتيجة عملية الفتوح إذ تمكن المسلمون من إيصال الإسلام إلى مناطق عديدة في آسيا وإفريقيا وأوروبا، فقد ذكر اليعقوبي أن قتيبة بن مسلم الباهلي تمكن من فتح خوارزم[1] سنة (92هـ/711م)، وسبى منها مائة ألف رأس[2]، كما غزى مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم وفتح حصون عديدة وغنم شيئا كثيرا وأسر جمعا غفيرا[3]، وكان هذا في سنة تسعة وثمانون في خلافة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ) وغزا الجراح ابن عبد الله الحكمي بلاد الترك وفتح عدة مدن فيها وسبى خلقا كثيرا.[4]

هذه الأرقام وإن كانت تفتقر للدقة ومبالغ فيها كثيرا، وقد يكون الغرض من ذلك الكثرة والتضخيم وإظهار قوة المسلمون لا غير، إلا أنها تعطي تصورا عن أعراق وجنسيات الإماء والجواري اللواتي وفدن إلى المجتمع الإسلامي خلال العصر الأموي، فمنهن الهنديات، والتركيات، والأرمينيات، والروميات والبربريات، والزنجيات، والإسبانيات...الخ.

وأن هؤلاء النسوة لم يكن يختلفن من حيث الجنس (الأصل) والعرق فقط، بل يختلفن أيضا في لون البشرة، واللغة والطباع والثقافة والرقي الحضاري والاجتماعي، وقد ألف العرب كتبا عن هؤلاء النسوة ذكروا فيها أجناسهن، وصفاتهن، وأخلاقهن، وطبائعهن، وعاداتهن، وتقاليدهن، وألوانهن، وبيئاتهن.[5]

إذن لقد دخل إلي المجتمع الإسلامي في العصر الأموي نساء مسترقات (إماء)، من أعراق وجنسيات مختلفة، يتميز كل جنس منهن بأوصاف ومميزات قد لا توجد في باقي الأجناس الأخرى، كما اختلفن في الطباع، والأخلاق، والعادات، والسلوكات، والمستوى الثقافي والحضاري والاجتماعي...الخ.

1- **خوارزم**: بلدة في خراسان على حافتي نهر جيحون، كثيرة المعاصر والمزارع والخيرات، وخوارزم ليس اسم لبلدة بذاتها، إنما اسم لناحية بكاملها، توجد اليوم في إيران، (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان)، 395/2؛ (القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد)، 147/2.

2- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، (ت 284هـ/897م)، تاريخ اليعقوبي، تقديم: آل بحر العلوم محمد صادق، (د. ط، النجف: المكتبة الحيدرية، 1973)،225/1؛ والطبري، تاريخ الطبري، 13/14.

3- ابن كثير أبي الفداء إسماعيل، (ت 774هـ/1372م): البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (ط.1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1988م)، 91/9؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 225/1.

4- ابن خياط خليفة بن عمر، (ت240هـ/854م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: ضياء العمري، (ط.2، بيروت: دار القلم، مؤسسة الرسالة، 1397هـ)، 90/1.

5- ابن بطلان أبي الحسن المختار، (ت455هـ/1067م)، رسالة شافعة نافعة لشراء الرقيق وتقلب العبيد، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط.1، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1954م)؛ 374، وما بعدها.

وقد مكن احتكاك العرب بهن عن طريق الزواج والتسري أو عن طريق اتخاذهن للخدمة أومن خلال المجاورة في السكن، أو عن طريق المعاملات اليومية إلى معرفتهن معرفة واسعة، وبناء على ذلك-المعرفة-تم تصنيفهن في المجتمع إلى ثلاثة أصناف، للمتعة والخدمة وطلب الولد.[1]

فضل العرب في هذا العصر، البربريات، والفارسيات والروميات، على غيرهن من الأجناس الأخرى في طلب الولد، فقد قيل في هذا الشأن، أن البربرية تصلح للذة وطلب الولد-الإنجاب-لأنها أحدب[2] شيء على الولد، خاصة إذا جلبت صغيرة وتمت تنشئتها في المجتمع العربي فإنها تجمع بين جودة الجنس (الأصل) ودلل المكيات، وخنث[3] المدنيات، وآداب العراقيات.[4]

هذا يعني أن الأمة البربرية الأصل كانت تحظى بمكانة خاصة في نفوس أسيادها؛ لجودة أصلها وحسن أخلاقها وربما تشابه بعض العادات والتقاليد البربرية، مع العادات والتقاليد العربية، مثل الكرم والشجاعة والأنفة والعفة والوفاء.

وفي الخدمة رغب العرب في الروميات والفارسيات وفضلوهن على سائر الأجناس الأخرى واستخدموهن في مختلف الأعمال المترلية، من نظافة وطهي للطعام والإشراف على بيوت الحريم وغيرها من الأعمال داخل البيوت والقصور؛ وربما كان الدافع إلى ذلك أن الفارسيات والروميات قدمن من بيئة متحضرة ويحذقن الكثير من الأعمال خاصة المترلية منها.

وأما في مجال المتعة فقد استحسن الناس التركيات، والروميات، والفارسيات، والبربريات، على باقي الأجناس الأخرى[5]، وهذا ربما لما اتصفت به هذه الأجناس من بياض في البشرة، وملوحة، وطراوة

1- ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت597/1205م)، أخبار النساء، تحقيق: نزار رضا، (د.ط، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1982م)،1/1؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 429/2؛ الأبميشي شهاب الدين محمد بن احمد، (ت850هـ/1258م)، المستطرف في كل فن مستظرف، (د. ط، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي،1962م)، 487/2.

2- **الحدب**: هو العطف والشفة، (أنظر ابن منظور، لسان العرب، 300/1، الزبيدي، تاج العروس، 395/1؛ الجوهري، الصحاح في اللغة، 117/1.

3 - ظاهرة قديمة لم تظهر في هذا العصر فحسب، بل كانت موجودة حتى في عهد الرسول ﷺ، (أنظر ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، (ت852هـ/1260م)، الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق: البجاوي محمد علي، (ط.1، بيروت: دار الجيل،1412هـ)،440/6.

4- ابن بطلان، نوادر المخطوطات، 374.

5- أغلب أبناء الطبقة الخاصة والذين ولدوا من الإماء، كانت أمهاتهم من الروم والفرس، فمثلا يزيد بن الوليد أمه فارسية ومروان بن محمد أمه رومية وعلي بن الحسين الملقب بزين العابدين أمه فارسية، وكذلك سالم بن عبد الله بن عمر والقاسم بن محمد، والقائمة طويلة، (للمزيد أنظر ابن عساكر، تاريخ دمشق، وانساب الأشراف للبلاذري والطبقات لابن سعد).

وحلاوة وثقافة، ونظافة وتحضر، وقد تكون هذه الصفات وراء إقبال الناس على اتخاذ الجواري وتفضيلهن على الحرائر من العربيات في طلب المتعة.[1]

تعددت ألوان هؤلاء النسوة (الإماء)، واختلفت باختلاف البيئات الجغرافية التي قدمن منها، فمنهن البيض مثل الروميات والأرمنيات والفارسيات والبجاويات[2] والبربريات[3]...، ومنهن السود مثل الزنجيات والحبشيات والزغاويات[4] واللانيات[5] والديلنيات[6] والنوبيات[7]...، ولكل جنس صفات ومميزات خاصة به ففيهن الوفية، والخائنة، والمطيعة والغليظة، التي لا تصلح إلا بالعصا، وفيهن الجميلة، والذميمة القبيحة واعتبر العرب الزنوج شر السودان والأرمن شر البيضان.[8]

يبدو أن الإماء السود كن غير مستحبات في المجتمع الإسلامي خاصة للمتعة، لما يتميز به من صفات وخصائص تنفر الناس منهن مثل الغلظة والسواد وسوء الأخلاق وفساد الطبع وقسوة القلب خاصة منهن الزنجيات[9] -لا ينطبق هذا الوصف على كل الإماء السود[10]- لذا نفر منهم بعض الناس و لم يتخذوهن كأمهات لأولدهم واستعملوهم فقط في الخدمات المختلفة من طهي ونظافة وجلب للماء والاحتطاب وغيرها من الأعمال التي تحتاج إلى جلد وقوة.

1- الجاحظ، المحاسن والأضداد، 253/1؛ التوحيدي، البصائر والذخائر، 393/1.

2- **البجاويات**: نسبة إلى بجاوة وهي بلدة إلى الجنوب الغربي من الحبشة والنوبة، (للمزيد أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق)،339/1.

3- **البربريات**: نسبة إلى بلاد البربر، والبربر اسم لقبائل كثيرة في بلاد المغرب أولها برقة وآخرها المغرب الأقصى والمحيط الأطلسي، يقصد بها اليوم بلاد المغرب العربي، (أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان)، 370.

4- **الزغاويات**: نسبة إلى زغاوة وهي بلدة في جنوب المغرب (للمزيد أنظر ياقوت الحموي، المصدر السابق)، 142/3.

5- **اللانيات**: نسبة إلى بلاد واسعة في طرف أرمينيا قرب باب الأبواب مجاورة للخرز والعامة، يجلب منها العبيد، (نفسه)، 8/5.

6- **الدينليات**: نسبة إلى قرية في أرض اليمن يقال أنه ليس في أرض اليمن أحسن وجوها من نسائها، (أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان)، 460/2.

7- **النوبيات**: نسبة إلى بلاد النوبة، وهي بلاد واسعة جنوب مصر، أهلها نصارى وهم أهل شدة وبأس، أول بلادهم بلاد أسوان، يجلبون إلى مصر وفيها يباعون كعبيد، (نفسه)، 309/5.

8- ابن بطلان، نوادر المخطوطات، 374.

9- أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس، (ت414هـ/1023م)، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، (ط.1، بيروت: دار صادر 1996م)،227/1؛ ابن سيده أبو الحسن بن إسماعيل (ت448هـ /1056م)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (ط.1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1996م)233/1؛ الزبيدي، تاج العروس، 6947/1.

10- هناك من الإماء السود من سلبت قلوب بعض الرجال وجعلوهم يتعلقون بهن، (أنظر الأصفهاني، الأغاني، 108/12، الثعالبي، اللطف واللطائف)،13/1.

أما الجواري البيض وما تميزن به من حلاوة ورقة وثقافة وجمال وتحضر فقد جلبن إليهن عقول الرجال فشغفوا وتعلقوا بهن؛ واتخذوا منهن الخليلات والساريات وأمهات الأولاد والنادمات وتغنوا بهن في إشعارهن، وتحدثوا عنهن في مجالسهم وأنديتهم.

والمهم من هذا كله؛ هو إبراز ما كان عليه المجتمع الإسلامي في العصر الأموي من تنوع في الأعراق والأجناس والثقافات، فقد كان يرد على هذا المجتمع مع كل موجة حرب نساء من جنسيات مختلفة شكلن شريحة لا يستهان بها أخذت تنمو وتتفاعل مع هذا المجتمع أثرت فيه وتأثرت به.

وعليه يمكن القول أن المجتمع الإسلامي في العصر الأموي أصبح يضم خليطا من العناصر السكانية عرب يهود، وأرمن، وسلاف، وفرس، وأحباش، وأتراك...الخ، وأن هذه الأجناس كانت مختلفة من حيث اللغات والثقافات والعادات والسلوكات، وأن العناصر الوافدة إلى هذا المجتمع كانت تسعى للتأقلم مع محيطها الجديد؛ الذي ربما يختلف كثيرا عن البيئات التي قدمت منها، وهذا حتى تضمن لنفسها مكانة داخل المجتمع وتؤدي دورها على أحسن وجه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الخامس: معاملة الإماء

دعا الإسلام إلى الرفق بالمستضعفين والعطف عليهم وإكرامهم، معتبرا ذلك من أعمال البر التي يتقرب بها العبد المؤمن إلى ربه مرضاة له وطمعا في مغفرته وأجره وثوابه،قال تعالى﴿**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا**﴾.[1]

والرقيق بصفة عامة والإماء بصفة خاصة من جملة المستضعفين[2] الذين حث الإسلام على حسن ملكيتهم ومعاملتهم، والرفق بهم والإحسان إليهم، وعدم احتقارهم أو الإساءة إليهم أو الاستعلاء عليهم فقد وردت الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، في هذا الشأن منها قوله ﷺ: «**إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعنوهم**»[3]، ويقول أيضا:« **إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين، أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي علاجه**».[4]

بهذا يحاول الإسلام أن يشعر السيد بأنه يتعامل مع إنسان لديه أحاسيس ومشاعر مثله، وأن الظروف فقط هي أوقعته في الرق والعبودية، لذا يجب عليه أن يعامله بالحسنى[5]، وأن يشاركه في بعض الأمور كالمأكل والمشرب والملبس، حتى لا يشعره بالذل والهوان، والفقر والحرمان، وهي أيضا دعوة للتآخي والتراحم بين الناس أحرارهم وعبيدهم.

وقد سعى المسلمون في العصر الأموي إلى الالتزام بهذه المبادئ والوصايا في معاملة الرقيق بصفة عامة والإماء بصفة خاصة، ومن مظاهر ذلك:

1-النساء، 32.

2- أنظر أحمد بن حنبل، مسند ابن حنبل، 440/53؛ السيوطي، جامع الأحاديث، 265/40.

3- البخاري، صحيح البخاري، 478/8.

4- نفسه، 492/8.

5- أشارت الكثير من الروايات إلى المعاملة الحسنة التي كانت تتلقاها بعض الإماء في العصر الأموي، منها على سبيل المثال ما ذكره الطرطوشي أن عبد الله بن جعفر (80هـ/699م)، جاءته جارية له بقصعة من ثريد تقدمها إليه وعنده قوم، فأسرعت بها فسقطت من يدها فأصابه وأصحابه ما كان به فارتعت الجارية (خافت)، فقال لها: أنت حرة لوجه الله تعالى، لعله يكون كفارة للروع الذي أصابك، (أنظر الطرطوشي أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد، سراج الملوك، (ط.1، القاهرة: المطبعة الأزهرية المصرية، 1319هـ)، 119/1.

1) رفع الظلم عن الإماء من خلال إعادة الاعتبار لمن استعبدت ظلما فقد روي أن فاطمة بنت عبد الملك ابن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز(ت101هـ/720م)، أهدته جارية حسناء، فلما جلس معها سألها: من أي البلاد أنت؟ فأجابته الجارية بأنها من بلاد المغرب، وأن عامله على المغرب أخذها بسبب جناية ارتكبها أبوها، وأرسلها كجارية إلى زوجة الخليفة، فصاح عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إن لله وإنّا إليه راجعون، كدن والله نفتضح ونهلك، وأمر على الفور بإعادتها إلى بلادها معززة مكرمة ودفع ديون أبيها وعاقب الوالي.[1]

هذه الرواية تبرز مدى التزام المسلمين – الغالبية العظمى-في هذا العصر بدعوة الإسلام إلى نبذ كل أشكال الظلم والجور في حق الإماء وحرص المسلمون حكاما ومحكومين على الامتثال للقوانين والتشريعات، من خلال الاستماع إلى تظلماتها وشكواها ومعاقبة كل من تخول له نفسه الاعتداء على حقوقها أو إذلالها أو إهانتها وقد قام الخلفاء، والأمراء،والقضاة، والفقهاء، والمحتسبين، بدور هام في ذلك لاستقامتهم وعدلهم ونزاهتهم.

2) حسن ملكيتهن والعطف عليهن وعدم زجرهن أو معاقبتهن والحلم معهن، وهذا ما يلاحظ في رواية ابن عساكر، فقد ذكر أن علي ابن الحسين (ت95هـ/714م) الذي اشتهر بلقب محرر العبيد – لكثرة من أعتقهم- كان له جارية تصب عليه ماء الوضوء فوقع الإناء من يدها على رأسه فجرحه وأسال دمه فنظر إليها غاضبا فقالت له: سيدي إن الله تعالى يقول: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾[2] فأجاب قد كظمت غيظي، قالت ويقول: ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾[3] قال قد عفوت عنك، قالت: ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[4]، فقال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله.[5]

يتضح من هذه الروايات حرص بعض المسلمين في العصر الأموي، على معاملة إمائهم بالحسنى والبر بهم والعطف عليهم، ويظهر ذلك في عتق الكثير منهن، والزواج بهن وانتقالهن إلى الحياة الزوجية.

1- ابن عساكر أبو القاسم بن الحسين، (571هـ/1175م)، تاريخ دمشق، تحقيق: العموري عمرو بن غرامة، (ط.3، د. م: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1991م)، 114/11؛ ابن عبد الحكم أبي محمد عبد الله، (ت 214هـ/827م)، سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق: أحمد عبيد، (د. ط، بيروت: دار عالم النشر، 1984م)، 56/1.

2- آل عمران، 134.

3- آل عمران، 134.

4-آل عمران، 148.

5- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 240/17.

هذه بعض الأمثلة عن المعاملة الحسنة التي كانت تتلقاها الإماء في المجتمع الإسلامي خلال العصر الأموي، لأن دعوة الإسلام إلى حسن معاملة الإماء والرفق بهن لم تكن دعوة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بصحابته الكرام، إنما هي دعوة عامة موجهة لجميع المسلمين في كل زمان ومكان، وقد سار المسلمون على النهج الذي رسمه الرسول صلى الله عليه وسلم في معاملة الإماء والعبيد خلال العصر الأموي، وإن حدثت بعض التجاوزات في هذا العصر فهي أعمال فردية تحسب على أصحابها لا على الأمة الإسلامية أو الدين الإسلامي.

وقد شهد بهذه المعاملة الحسنة للرقيق إماء كانوا أم عبيد بعض المنصفين، من غير المسلمين، تقول المستشرقة الألمانية أنا ماري شيمل[1]: الإسلام يأمر بحسن معاملة النساء اللواتي فقدن حريتهن ووقعن في الرق كما دعا إلى إعطائهن حقوقهن كاملة والبر بهم والعطف عليهن...وقد تبوأ بعض الإماء والجواري أرفع المراكز... وهذا ما يستخلص من قراءة التاريخ الإسلامي عامة.[2]

هذه الشهادة تعبر بصدق عن وضعية الإماء في المجتمع الإسلامي، وكيف تمتعن بحقوقهن والمعاملة الحسنة التي كن يعاملن بها ووصول البعض منهن إلى ارفع المراكز الاجتماعية، هذا كله بفضل المبادئ التي جاء بها الإسلام وسعي المسلمون إلى تجسيدها على ارض الواقع.

أما جوستاف لبون،[3] فقد أكد في كتابه حضارة العرب أن أوضاع الإماء في البلاد العربية كانت أفضل بما لا يقاس من خدم المنازل في الغرب، حيث كانوا يعتبرون من أفراد الأسرة، لا فوارق بينهم وبين الأبناء، فهم يتناولون ذات الطعام ويلبسون ملابس مماثلة لأسيادهم ويختلطون بهم في المعيشة اختلاطا تاما حتى لا يكاد الغريب عن المكان يميز بين الأمة وسيدها في الأسرة العربية.[4]

والمتمعن في هذه الشهادة وهي صادرة عن شخص غير مسلم، يدرك تماما مدى التزام المسلمين بتعاليم دينهم الحنيف، والمستوى الحضاري الذي وصلوا إليه في تلك الفترة، ونظرتهم الراقية؛ للإنسان

1- **ماري شيمل**: كاتبة ومترجمة وصحافية ألمانية الأصل، ولدت 1922م، تتقن العديد من اللغات، منها العربية، عرفت بشغفها وإعجابها بكل ما هو روحاني صوفي في الإسلام، (الموسوعة الحرة، موقع ويكيبيديا) http://ar.wikipedia.org

2- عبد الحميد إبراهيم الرق بين الإسلام والأمم الأخرى،56.

3- **جوستاف لوبون**: طبيب ومؤرخ فرنسي، توفي سنة 1931، من المهتمين بحضارة الشرق، قام برحلات عديدة إلى العالم الإسلامي، من أشهر مؤلفاته، حضارة العرب، ألفه سنة 1884م، (الموسوعة الحرة، موقع ويكيبيديا).http://ar.wikipedia.org

4- عبد الحميد محمد إبراهيم: الرق بين الإسلام والأمم الأخرى، (ط.1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1990م)، 56.

بصرف النظر عن عرقه أو دينه أو جنسه أو مركزه الاجتماعي والقانوني؛ فهو في نظرهم إنسان ويجب أن يعامل على هذا الأساس، وربما هذه الصفات لا نجدها اليوم حتى عند أكثر الشعوب تحضرا.

أما الكاتب الفرنسي هوب هاي، فقد ذكر في كتابه التطور الأخلاقي: أن الإسلام كان أول الأديان التي اعترفت بقدسية الإنسان وعملت على تحرير الإماء بصفة خاصة والرقيق بصفة عامة.[1]

وربما هذا لأن المرأة أكثر عرضة للاسترقاق من الرجل، فالرجال في الغالب يقتلون في المعارك أو يفرون، ثم أن النساء من المستضعفين الذين دعا الإسلام إلى الإحسان إليهم والعطف عليهم.[2]

وقال المستشرق الألماني سنوك[3]: إن من فضل الله على الإماء إذا ما أكرمهن أن يقعن في يد مسلم وأن أهل أوروبا الذين يضنون أن الأمة في الإسلام تشبه مثيلتها من الزنوج في أمريكا مخطئون كل الخطأ إذ أن الأمة في الإسلام تشتبه تماما الخادمة أو العاملة في أوروبا، وكثيرا ما ينتقل الإماء من الرق والعبودية في الإسلام إلى الحرية بعد زمن يسير، وأن الأمة التي تتزوج من مسلم فتلد منه تشبه الحرة في أنها لا تباع ولا تشترى ولا توهب وأولادها منه أحرارا، وهي تأخذ حريتها كاملة إذا مات زوجها... وأن الإماء في الإسلام ينتقلن من حالة الوحشية والبداوة إلى الإنسانية.[4]

أما هذه الرواية فتبرز بوضوح الفرق بين نظرة الإسلام إلى عبودية المرأة ونظرة القوانين والتشريعات الأخرى، فالإسلام ينظر إلى هذه العبودية على أنها حالة عابرة أملتها ظروف معينة وان الحرية هي الأصل، فشرع العتق ويسر الطرق المؤدية إليه؛ ورغب فيه من خلال الثواب العظيم، والمغفرة والتكفير عن الذنوب لكل من يقوم بذلك.

هذه بعض الشهادات، التي شهد بها أناس لا ينتمون إلى الإسلام عن حسن معاملة المسلمين للإماء في كل زمان ومكان، وعن وضعية هذه الشريحة في المجتمع الإسلامي، والحقوق التي استفادت منها وبما أن الموضوع محدد زمنيا بالعصر الأموي فإنه يمكن القول أن هذا العصر قد يكون من أزهى العصور الإسلامية بعد العهد النبوي والراشدي بالنسبة للإماء بصفة خاصة والعبيد بصفة عامة.

1- عبد الحميد محمد إبراهيم، الرق بين الإسلام والأمم الأخرى، 56.

2- لقد كان من وصايا الرسول عليه الصلاة والسلام الأخيرة وهو على فراش الموت قوله:"**الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم**" (أنظر الغزالي أبو حامد، (505 هـ /1111م)، إحياء علوم الدين، (ط.2، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، 1966م)، 149.

3- **سنوك**: مستشرق هولندي،(ت1936م)، رحل إلى مكة لدراسة الإسلام واللغة العربية، درس على يد علماء مكة، من أهم آرائه أن القرآن ليس وحيا من الله إنما هو كلام محمد يحتوي على تعاليم دينه، (الموسوعة الحرة ويكيبيديا).http://ar.wikipedia.org

4- عبد الحميد إبراهيم، الرق بين الإسلام والأمم الأخرى،56.

المبحث السادس:حقوق الإماء و واجباتهن

أولا: الحقوق

استفادت الإماء في العصر الأموي من الحقوق التي منحها الإسلام لها، لأن المجتمع في هذا العصر كان حريصا كل الحرص على الامتثال لأوامر الدين ونواهيه، ولأن الدولة الإسلامية سعت جاهدة إلى تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية، ويتجلى ذلك في سيرة العديد من الخلفاء الأمويين وعلى رأسهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، يضاف إلى ذلك نزاهة القضاة والفقهاء وعدلهم وجرأتهم على قول الحق، وتقيدهم بالأحكام الإسلامية وردهم للمظالم ووقوفهم في وجه الظلم مهما كان مصدره.

ومع ذلك قد تكون هناك بعض التجاوزات في حق البعض منهن، لكنها تبقى حالات فردية لا يقاس عليها أما الحقوق التي مارستها الإماء خلال العصر الأموي فاهمها:

1-الحق في التعليم:

من الحقوق التي كلفها الإسلام للإماء والجواري الحق في التعليم، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يحث على طلب العلم و لم يستثن من ذلك أحدا عبدا كان أم حرا، كما حث على تعليم الإماء في قوله: **"أيما رجل كانت عنده جارية فعلمها وأحسن تعليمها وأدبها وأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران"**[1]، أجر تعليمها أمور دينها وعتقها وأجر الزواج بها، وهذا الحق ليس إلزاميا بل يعتمد بالدرجة الأولى على إنسانية السيد أو المالك.

وبالطبع فقد مارست الإماء هذا الحق خاصة المسلمات منهن، لأنه من غير المعقول أن تؤدي الأمة واجباتها الدينية وهي تجهلها؛ فإقامة الصلاة مثلا تحتاج منها أن تكون حافظة لبعض السور والآيات القرآنية الكريمة؛ وإلا فصلاتها غير صحيحة والتقرب من الله سبحانه وتعالى بالدعاء، يستوجب تعلم بعض الأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقراءة القرآن الكريم تتطلب معرفة اللغة العربية... .

هذا عن التعليم الديني أما عن تعليم الإماء والجواري الأدب واللغة والشعر وتثقيفهن، فكان أمرا شائعا في العصر الأموي، وقد أشار الترمانيني إلى انتشار هذه الظاهرة في الحجاز، وكان يقوم بهذا الدور المقينون، وهذا حتى يجمع هؤلاء الإماء بين جمال المظهر وحسن الأدب".[2]

1-البخاري، صحيح البخاري، 476/8.

2- الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، 97.

كما أن رجال الطبقة الخاصة كانوا يعهدون بجواريهم وإمائهم إلى معلمين ومؤدبين يصهرون على تعليمهن وتثقيفهن، وبهذا استفاد جزء كبير من الإماء في العصر الأموي بهذا الحق سواء كان الدافع من ورائه ابتغاء مرضاة الله وطمعا في أجره وثوابه كما كان يفعل العلماء والفقهاء والصالحون من الناس، أو كان الدافع هو جمع الأموال كما كان يفعل النخاسون والمقينون لأن تعليم الإماء والجواري وتثقيفهن يزيد من أسعارهن.

2-الحق في الزواج والطلاق:

من الحقوق التي تمتعت به الإماء في العصر الأموي؛ الحق في الزواج والطلاق وتكوين أسرة، فقد سمحت التشريعات في هذا العصر بزواج الإماء والجواري سواء من العبيد مثلهم أم من الأحرار بعد العتق وكان زواج العبيد فيما بينهم أمرا شائعا ومألوفا ومعترفا به[1]، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل سمحت هذه التشريعات للأسياد بالزواج من إمائهم بعد عتقهن واتخاذهن للتسري والاستيلاد، وكان بعض السادة في هذا العصر يساهمون في الزواج بين إمائهم وعبيدهم[2]، فقد اعتق عبد الله بن عمر جارية له كانت من أحب جواريه إلى قلبه وزوجها لمولى له.[3]

3-حق الرعاية والحماية

تمتعت الإماء في هذا العصر بحق الرعاية والحماية، حيث كان السادة يتولون الإنفاق على إمائهم وجواريهم، ويشاركوهن في المأكل والمشرب والملبس والمسكن، أما المحظوظات منهن فقد تأنقن في الملبس والمطعم، وارتقت مكانتهن الاجتماعية كما هو الحال بالنسبة لإماء الخلفاء والأمراء والأثرياء، خاصة اللواتي كانت لهن حظوة عند أسيادهن فقد ذكر الأصفهاني أن جارية أحد الخلفاء كانت عليها غلالة ورداء معصفران، وعليها وشاحان من ذهب، وفي عنقها فصلان من اللؤلؤ و الزبرجل والياقوت.[4]

1- قنتت الشريعة الإسلامية زواج الإماء، وبينت شروطه وكيفياته، وعالجته بشكل دقيق، لما له من تأثير على المجتمع الإسلامي، (أنظر البخاري، صحيح البخاري، باب العتق، 7/9، والنكاح، 290/16؛ السيوطي، الدر المنثور)،73/3.

2- ابن كثير، البداية والنهاية، 8/9.

3- ابن عساكر، تاريخ دمشق،131/31.

4- الأصفهاني، الأغاني، 271/4.

قام الخلفاء[1] والولاة والقضاة والمحتسبين في هذا العصر بدور هام في حماية الفئات المستضعفة مثل الإماء وهذا بالاستماع إلى تظلماتهن وإنصافهن، أو من خلال حمايتهن من الاعتداءات المختلفة ومعاقبة كل من تخول له نفسه الاعتداء على حقوقهن وكان يتولى هذه المهمة المحتسبين[2] والقضاة على وجه التحديد فقد روي أن القاضي إياس (ت122هـ/739م)[3]، نهى الأسياد عن إجبار عبيدهم وإمائهم على دفع الضريبة-قسط من المال-قائلا: يعمد أحدكم إلى الجارية فيقول لها، اذهبي فأدي الضريبة، إنما يقول لها اذهبي فازني وأطعميني[4]! كما منع الخلفاء والأمراء والقضاة والمحتسبين الناس من إجبار إمائهم على البغي وهي ظاهرة كانت موجودة في المجتمع العربي في الجاهلية.[5]

تظهر هذه الروايات استفادة الإماء من حق الحماية والرعاية الذي كفله الإسلام لها، كما تبرز دور ولاة الأمور في هذا العصر في التكفل بالفئات المستضعفة، ومساعدتها م وقضاء حوائجها.

4-الاستفادة من مال الصدقات:

خصصت الدولة الإسلامية في العهد الأموي، سهم "**وفي الرقاب**"[6] لتحرير العبيد؛ حيث كان يصرف هذا السهم في فك الرقاب وتحرير العبيد والإماء من العبودية وهذا من خلال إعانة العبد(عبد أو

1- روي أن معاوية بن أبي سفيان، (ت60هـ/680م)، كان يأمر كل يوم بكرسيه؛ فيوضع حيث المقصورة في المسجد، فيأتيه ابن السبيل، والأعرابي والإماء والعجائز والصبيان فيقضي حوائجهم ولا يضجر، (أنظر القلعي أبو عبد الله محمد بن الحسين (ت673هـ/ 1274م)، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحقيق: إبراهيم يوسف ومصطفى عجو، (ط. 1 الأردن: مكتبة المنار، د. ت)، 163/1.

2- **المحتسب**: هو من ينصبه الإمام (الحاكم)، أو نائبه للنظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم، وتصفح أحوال السوق في معاملاتهم، واعتبار موازنهم وغشهم ومراعاة ما تسري عليه أمورهم، واستتابة المخالفين وتحذيرهم بالعقوبة، وتعزيرهم، (أنظر الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين)،512/2.

3- هو أبو وائلة إياس بن معاوية بن قرة، تولى قضاء البصرة في خلافة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/718-20م)، اشتهر إلى جانب فقهه بالذكاء والفطنة والفصاحة، (ابن كثير، البداية والنهاية، 366/3؛ وكيع أبو بكر محمد بن خلف بن حيان الضبي، (ت306هـ/918م)، أخبار القضاة، تحقيق: المراغي عبد العزيز مصطفى، (ط.1، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1947م)،326/1.

4-وكيع، أخبار القضاة،329/1.

5- كان للبغايا في الجاهلية رايات يعرفن بها وكان أكثر الناس يُكْرِهون إمائهم على البغاء والخروج إلى تلك الرايات، (أنظر ابن عبد ربه، العقد الفريد)، 199/2.

6- قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾، التوبة، 60، كان في العصر الأموي هذا السهم يصرف في تحرير الرقيق من العبودية، بإعانة العبد المسلم الذي كاتبه سيده على أن يقدم له مبلغا معين من المال فإذا أداه إليه حصل على عتقه وحريته، أو بشراء الرجل من مال زكاته عبدا أو أمة =فيعتقه أو يعتقها، (أنظر: ابن سلام أبو عبيد القاسم (ت224هـ/838م)، كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، (بيروت: دار الفكر، 1408م)،722.

أمة) المسلم الذي كاتبه[1] سيده على أن يقدم له مبلغا معينا من المال فإذا أداه إليه حصل على عتقه وحريته أو بشراء الرجل من زكاة ماله عبدا أو أمة فيعتقه أو يعتقها، فقد ذكر ابن الجوزي، أن سعيد بن يحي قال: بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقيا؛ فجمعتها ثم طلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد فقيرا يأخذها ... فاشتريت بها عبيدا فأعتقتهم.[2]

هذه الرواية تبين بوضوح قيام الدولة الإسلامية في هذا العصر بشراء الإماء والعبيد من أموال الصدقات وعتقهم، وبهذا تحرر العديد منهم خاصة في خلافة عمر بن عبد العزيز، لما عرف عنه من عدل واستقامة ورده للمظالم[3].

5-الحق في العتق:[4]

من الحقوق التي استفادت منها الإماء الحق في العتق، فقد حدثت عمليات عتق كثيرة خلال العصر الأموي[5] قام بها أصحابها إما تقربا إلى الله أو تكفيرا عن بعض الذنوب والخطايا[6]، مكنت الكثير من الإماء من التحرر والانعتاق، فقد أوردت المصادر التاريخية العديد من الروايات عن أشخاص قاموا بعتق إمائهم لوجه الله طمعا في مغفرته ورضاه، أو لجودهم وكرمهم وطيبة أخلاقهم، أو لانشغالهم عنهم بأمور أخرى فهذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، لما آلت إليه الخلافة، يخير إمائه بين العتق أو البقاء معه، لأنه انشغل عنهن بأمور الخلافة؛ فقد أورد ابن عساكر أنه لما أفضت إليه الخلافة سمع الناس بكاء عاليا في بيته،

---

1 - **المكاتبة**: هي أن يكاتب الرجل عبده أو أمته على مال منجم، ويكتب العبد عليه إن يعتقه إذا أدى المال المتفق عليه، (أنظر،ابن منظور، لسان العرب،698/1؛ الزبيدي، تاج العروس،890/1؛ المناوي، التعاريف)،499/1.

2- ابن الجوزي جمال الدين بن محمد، (ت 597هـ/ 1201م)، صفوة الصفوة، تحقيق: أحمد بن علي، (د. ط، القاهرة: دار الحديث، 2000م)، 363.

3- نفسه

4- **العتق**: العتق في اللغة القوة وفي الشرع هي قوة حكمية يصير بها أهلا للتصرفات الشرعية، (أنظر: الجرجاني علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: الأبياري إبراهيم، (ط.1، بيروت: دار الكتاب العربي،1405هـ)، 133.

5-روى الأبهشي: أن عبد الله بن أبي بكرة – وهو من أجواد العرب في هذا العصر- كان يعتق في كل عيد مائة رقبة، (الأبهيشي ، المستطرف في كل فن مستظرف، 158/1؛ على الرغم من المبالغة التي قد يتضمنها هذا العدد، إلا أنه يعبر بصدق عن كثرة حالات العتق التي كانت تمت خلال هذا العصر لسبب أو لآخر.

6- جعل الإسلام العتق كفارة للعديد من الذنوب والخطايا مثل: القتل الخطأ لقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا...الآية**﴾، النساء، 92، والحنث في اليمين لقوله تعالى: ﴿**لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ باللّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ**﴾، المائدة، 69، والظهار لقوله تعالى: "**وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾، المجادلة، 3، كما أن الإفطار في رمضان عمدا يوجب العتق، روى أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: هلكت يا رسول الله، قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان (في النهار)، قال: هل تجد ما تعتق به رقبة؟...، (أنظر: البخاري، صحيح البخاري)، 163/1.

فلما سألوا عن ذلك؟ قيل أن عمر بن عبد العزيز خير إمائه فقال: أنه نزل في أمر شغلني عنكن، فمن أحب أن أعتقه ومن أحب البقاء أمسكته[1]، أما الزمخشري، فقد ذكر أن عبد الله بن عمر، أعتق امة له كان يحبها امتثالا لقوله تعالى﴿ **لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[2]، كما كان بعض الناس في هذا العصر يعتقون إماءهم لحسن أخلاقهن ونباهتهن وأدبهن وفطنتهن.[3]

هذه الروايات تظهر وتبرز حالات العتق الكثيرة التي شهدها العصر الأموي، التي استفادت منها الإماء، كما تبرز تنوع أساليب العتق في هذا العصر واختلافها؛ باختلاف الأسباب والغايات.

يستنتج مما سبق أن الإماء في العصر الأموي، استفدن من حق العتق وأن أعدادا كبيرة منهن انتقلن من حياة الرق إلى الحرية، وبالتالي أصبحن أحرارا، وبهذا يكون العتق قد ساهم في تحسين الوضعية الاجتماعية للكثير منهن وضمن اندماجهن في المجتمع؛ خاصة اللواتي انتقلن إلى الحياة الزوجية.

6-المشاركة في الحياة العامة:

سمحت التشريعات الإسلامية في العصر الأموي، للإماء من المشاركة في الحياة العامة، وإبراز قدراتهن ومواهبهن في العديد من المجالات، فكان منهن الطبخات، والحاضنات، والخياطات، والمغنيات والراقصات، والشاعرات[4]...، وتمكن البعض منهن، من الوصول إلي أعلى المراكز الاجتماعية، (سراري الخلفاء والأمراء)، والنبوغ في الشعر[5] والغناء[6]، فقد ذكرت المصادر التاريخية الكثير من الأسماء لإماء، تركن تركن بصمات بارزة في الحياة الأدبية والفنية، أمثال الجارية، هوى[7] التي أهداها معاوية بن أبي سفيان، للحسين بن علي؛ فقد قيل أنها كانت على قدر كبير من العلم والمعرفة وقراءة للقرآن الكريم وترتيله، كما وصفت بالأخلاق الفاضلة، وجمال المظهر، والجارية غزة الميلاء، التي عاشت في المدينة وكانت من امهر الجواري في الغناء، وإليها يعود الفضل في نقل الكثير من الألحان الفارسية إلى العربية، وكان بيتها عبارة عن

1- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 168/45؛ ابن الجوزي سيرة عمر بن عبد العزيز، 70/1.

2- آل عمران، 92.

3- البيهقي إبراهيم بن محمد، (ت 320ه/93م)، المحاسن والمساوئ، (د.ط،بيروت: دار صادر، 1960م)، 243.

4- بالرغم من انشغال العديد من الإماء خاصة المغنيات واهتمامهن بالشعر ومحاولتهن النبوغ فيه إلا أنهن لم يصلن في هذا المجال إلى ما وصلت إليه المرأة العربية الحرة؛ وقد يعود سبب ذلك إلى عدم تمكنهن من إتقان اللغة العربية؛ وهذا ما يستشف من رواية ابن الجوزي، فقد ذكر أن العرب في العصر الأموي لم تكن تعد شاعرا من كان في شعره لين، (الكتاني، التراتيب الإدارية،) 55/1.

5- الأصفهاني، الأغاني،44/1؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 437/2.

6- نفسه، 1 /57.

7- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 70/ 197.

نادي تقام فيه الحفلات، وكان يحضرها العامة والخاصة من شعراء، ومغنيين، وأشراف، اشتهرت بأخلاقها الفاضلة وجمالها، وحسن إسلامها.[1]

كما أن هذه الحقوق تعطي صورة واضحة عن التنظيم الاجتماعي للدولة الإسلامية في العصر الأموي وهو تنظيم قائم على المساواة بين العبيد والسادة في بعض الحقوق، كما هو قائم على التراحم والتآخي بين جميع أفراد المجتمع عبيدا وأحرارا، وفي ذلك ضمان لتعايش جميع الطبقات، طالما أن القوانين والتشريعات تصون هذه الحقوق وتحميها، ومع ذلك يبقى التفاوت الاجتماعي موجود ما دام هناك غني وفقير، حاكم ومحكوم، شريف ووضيع ...الخ.

ثانيا: الواجبات

مقابل الحقوق التي تمتعت بها الإماء في العصر الأموي، وهي حقوق كفلها الإسلام وصانتها القوانين والتشريعات، ألزمت هذه الفئة أيضا بتأدية بعض الواجبات التي فرضها عليها الإسلام اتجاه أسيادها أو مالكيها، وهي بمثابة حقوق للسادة على إمائهن، ومن أهمها:

1-**الطاعة والإخلاص**: على الأمة أن تطيع سيدها في كل ما يأمرها به ما دام لا يخالف الشريعة الإسلامية وان تخلص له في عملها وفي أمور بيته؛ وان لا تبوح بأسرار سيدها، وكان بعض الأسياد في هذا العصر يستخدمون إمائهم كواسطة بينهم وبين من يهوون(يحبون)، كما حدث مع عمر بن أبي ربيعة وجارية له.[2]

2-**خدمة السيد**: من الواجبات التي فرضت على الإماء في هذا العصر خدمة السيد بإخلاص وأمانة وصيانة عرضه وشرفه في غيابه وحضوره، وقد اشتهرت الكثير من الإماء في العصر الأموي بوفائهن وإخلاصهن لأسيادهن، كما هو الحال لجارية كانت لعبد الله بن الزبير.[3]

3-**المحافظة على أملاك السيد**: أوجب الإسلام على الأمة المحافظة على أملاك سيدها واعتبارها كأملاكها ومن ثم حمايتها، سواء أكان هذا داخل البيوت أو في مكان العمل (مزرعة، معمل، محل تجاري)، وقد قام

1- الأصفهاني، الأغاني، 164/17.

2- الأصفهاني، الأغاني،208/1.

3- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 153/2.

بعض الإماء بهذا الواجب على أكمل وجه، وبذلك نلن ثقة أسيادهن وأصبحن يتصرفن في أملاكهم كأنها أملاكهن كما حدث مع جارية قيس بن سعد بن معاذ.[1]

4-**التصرف بشكل لائق:** باعتبار أن السيد ولي نعمة الأمة وكافلها، فمن واجبها أن تحسن التصرف معه وان لا تخرج عن طوعه؛ ما لم يأمرها بارتكاب معصية أو مخالفة الشريعة، ولا يجب أن تقوم بأي تصرف فيه إساءة للبيت الذي تعيش فيه أو المجتمع الذي تنتمي إليه، (المجتمع العربي الإسلامي).

5 –**الولاء للسيد:** أوجبت الشريعة الإسلامية على الإماء الولاء لأسيادهن بعد العتق، عملا بقول الرسول ﷺ **"الولاء لمن اعتق"**[2]، وقال أيضا: «**الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب**»[3]، فالعاتق وإن زالت ملكيته على عبده أو أمته يبقى ملزم برعايتهما ومدهما بما يحتاجان إليه والعبد (رجل وامرأة) الذي استرد حريته ملزم بأن يرعى جميل من أعقته، فالعتق بجميع صوره إحسان يجب أن يقابله إحسان مثله ومن أجل ذلك يلتزم العبد المعتق بولاء معتقه الذي وهبه نعمة الحرية كما يكون من حق العاتق أن يرث معتقه في جميع أمواله إن لم يكن له وارث من عصبته أو ذوي فروضه، فإن كان له وارث من هؤلاء فلا شيء للعاتق.[4]

بالإضافة إلى هذه الواجبات من حق السيد أيضا على إمائه؛ الوفاء له والاعتراف بالجميل ومساعدته إذا احتاج إلى ذلك، وهي كلها أمور إنسانية الهدف منها تمتين وتوطيد العلاقة بين الإماء وأسيادهن، وضمان تعايش الجميع في مجتمع واحد دون صراع أو كراهية ما دامت الحقوق والواجبات مصانة من قبل القوانين والتشريعات.

كما تطرق الفقهاء أيضا إلى جميع المسائل المتعلقة بالإماء، مثل السرقة، والزنا، وشرب الخمر والعدة، والإرث وغيرها كثير، فمثلا: اعتبرت الشريعة الإسلامية زواج الأمة دون إذن سيدها باطلا[5]

1- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 86/1، ابن حجة الحموي تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله، (ت837هـ/1433م)، ثمرات الأوراق، تحقيق: عصام شعيتو، (ط.1، بيروت: دار مكتبة الهلال، 1987م)، 35/1.

2- البخاري، صحيح البخاري،465/8؛ ميارة أبي عبد الله محمد بن أحمد الفاسي ميارة، (ت1072هـ/1656م)، شرح ميارة، تحقيق عبد اللطيف حسن، (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000)، 218/2؛ علي بن نايف الشحود، المفصل في شرح الشروط العمرية، (المكتبة الإلكترونية الشاملة)،156/1.

3 – البيهقي، السنن الكبرى، 240/6.

4 – مالك، الموطأ، باب ميراث الولاء، 1141/5.

5- ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي، (ت 543هـ/1148م)، المحصول في أصول الفقه، تحقيق: البدري حسين علي، (ط.1، الأردن: دار البيارق، 1999م)، 192.

وحددت عدة الأمة بحيضتين ومن الوفاة بنصف عدة الحرة؛ وبالشهور في الطلاق نصف عدة الحرة، وتحرم الأمة على زوجها الحر أو العبد بتطليقتين، إلا بعد زواج،[1] ويقام عليها نصف حد الحرة في جلد الزنا وشرب الخمر والقذف، قال تعالى: ﴿**فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[2]، وأما إذا كان الحد هو القتل أو قطع اليد فانه لا ينصف[3] وتقطع يد الأمة إذا سرقت كالحرة[4]، وإذا سرقت مال سيدها لا تقطع يدها لقيام الشبهة[5] واعتبرت الشريعة الإسلامية الرق من موانع الإرث، لذا فالأمة لا ترث ولا تورث؛ وإذا ماتت فمالها لسيدها.[6]

هذه بعض الأحكام المتعلقة بالإماء، وقد راعت الشريعة الإسلامية وضعية هؤلاء النسوة (العبودية) في الكثير منها، و لم تعاملها كما عاملت المرأة الحرة.

يبدو أن الإماء في العصر الأموي كن يسعين القيام بواجباتهن، لكسب ود أسيادهن من جهة وأملا في عتقهن من جهة ثانية، فقد روي عن الإمام الحسين بن علي(ت61هـ/681م) أنه كانت له جارية تخدمه ويعطف عليها فرأت ذات يوم أن تعبر له عن شكرها على عطفه هذا فنسقت له باقة من الورد ثم قدمتها له، فلما رآها سر بها، ونظر إليها ثم قال للجارية أنت حرة لوجه الله، فلما سئل عن ذلك قال: إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾[7]، وقد رأيت أن خير ما أرد به تحيتها هو أن أفرحها بعتقها.[8]

ما يستشف من هذه الرواية أن العلاقة بين الإماء وأسيادهن خلال العصر الأموي، كانت علاقة حميمية وقد يكون سبب ذلك؛ تفهم الأسياد لوضعية هؤلاء النسوة اللواتي ضرب عليهن الرق؛ وبالتالي فهن

1- ابن حزم على بن محمد بن حزم الأندلسي، (ت456هـ/1064م)، الأحكام في أصول الأحكام، (ط.1، القاهرة: دار الحديث، 1404هـ)، 540/8.

2- النساء، 25.

3- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 143/5.

4- مالك بن انس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، (ت179هـ/795م)، المدونة الكبرى، تحقيق: عميرات زكريا، (د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)،275/16.

5- مالك، الموطأ، 1222/5.

6- الخرشي علي، شرح مختصر خليل، (د. ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت)،222/8.

7- النساء، 86.

8- عبد الحميد إبراهيم، الرق بين الإسلام والأمم الأخرى،87-88.

مستضعفات يجب مساعدتهن والإحسان إليهن والبر بهن، هذا من جهة ومن جهة ثانية تقدير هؤلاء الإماء لحجم المسؤولية الملقاة على عاتقهن اتجاه أسيادهن واعترافهن بفضلهم وإحسانهم.

وعليه يمكن القول أن الإماء في العصر الأموي قمن بواجباتهن على أحسن وجه، -وهذا نسبيا طبعا-ويتجلى ذلك في عتق الكثير منهن لأخلاقهن ونباهتهن وحسن سيرتهن، وانتقال الكثير منهن من العبودية إلى الرابطة الزوجية حيث أصبحن أمهات أولاد.[1] وتمكن البعض منهن من نيل ثقة وإعجاب أسيادهن.[2]

من خلال ما تقدم يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

بالرغم من أن الإسلام لم يشرع الرق؛ وشرع العتق ورغب فيه، إلا أن المجتمع الإسلامي خلال العصر الأموي عرف انتشارا واسعا للجواري والإماء، الذين تم الحصول عليهن كغنائم في حرب مشروعة بين دار الإسلام ودار الكفر في إطار المعاملة بالمثل.

مكنت المبادئ الإسلامية السمحاء من عدل، ومساواة، وأخوة، وإنسانية، وحرية، الإماء من ممارسة الكثير من الحقوق التي كفلها لها الإسلام، (التعليم، الحماية، الحصانة، الرعاية، العتق...) والمشاركة في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والأدبية والفنية، التعايش مع مجتمعها الجديد.

ساعدت التشريعات الإسلامية خاصة المتعلقة بالتسري والزواج والعتق، الإماء على تحسين وضعهن الاجتماعي؛ والانتقال من حياة الرق والعبودية، إلى الحرية والانعتاق ومن ثم الاندماج في المجتمع.

بالرغم من أن الإسلام وضع منظومة متكاملة من التشريعات تخص وضعية الإماء في المجتمع الإسلامي، وشرع أحكاما عديدة لعتقهن، إلا أن ظاهرة المرأة المسترقة(الإماء)، ظلت موجودة في هذا العصر على أرض الواقع.

1- القيرواني أبو إسحاق إبراهيم (ت453هـ/1061م): زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (د. ط، بيروت: دار الجيل، د.ت)،69/1؛ ابن حمدون محمد بن الحسين بن محمد بن علي، (ت562هـ/1167م)، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، (ط.1، بيروت: دار صادر، 1996م)،345/2.

2-الأصفهاني، الأغاني،44/1، الأنطاكي داود بن عمر عبد العزيز الضرير، (ت 1008هـ/1610م)، تزين الأسواق بأخبار العشاق، تحقيق: محمد التونجي، (ط.1، بيروت: عالم الكتب،1993م)،107/1.

الفصل الثاني:

أثر الإماء في الحياة الأسرية في العصر الأموي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: مكانة الإماء في التراتبية الاجتماعية

ثانيا: أثر الإماء في تركيبة الأسرة وعلاقة أفرادها

ثالثا: أثر الإماء على الرجال

رابعا: تأثير الإماء على الزواج

خامسا: تأثير الإماء في شؤون المنزل

سادسا: تأثير الإماء على المأكل والمشرب والملبس

المبحث الأول: مكانة الإماء في التراتبية الاجتماعية

أعطى الإسلام للإماء الكثير من الحقوق، وحسن من وضعهن الاجتماعي وشرفهن بالزواج من أسيادهن، وكرمهن بالعتق بعد الولادة[1]، ورغم ذلك فإن المجتمع لم ينظر إلى أمهات الأولاد (الإماء) بمثل نظرته إلى أمهات البنين (الحرائر)، ولم تكن درجة الأمة ترقى في حال من الأحوال إلى درجة المرأة الحرة العربية، حتى بعد عتقها وزواجها من سيدها، فكانت دوما تُعيّرُ بكونها أمة، أو جارية، أو سبية، أو أم ولد.

هذه النظرة طالت حتى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، اللواتي كن من السبايا فقد ذكر البلاذري: أن جورية بنت الحارث، وهي من سبي بني عبد المصطلق اشتكت يوما إلى رسول ﷺ، افتخار ضرائرها من الحرائر عليها، قائلات: لم يتزوجك رسول الله ﷺ ولكن الرسول ﷺ، رد قائلا: ألم أتزوجك ألملك أعظم صداقك؟ ألم أعتق أربعين من قومك؟[2]

كما نجد ذلك في تصرفات بعض الخلفاء الأمويين، فقد أورد ابن عبد ربه أن عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م)، كتب إلى علي بن الحسين بن علي يؤنبه على زواجه من إحدى إيمائه بعد عتقها فرد عليه علي بن الحسين: إن الله رفع بالإسلام الخسيسة، وأتم به النقيصة، وأكرم به من اللؤم فلا عار على مسلم، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج من أمته، وزوجة عبده، فقال عبد الملك إن علي بن الحسين يتشرف من حيث يتّضع الناس.[3]

تُظهر هذه الرواية النظرة الدونية لبعض أفراد المجتمع اتجاه الإماء، في العصر الأموي خاصة في مسألة الزواج، وقد يكون مرد ذلك إلى ما شاع في هذا العصر من عصبية اتجاه العناصر الوافدة على المجتمع العربي

1- قال رسول ﷺ: "**أيما رجل ولدت آمته منه فهي معتقة**"، ولما ولدت مارية القبطية له إبراهيم قال: "**أعقتها ولدها**،" (أنظر البخاري، صحيح البخاري، 95/1؛ أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد)، 317/1.

2 البلاذري أبو الحسن محمد بن يحي، (279هـ/829م)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (ط. 4، القاهرة: دار المعارف، 1959م)، 168/4

3- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 128/6.

مما جعل العرب ينظرون إلى الإماء وأولادهن نظرة احتقار ومهانة[1] "واستنكروا الهجين من أولادهم ورفضوا أن يزوجوه بناتهم".[2]

وكانت الأمة في هذا العصر تمنع من التشبه بالحرة، فقد منعت من لبس الحجاب والجلباب[3]، حتى لا يختلط الأمر على الناس في التمييز والتفريق بينهن، وسمح لها بحكم الأعمال التي تقوم بها وباعتبارها عرضة للبيع والشراء؛ أن تظهر للناس حاسرة مكشوفة والفتنة باالإماء اقل من الفتنة الحرائر، أما المرأة الحرة فقد فرض عليها الحجاب؛ حتى يميز الناس بينها وبين الإماء والجواري وكان لبس الحجاب بالنسبة للمرأة الحرة في هذا العصر إجراء فرضته، ظروف المجتمع الإسلامي في بداية تشكيله في العهد النبوي.[4]

و لم يتوقف الأمر عند هذا التفريق بين الإماء والحرائر في اللباس والظهور إلى الناس، بل كانت الإماء في هذا العصر من بين الهدايا التي يتهادى بها الناس[5]، فكانوا يتهادونهم كما يتهادون الحلي والجواهر الثمينة، "فمن أحب التقرب من كبير أهدى إليه جارية أتقنت صنعة يعلم أنه راغب فيها! فإذا علم مثلا أنه يحب الجمال أهداه أمة جميلة، أو علم منه ميلا للغناء أهدى إليه قينة[6] رخيمة الصوت جميلة المنظر".[7]

1- روي أن كعب بن معدان الأشقري، (ت80هـ/700م)، هجا ابن أخ له من أمة سوداء فقال من البسيط:

إنّ السَّوادَ الذِي سُرْبِلْت تَعْرِفُهُ ***ميراثُ جَدِّك عن آبائه النُّوبِ

أشْبَهْت خالكَ اللُّؤْمَ مُؤْتسيـاً*** بِهَدْيِهِ سَالِكاً في شرِّ أُسْلوبِ، (أنظر الأصفهاني، الأغاني،290/1؛ القرشي عباس بن محمد الجبعي، (ت1299هـ/1882م)، حماسة القرشي، تحقيق: قبلاوي خير الدين محمود، (د.ط، دمشق: وزارة الثقافة 1995)،27/1، فكعب هنا يعير ابن أخيه بكونه ابن أمة سوداء من بلاد النوبة (السودان)، وأنه ورث اللؤم والغدر من أخواله.

2- الأصفهاني، الأغاني،86/11.

3- **الجلباب**: كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها، وقيل كل ما تستر به من كساء أو غيره، والجلباب أكبر من الخمار، (أنظر ابن حيان الأندلسي محمد بن يوسف، (ت 840هـ/1344م)، تفسير البحر المحيط، تحقيق، الشيخ عبد الموجود عادل أحمد، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001)، 174/9.

4- ذكر المفسرون في تفسير آية الحجاب التي يقول فيها تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾، الأحزاب، 59، أن أناسا من فساق المدينة، كانوا يخرجون بالليل، حين يختلط الظلام، إلى ظاهر المدينة، حيث كان النساء يخرجن لقضاء حاجتهن، فكان هؤلاء الفساق، يبتغون ذلك، فإذا رأوا امرأة عليها جلباب قالوا هذه حرة فتركوها، وإذا رأوا ليس عليها جلباب، قالوا هذه أمة فوثبوا عليها، (انظر ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت774هـ/1372م)، تفسير بن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، (ط2، د.م، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م)،482/1؛ السيوطي، الدر المنثور،208/8.

5- كان الخلفاء والأمراء في هذا العصر يهدون الجواري والإماء للشعراء ورؤساء القبائل، فقد روى المبرد أن عبد الملك بن مروان، أهدي له من خراسان جارية وفص وسيف، فقال لرجل كان معه، يا أبا محمد إن حاضر الهدية شريك فيها، فاختر واحد من الثلاثة، فاختار الجارية، (أنظر المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، (285هـ/898م)، الكامل في اللغة والأدب، تعليق، محمد أبو الفضل، (ط3، القاهرة، دار الفكر العربي، 1987م)، 163/2.

6- **القينة**: التقنين في الأصل تزين المرأة للزفاف، ثم أطلق على تزين الجاري وإصلاحها وتعليمها الغناء، والقينة أيضا الأمة مغنية كانت أم غير مغنية، (أنظر الجوهري، الصحاح في اللغة)، 104/2؛ البغدادي عبد القادر بن عمر،(ت1093هـ/1681م، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،تحقيق: طريفي محمد نبيل واليعقوب إميل بديع، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م)، 177/2.

7- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، (د.ط القاهرة: كلمات عربية للطباعة والنشر، د.ت)،144/5.

وأما الأمراء وقادة الجند فقد اتخذوا من الإماء والجواري وسيلة للتقرب من الخلفاء وكبار رجال الدولة وكسب حظوتهم ورضاهم، من خلال إهدائهم الجواري الحسان من بنات الأشراف، فقد أورد الطبري أن قتيبة بن مسلم الباهلي (97هـ/715م)[1]، أصاب بخراسان جارية من ولد يزدجرد الثالث، فقال أترون ابن هذه الجارية يكون هجينا[2] فقالوا نعم يكون هجينا من قبل أبيه، فبعث بها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي (95هـ/714م) فبعث بها الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م)، فولدت له يزيد.[3]

هذه الرواية تبين بوضوح انتقاء بعض الأمراء وقادة الجند للحسان من بنات الأشراف وإرسالهن للخلفاء، وقد يكون الدافع إلى ذلك التقرب منهم وكسب ودهم وثقتهم وإعلان ولائهم وطاعتهم؛ هذا من جهة ومن جهة أخرى ربما لأنهم كانوا يرون أن بنات الأشراف يصلحن للمتعة وطلب الولد؛"لاعتقادهم أن أولادهن يجمعن عز العرب ودهاء العجم"[4]، كما تبرز انتشار ظاهرة التسري بالإماء في هذا العصر وإنجاب الأولاد منهن.

وكان بعض الخلفاء في هذا العصر يستعملون الإماء في شراء الذمم وكسب الولاءات، من خلال إهدائهن للشعراء وشيوخ القبائل وأبناء الأشراف وعلية القوم، فقد أورد ابن عساكر أن معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-680م)، أراد إهداء جارية أعجبته تسمى "هوى" إلى الحسين بن علي رضي الله عنه وكانت تجيد قراءة القرآن، وبعد أن اشتراها معاوية، نظر إلى عمرو بن العاص وقال: لمن تصلح هذه الجارية؟ فقال: لأمير المؤمنين، ثم نظر إلى غيره، فقال له كذلك!قال: لا، فقيل لمن؟ قال: للحسين بن علي رضي الله عنه فإنه أحق بها لما له من الشرف، ولما كان بيننا وبين أبيه، فأهداها له، وحملها وحمل معها أموالا عظيمة وكسوة وغير ذلك، فلما قدمت على الحسين، قرأت له من القرآن، وأنشدت بعض الأشعار، فبكى الحسين وقال: أنت حرة وما بعث به معاوية معك فهو لك !!.[5]

1- هو قتيبة بن مسلم بن عمر الباهلي أحد قادة الفتح الإسلامي المشهورين فتح مناطق عديدة في أسيا، تولى إمارة خراسان في عهد الوليد بن عبد الملك، قتل عام97هـ/715م، (أنظر ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت774هـ/1372م)، البداية والنهاية، (ط.1، بيروت: مطبعة المعارف، 1974م)، 189/9؛ الطبري، تاريخ الطبري، 55/4.

2- **الهجين**: عند العرب الذي أبوه شريف وأمه وضيعة، والأصل في ذلك أن تكون أمة، وإنما قيل هجين من أجل البياض وكأنهم قصدوا الروم والصقالبة وما شابههم، والدليل على أن الهجين يعني الأصل(العرق)، أن العرب تقول فيما يخص ذلك: على الأسود والأحمر أي العرب والعجم، (أنظر المبرد، الكامل في الأدب، 92/2؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد)، 439/2.

3- الطبري، تاريخ الطبري، 16/4.

4- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت255هـ/868م)، المحاسن والأضداد، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط.1، القاهرة: مكتبة السنة المحمدية، 1964م)،254/1؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 93/2؛ الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء)، 158/1.

5- ابن عساكر، تاريخ دمشق الكبير، 197/70.

هذه الرواية وغيرها كثير، تعبر بصدق عن المكانة الاجتماعية التي كانت تحتلها الإماء في المجتمع الإسلامي خلال هذا العصر، فبالرغم من امتلاك البعض منهن لأخلاق فاضلة وانتسابهن لأسر شريفة[1] لم تتمكن من الارتقاء إلى مرتبة المرأة العربية الحرة، كما تعبر عن نظرة بعض الناس في هذا العصر إلى الإماء وهي نظرة لا تخرج عن تعليم الدين الحنيف، فالحسين بن علي نظر إلى الجارية بعين الرجل الورع الزاهد الذي يسعى إلى إرضاء خالقه، من خلال التقرب إليه بالعمل الصالح، لذا أعتق الجارية ووهبها ما حملته من أموال ومتاع.

وقد أدى زواج بعض الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة والأثرياء من الجواري والإماء وتسريهم بهن[2] واستلادهن، إلى تحسين المركز الاجتماعي للبعض منهن، حيث أصبحن سيدات بيوت وأمهات للخلفاء والأمراء والقادة الكبار والعلماء وانتقلن من العبودية إلى الحرية.

وعليه يمكن القول، أنه وبالرغم من الحقوق التي منحها الإسلام لهذه الفئة ووصول البعض منهن إلى قمة الهرم الاجتماعي (سراري للخلفاء وأمهات أولاد ومحظيات)، خلال العصر الأموي؛ فإن صفة المرأة المسترقة أو السبية بقيت تلاحقهن حتى بعد تحررهن، وتسمية أم الولد تلازمهن حتى ولو كن أمهات للخلفاء[3]، للخلفاء[3]، وظلت المرأة الحرة العربية في العصر الأموي أرفع شأنا وأحسن مكانة من الأمة وهي السيدة على من دونها[4]–الإماء –وهذا ما عبر عنه أحدهم بقوله من السريع:

إذَا لَمْ تَكُنْ في مَنْزِلِ المرْءِ حُرَّةٌ *** رأى خَلَلاَ فيمَا تُدير الوَلاَئِدُ [5]

فَلاَ يَتخذُ منْهُنَّ حرٌّ قَعيدة[6]*** فَهُنَّ لَعَمْر الله بِئْسَ القَعَائِدُ.[7]

1- بنات الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة، والأشراف اللواتي تم سبيهن أثناء الفتوحات الإسلامية، التي تمت في هذا العصر والعهود التي سبقته، أمثال بنات يزدجرد الثالث.

2- **التسري**: لغة معناه اتخاذ السرية، يقال تسري الرجل جاريته، وتسري بها، واسترها إذا اتخذها سرية، والسرية هي الأمة التي بوأها بيتا وهي عليه منسوبة للسر، وهو الجماع والإخفاء، لأن الرجل كثيرا ما يصرها ويسترها عن حرمه، (أنظر ابن منظور، لسان العرب، 134/2؛ الزبيدي، تاج العروس)، 682/2.

أما التسري في الاصطلاح فهو اتخاذ الأمة المملوكة للجماع من قبل سيدها، وقد عرف بهذا المعنى في جميع الأمم التي سبقت الإسلام، وكذلك فعل بعض الأنبياء عليهم السلام مثل سيدنا إبراهيم وسيدنا سليمان، إلا أن الإسلام وضع له شروط تكفل للجارية أو الأمة حقوقها وتصون كرامتها الإنسانية، (أنظر البخاري، صحيح البخاري، باب النكاح).

3- تولى منصب الخلافة في العصر الأموي ثلاثة من أبناء الإماء أنظر الملحق رقم2.

4- خاصة بنات الأشراف والخلفاء والأمراء أمثال، سكينة بنت الحسين، وأم البنين زوجة عبد الملك بن مروان، وهند بنت المهلب زوجة الحجاج بن يوسف، وفاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز وغيرهن كثيرات، (للمزيد أنظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، وابن عساكر، تاريخ دمشق).

5- **الولائد**: المقصود بها الأمة أو الجارية، يقال جارية مولودة، والوليدة الصبية والأمة وجمعها ولائد، (أنظر ابن منظور، لسان العرب، مادة ولد، 467/3؛ الزبيدي، تاج العروس)،1909/1.

6- وصف للأمة وذلك لقعودها وقيامها في خدمة مواليها لأنها تؤمر بذلك، (أنظر ابن منظور، لسان العرب، مادة قعد، 357/3).

القَعَائِـــدُ.[1]

هذه النظرة تعبر عن وجهة نظر بعض المتشددين وتبرز موقفهم من اتخاذ الإماء للـــزواج، وتفضـــيلهم للحرائر، ولكنها لم تستمر طويلا حيث عرفت تراجعا خاصة في الفترة الأخيرة من العصر الأموي حين اتخـــذ بعض الناس الإماء للمتعة وطلب الولد ودليل ذلك أن الكثير من الفقهاء والزهاد والعلماء وبعض القادة الكبار هم من أبناء الإماء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، (285هـ/898م)، الكامل في اللغة والأدب، تعليق، محمد أبو الفضل، (ط3، القـــاهرة، دار الفكـــر العـــربي، 1987م)، 154؛ الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، 49/1.

المبحث الثاني: أثر الإماء في تركيبة الأسرة وعلاقة أفرادها

اشتهر العربي في الجاهلية بزواجه بأكثر من امرأة بالإضافة إلى تسريه ببعض إمائه، ولما جاء الإسلام أبقى على تعدد الزوجات وحدد ذلك بأربع[1]، وأباح التسري بملك اليمين (الإماء)[2] دون حصر العدد كما أباح للمسلم الزواج بالكتابيات.[3]

وبما أن العصر الأموي عصر فتوحات فقد تدفقت إلى المجتمع الإسلامي خلال هذا العصر الكثير من النساء (الإماء)، من أعراق وجنسيات مختلفة، كما عرف انتشارا واسعا لظاهرة التسري، فالكثير من الأسماء التي زخرت بها كتب الأنساب والتاريخ والأدب ونبغت في مختلف المجالات أمثال محمد بن الحنفية (ت81هـ/699م)[4]، سالم بن عبد الله بن عمر(ت108هـ/727م)[5]، وعبد الملك بن عمر(ت101هـ/720م)[6]، وغيرهم هم من أبناء الإماء،كما أن العديد من الخلفاء وكبار رجال الدولة والقادة الكبار أمثال، مسلمة بن عبد الملك(ت121هـ/738م)[7]، ويزيد بن الوليد (ت126هـ/744م)[8] مروان بن محمد (ت132هـ/749م)[9]، هم من أبناء أبناء الإماء أيضا.

هذا يعني أن هذه الظاهرة لم تكن خاصة بطبقة معينة من طبقات المجتمع، بل كانت عامة مست كل الطبقات الاجتماعية بصرف النظر عن كثرتها أو قلتها، وقد نتج عن هذا تزايد أعداد أمهات الأولاد وكثرت ذريتهن في المجتمع، وهذا ما عبر عنه أحدهم بقوله من بحر الرمل:

إنَّ أوْلاَدَ السَّرارِي *** كَثِرُوا يارَبِّ فيـــنَا

ربِّ أدْخـــلِنِي بَلـــدًا ***لا أَرى فيهِ هَجينَـــا.[10]

1- قال تعالى: **﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾**، النساء، 6.

2- قال تعالى:**﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾**، المؤمنون،6

3- قال تعالى: **﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ...الآية﴾**، المائدة، 5.

4-البلاذري، أنساب الأشراف، 214/5؛ ابن سعد محمد بن سعيد بن منيع، (ت230هـ/837م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م)، 91/5.

5-ابن سعد، الطبقات،194/5؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 59/4

6- البلاذري، أنساب الأشراف، 59/3.

7-ابن عساكر، تاريخ دمشق، 27/58؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 241/5.

8-البلاذري أنساب الأشراف، 270/1؛ ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت456هـ/1064م)، جمهرة أنساب العرب، (ط.3، بيروت: دار الكتب العلمية،2003م)،20/1؛ مصعب الزبيري، نسب قريش،56/1.

9-الذهبي، سير أعلام النبلاء، 76/6؛ ابن عساكر تاريخ دمشق، 319/57.

10- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 92/2؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، 283/1.

أدى التسري بالإماء خلال العصر الأموي إلى إحداث بعض التغيرات على تركيبة الأسرة، وعلاقة أفرادها بعضهم ببعض، حيث تعددت الأنساب داخل الأسرة الواحدة –وهذا طبعا في الأسر التي تسرى فيها الأسياد بإمائهم– فأبناء الإماء ينتسبون من جهة الأم إلى الأعاجم وأبناء الحرائر ينتسبون في الغالب إلى العرب الصرحاء[1]، كما أن أبناء الأمة لم يصبحوا عبيدا مثل أمهم، كما كان الحال في الجاهلية[2]، لأن الإسلام اعتبر الأبناء الذين يولدون نتيجة التسري بين السيد وإمائه أحرارا مثل أبيهم ولهم نفس الحقوق التي يتمتع بها إخوانهم من الحرائر[3] والأمة التي يتسرى بها سيدها تصبح حرة بمجرد إنجابها منه[4]، وترتفع منزلتها إلى أم ولد وفي هذه الحالة لا يجوز بيعها أو هبها أو توريثها، لقول ابن عمر ان النبي نهى عن بيع امهات الأولاد، وقال: لايبعن ولا يهبن ولا يورثن يستمتع بها سيدها مادام حيا فإذا مات فهي حرة.[5]

نتج عن وطئ الإماء والزواج بهن بعد العتق كَثْرَةُ النساء داخل الأسرة الواحدة (زوجات سراري) كما أدى إلى كثرة الأبناء ومن أمهات عديدات (حرائر، إماء) واختلاط النسب العربي من جهة الأم[6] وقد أدى ذلك إلى تغيير في التركيبة البشرية للأسرة وفي علاقات أفرادها، فَكَثْرَةُ النساء من زوجات، وسراري ولدّت الغيرة لدى الزوجات الحرائر وساهمت في حدوث بعض المشاحنات بين الأزواج، وظهور الخلافات العائلية، كما حدث مع ميسون بنت بجدل زوجة معاوية بن أبي سفيان (60هـ/680م) وأم ولده يزيد، فقد ضاقت نفسها وانزعجت من تسري زوجها معاوية بن أبي سفيان بإحدى إمائه فاعتذر لها عن ذلك وقال لها: «إنّك في ملك عظيم وما تدرين قدره، وقد كنتِ قبل اليوم في العباءة»، فقالت في ذلك شعرا فلما سمعه معاوية، عرف أنها لم ترض و لم تقبل اعتذاره منها فقال لها: ما رضيت يا بنت بجدل حتى جعلتني عجلا عليفا[7] أما محمد بن بشير البصري فقال: علق أبي جارية لبعض الهاشميين، فبلغ أمي ذلك فعاتبته فيها، فكتب إليها

1- **الصريح**: صرح الشيء بمعنى خلص، وكل خالص صريح، والصريح من الرجال الخالص النسب وجمعه صرحاء، (ابن منظور، لسان العرب، 24/24).

2- كانت العرب في الجاهلية تعتبر ابن الأمة التي تسرى بها سيدها، عبدا مثل أمه حتى ولو كان أبوه سيد قومه، وهذا ما يستشف من سيرة الكثير منهم مثل عنترة بن شداد، وسليك بن سليكة، والشنفري وغيرهم.

3- ابن قتيبة أبو محمد مسلم، (ت 276هـ/889م)، عيون الأخبار، تصنيف: ناجي عبد الجبار، (د. ط، بغداد: دار الحكمة، 2000م)، 165/1؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 208/3.

4- البخاري، صحيح البخاري، 92/1.

5- ابن الجوزي التحقيق في احاديث الخلاف،397/2.

6- أنظر الفصل الثالث المبحث الثاني، 89.

7- الدميري كمال الدين بن موسى، (ت808هـ/1407م)، حياة الحيوان الكبرى، تهذيب وتصنيف: اسعد الفارس، (ط.1، دمشق: دار طلاس، د.ت)،108/2، الوطواط أبو إسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم، (ت718هـ/1318م)، غرر الخصائص، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م)، 16/1.

يهدئ من روعها ويشرح لها كيف طمع في سواها وطلب منها أن تقبل وضعها على ما هو وقال من البحر الطويل:

لا تتْبَعَنِّ لــوْعة إثْرِي ولاَ هَلَــعَا*** ولا تُقاسنَ بَعْدِي اللَّهمَّ والجَــــزَعَا.

ما تصْنَعَينَ بعْينِ عنْكِ طَامِحَـــــةً *** إلى سِواكِ وقلبٌ عنْكِ قــدْ نَزَغَــا.

وكانت بعض الخلافات الأسرية تدور أيضا حول الأبناء خاصة إذا كان هؤلاء الأبناء من الإماء، فهم في الغالب غير مرغوب فيهم من قبل الزوجة الحرة، لذا قد تعاملهم معاملة قاسية أو تُهْمِلهم أو تسيء التصــرف معهم، وبما أن مترلة السرية (الأمة) داخل الأسرة أقل من مترلة الزوجة(المرأة الحرة) فإن الآباء في الغالب هــم من يتولى الدفاع عن أبنائهم من الإماء محاولين إبراز حقوقهم، وهذا ما يؤدي إلى صدام بين الزوج والزوجــة كما حدث مع والد عرار بن عمر بن شاش[1] عن عندما عيّرته زوجته في ابن له من أمة سوداء وكانت تســيء معاملته، فقال لها مدافعا عن ولده عرار، ومبينا لها مغبة من يتعرض له بسوء ويقصد بــذلك زوجتــه، مــن الطويل:

أرادَتْ عِرارًا بِالْهَــوْنِ ومنْ يُــــرِدْ ***عِرارًا لعمْرِي بالهوَانِ فَقَدْ ظَلَــمْ

فإنْ كُنْتِ منِّي أوْ تُريدينَ صُحْبَتِــي*** فكوني لهُ كالسَّمْنِ رَبتْ[2] لهُ الآدم.[3]

لقد حذر أبو عرار، عمر بن شأس زوجته من مغبة تماديها في ظلم ولده (ابن الأمة)، وإهانته واحتقاره وخيّرها بين أمرين لا ثالث لهما إما الإحسان إلى الولد والعناية به وفي ذلك صلاح لهــا، وإمــا الاســتمرار والتمادي في الإساءة إليه وظلمه وبالتالي طلاقها.

وهو نفس الموقف يتكرر مع الشاعر الفرزدق(ت110هـ/728م)، عندما عاتبته زوجته النوار في بنت له من أمة زنجية سماها مكية وتكنى بها، حيث اشتكته إلى أهلها فعابوا عليه ذلك، فلم يعجب الفرزدق تصــرفها هذا، واخذ يدافع عن ابنته ويذكر بفخر واعتزاز أن ما فاتها من حسب أمها، لم يفتها مــن حســب أبيهــا وأعمامها وإخوتها، وفي ذلك قال من البحر السريع:

1- عمر بن شاس الأسدي المكنى أبي عرار، شاعر كبير من فحول الشعراء في القرن الأول الهجري، قيل أنه من المعمرين وأنــه عــاش إلى زمــن خلافة عبد الملك بن مروان، وعرار ولده هو الذي أرسله الحجاج بن يوسف الثقفي برأس ابن الأشعث إلى عبد الملك بن مروان، (أنظــر المــبرد، الكامل في اللغة والأدب،217/1؛ الزمخشري، ربيع الأبرار،391/1.

2-**الرُّبْ**: سائل خاثر قد يكون من التمر أو العسل، وجمعها الربوب والرباب، ومنه قولهم سقاء مربوب، إذا ربيته أي جعلته في الرب وأصلحته به، (أنظر ابن منظور، لسان العرب،403/1؛ الجوهري، الصحاح تاج اللغة العربية)، 131/1.

3- الأصفهاني، الأغاني،202/11، الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر (ت255هـ/868م)، رسائل الجاحظ، تحقيق، عبد الســلام هــارون، (ط.1، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، 1964م،49/1، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 86/1.

كنْتُمْ زَعَمْتُمْ أنّها ظَلمَتْكـــُمْ*** كَذِبْتُم وبيْتُ الله بَلْ تَظْلِمُوهَا

فإنْ لَمْ تَعُدُّوا أمَّها منْ نِسائِكمْ*** فإنَّ أبَاهَا والدٌ لنْ يُشِنْـــــهَا[1]

تظهر هذه الروايات جانب من الخلافات الأسرية خاصة بين الأزواج خلال هذا العصر، والسبب فيها دخول الإماء إلى الأسرة العربية، وبما أنّ هؤلاء الإماء كان أغلبهن على قدر كبير من الجمال والتحضر، خاصة القادمات من بيئة متحضرة كالفارسيات والروميات، فقد ولّد ذلك الغيرة لدى المرأة العربية فحاولـــت لفـــت انتباه الزوج لها بطريقة أو بأخرى، فوقعت بذلك في مشاكل هي في غنى عنها، وأدى ذلك إلى فتور وتـــدهور العلاقات الزوجية.

ثم إن كثرة الأبناء داخل الأسرة الواحدة ومن أمهات عديدات[2]، قد تسبب أيضا في تدهور العلاقات بينهم خاصة أبناء الأسر الحاكمة، حيث منع في وقت من الأوقات خلال العصر الأموي أبناء الإماء من تـــولي منصب الخلافة، بالرّغم من امتلاك البعض منهم لمؤهلات وقدرات تؤهله لذلك؛ كما هو الحال بالنسبة لمسلمة بن عبد الملك (120هـ/738م) الذي حرم من ولاية العهد كونه ابن أمة.

كما أن التفاضل بين الأبناء بسبب أمهاتهم دفع بالبعض منهم إلى التمرد والعصيان كما حـــدث مـــع عبيد الله بن الحر(68هـ/627م)[3]، أو إلى الافتخار بنسب أمه كما هو الحـــال بالنســـبة ليزيـــد بـــن الوليـــد (ت126هـ/744م)، حيث كان يفتخر بكون أمه غير عربية وأنه ينتمي من جهة الأم إلى الفرس والروم[4].

وعليه يمكن القول أن تواجد الإماء داخل الأسرة العربية، أحدث بعض التغيرات خاصة في الأسر التي تسرى أصحابها بالإماء، مسّت تركيبتها البشرية وعلاقة أفرادها بعضهم ببعض؛ فعلى مستوى التركيبة البشرية تعددت الأنساب داخل الأسرة الواحدة من جهة الأمهات وكثرت النساء (زوجات وســـراري)، وزاد عـــدد الأبناء ومن أمهات عديدات (حرائر وإماء).

وعلى مستوى العلاقات الأسرية كثرت المشاحنات والخلافات الزوجية وساءت العلاقة بـــين الإمـــاء والحرائر نتيجة الغيرة، وفترت العلاقة بين أبناء الإماء وأبناء الحرائر، وتشيع كل طرف لأمه، وهذا ما حدث مع

1- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 426/2.

2 - تميزت الأسر في العصر الأموي بكثرة الأبناء وكمثال على ذلك فقد كان عدد أبناء الوليد بن عبد الملك، أربعة عشر ولدا وقيل تسعة عشـــر، وكان للحسن بن علي خمسة عشرة ولدا، (انظر الدميري، حياة الحيوان الكبرى،64/1؛ العصـــامي عبـــد الملـــك بـــن الحســـين بـــن المكـــي،= =(ت1111هـ/1705م)، سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م)، 345/2.

3- ابن حمدون، التذكرة الحمدونية،420/1؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب،9/2؛ الزمخشري، ربيع الأبرار،283/1.

2- السيوطي جلال الدين، (ت911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميـــد، (د. ط، القـــاهرة، دار الســـعادة، 1952م)، 222/1.

أبناء أبي سفيان، عنبسة وعتبة؛ فقد أورد الطبري أن عتبة وعنبسة قد تنازعا وكانت هند أم عتبة أما عنبسة فأمة ابنة أبي أزيهر الدوسي، فأغلظ معاوية لعنبسة؛ فقال عنبسة وأنت أيضا يا أمير المؤمنين، فرد معاوية: يا عنبسة إن عتبة ابن هند؟ – يقصد أنه أخوه من أمه وأبيه –فقال عنبسة من البحر الطويل:

كَنُّا بِخيْرِ صَالِحًا ذَاتَ بيْنَنَا *** قَديمًا فَأمْسَتْ فَرَّقَتْ بيننَا هِنْدُ

فإنْ تَكُ هِنْدُ لم تلدْنِي فإنّنِي*** لبيْضَاءِ، يُنَمِّيهَا غَطارِفةُ[1] نَجْدُ.

فقال معاوية: لا أردها عليك أبدا[2]، فهذه الرواية تظهر جانب من المشاحنات والخلافات بن أبناء الأسرة الواحدة خاصة إذا كانوا من أمهات عديدات، كما تبزر جانبا آخر مهما وهو الحلم والاعتراف بالخطأ والتأدب عند المشاحنة، فعنبسة وبالرغم من شعوره بالظلم لم يتطاول على أخيه (معاوية) وخاطبه بلطف واحترام قائلا له: حتى أنت يا أمير المؤمنين، ومعاوية لما أحس أنه أغلظ لأخيه في الكلام وعده بعدم العودة لمثل هذا هكذا كانت أخلاق هؤلاء الرجال حتى حين يجزعون ويغضبون، لا يخرجهم الجزع والغضب عن جادة الصواب.

1- **الغطارف**: الغطريف هو الشاب السخي السري وقيل هو الفتى الجميل، والغطريف أيضا فرخ الباز الذي أُخِذَ من وكره، (أنظر الزبيدي، تاج العروس، 86/14؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط)،1088/1.

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 255/3، الذهبي، سير أعلام النبلاء،3/377 .

المبحث الثالث: أثر الإماء على الرجال

أ-تأثير الإماء على رجال الطبقة الخاصة:

تمكنت طائفة من الإماء خاصة ممن تعلمن الغناء والعزف أو كن على قدر كبير من الأدب والثقافة من التأثير على رجال الطبقة الخاصة وأصبحت لهن علاقات وثيقة بالخلفاء وكبار رجال الدولة في دولة بني أمية، واستطعن أن يفرضن وجودهن فقد ذكرت الروايات العديد من الإماء ممن بلغن مكانة مرموقة عند أسيادهن أمثال الذلفاء [1] والنوار [2]، وحبابة [3]، وسلامة القس، هؤلاء النسوة نبغوا في الغناء والطرب وقول الشعر والتغني به، وكنّ على قدر كبير من الحسن والجمال والثقافة، فنالوا بذلك حظوة كبيرة عند أسيادهن.

ومن الروايات التي تداولتها العديد من المصادر التاريخية والأدبية، رواية حبابة ويزيد بن عبد الملك ومما قيل في أخبارها: أنها كانت حسنة الوجه مليحة، شجية الغناء وكان يزيد مغرما بالنساء شديد الكلف (التعلق) بهن، فهام بها وانقطع عن الناس.[4]

قد تكون هذه الرواية غير دقيقة وفيها الكثير من المبالغة، لأنه من غير المعقول أن يتعلق خليفة للمسلمين وهو من هو، بجارية إلى هذا الحد ويبلغ تأثيرها عليه هذا المبلغ!!! وعليه فقد تكون لهذه الجارية مكانة خاصة في قلب الرجل لجمالها ودلالها وأجادتها للغناء والطرب، خاصة وان الخليفة كان يستحسن الاستماع للغناء كما أشارت بعض الروايات[5]، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن الرجل كان متيما بها وغارقا في حبها إلى درجة إهماله لشؤون الناس، ربما يكون الغرض من وراء هذه الروايات اتهام خلفاء هذا العصر وتشويه سمعتهم.

ولكن ورغم ذلك فهي تبيّن جانب مهم في حياة البعض منهنّ فقد تمكنّ بفضل جمالهن ومواهبهن وثقافتهن من كسب ود أسيادهن، فاتخذوهم للتسري والمتعة، وبالتالي تحسن وضعهن الاجتماعي وارتقى العديد منهن إلى مرتبة أم ولد، بدليل أن العديد من أبناء الخلفاء والأمراء والقادة الكبار هم من أبناء الإماء وقد تمت الإشارة إلى ذلك.

1- الأصفهاني، الأغاني،283/1؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد،413/2.

2- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 142/70؛ ابن منظور محمد بن مكرم، (ت711هـ/1311م)، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، وآخران، (ط.1، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، 1984م)، 48/8.

3- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 406/2، السيوطي تاريخ الخلفاء،220/1، الأصفهاني، الأغاني،57/7.

4- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 406/2، الأصفهاني، الأغاني، 57/7، السيوطي، تاريخ الخلفاء، 220/1.

5- ابن قتبة الدينوري أبي محمد بن عبد الله بن مسلم، (ت276هـ/889م)، المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة، (ط.4، القاهرة: دار المعارف، 1119هـ)،94/1؛ الطبري، تاريخ الملوك والرسل،111/4؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان،237/3.

كما وردت العديد من الراويات والأحاديث عن تعلق بعض خلفاء بني أمية وأمرائهم بجواريهم واهتمامهم المتزايد بهن مثل رواية الذلفاء والخليفة سليمان بن عبد الملك، والنوار والخليفة الوليد بن يزيد والأمثلة كثيرة[1].

ب-تأثير الإماء على الأشراف:

لم يكن تأثير الإماء على أفراد الطبقة الخاصة فقط، لامتلاكهم للعديد منهن، بل شمل أيضا بعض الأشراف خاصة ممن كانوا يستهوون حب الغناء والاستماع إليه، فهذا عبد الله بن جعفر(ت80هـ/710م)[2] يقصد بيت المغنية جميلة مع صحبه لسماعها، فلما دخل عليها فرحت كثيرا واندهشت لقدومه إلى مترلها قائلة له: «يا سيدي وسيد آبائي، ومولاي كيف نشطت (قبلت) أن تنقل قدميك إلى أمتك؟ قال: يا جميلة قد علمت ما أليتِ على نفسك ألا تغني أحدا إلا في مترلك وأحببت الاستماع».[3]

وكان لعبد الله بن جعفر العديد من الإماء المغنيات[4] فعاتبه في ذلك معاوية بن أبي سفيان فرد عليه قائلا: ما عليّ أن آخذ الجيد من الشعر للعرب وألقيه إلى الإماء فيترنمن به ويشذرونه[5] بحلوقهن ونغمهن.[6]

وقيل أن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف امتلك العديد من الجواري المغنيات أمثال سلامة القس، وقد تزوج خلال هذا العصر العديد من أبناء الأشراف من الإماء بعد عتقهن، كما اتخذوهم للمتعة، وأنجبوا منهم أولادا.

هذا يعني أن الإماء قد أثرن على بعض الأشراف خلال العصر الأموي فاتخذوا منهن المغنيات والسراري والزوجات، وأصبح البعض منهن أمهات لأولادهن ومع ذلك فهذا التأثير لم ينقص من قيمة هؤلاء الأشراف بدليل قول جميلة لعبد الله بن جعفر يا سيدي ويا مولاي واندهاشها لقدومه، بالرغم من المكانة التي وصلت إليها بفضل الغناء، لكنها بقيت تنظر إلى الرجل بعين الاحترام والتقدير، ضف إلى ذلك أن هؤلاء

---

1 – انظر الاصفهاني، الاغاني، ابن عبد ربه، العقد الفريد.

2- هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي القريشي، والده جعفر الطيار ابن عم رسول الله ﷺ، ولد في الحبشة، كان كبير الشأن كريما جوادا، كانت له وفادة على معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان توفي سنة 80هـ/710م، (أنظر ابن حجر، الإصابة في تميز الصحابة، 40/4؛ ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، (ت463هـ/1071م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: البخاري علي محمد، (ط.1 بيروت: دار الجيل، 1992م)،265/1؛ ابن حيان محمد بن أحمد بن حيان بن معاذ التميمي، (ت354هـ/966م)، الثقات، تحقيق: محمد خان، (ط.1، الهند: دائرة المعارف العثمانية، 1973م)، 207/3.

3- الأصفهاني، الأغاني، 143/7.

4- البيهقي، المحاسن والمساوئ، 137.

5- **التشذير**: شذر يشذر تشذيرا، والشذر قطع من الذهب، يقال شذر الصانع عقد اللؤلؤ أي زينه ونمقه، وشذر الأديب كلامه بالشعر بمعنى زينه وحسنه، (أنظر ابن منظور، لسان العرب، 399/4؛ الزبيدي، تاج العروس)،2994/1.

6- الجاحظ، رسائل الجاحظ، 159.

الأشراف لم يكن همهم المجون والفسق كما تذكر بعض الروايات المغرضة، وهذا ما يستشف من قول عبد الله بن جعفر لمعاوية بن أبي سفيان، ما العيب في أن آخذ الجيد من الشعر وألقيه إليهن للغناء، فعبد الله لم يكن يشجع الغناء الماجن الذي يسيء إلى الأخلاق الآداب العامة ويتنافى ومقاصد الشرع، إنما كان يأخذ الجيد من الشعر ويلقيه للجواري لتلحينه والتغني به.

وفي هذا إشارة واضحة إلى ميل بعض الناس في هذا العصر إلى التمتع بالجواري خاصة وأن الشريعة الإسلامية أباحت ذلك، فالشعبي يريد أمة حسن الصورة يتمتع بها في الحلال وتعينه على عبادة ربه وتحصنه وت

ج–تأثير الإماء على العامة:

يمكن أن يستشف تأثير الإماء على العامة من قول أحد الأعراب لما سئل:« أيسرّك أن تموت جاريتك وتكون الخليفة، فرد قائلا: لا»[1]، كما يظهر هذا التأثير في وصف بعض شعراء هذا العصر للإماء وإبراز محاسنهن ومفاتنهن وعلاقتهم بهن وإن كان وصف الشعراء لا يخلوا بطبيعة الحال من الخيال، فقد يذكرون بعض الأشياء في أشعارهم لا وجود لها على أرض الواقع، إنما هي من نسج خيالهم، ومع ذلك فهذه الأشعار تعد مظهر من مظاهر تأثير هؤلاء الإماء على العامة وخاصة على الشعراء منهم، فقد تمكنت الإماء بجمالهن وحسن مظهرهن وإجادتهن لفنون الغواية والدلل من التأثير على عقول الشعراء وجعلهم يتغزلن بهن ويقولون فيهن شعرا ويذكرونهم في أشعارهم ويصفون العلاقة التي جمعتهم بهنّ.[2]

وقد كان هذا التأثير عاملا في ازدهار الشعر خاصة شعر الغزل في العصر الأموي وهذا ما يستشف من قول الشاعر نصيب، (ت 108هـ/726م) عندما قال له عبد الملك بن مروان أنشدنا يانصيب فأنشده من البحر السريع:

1– النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 7/4.

2–قال الأحوص (ت105هـ/723م) يصف جارية من البحر الرمل:

ولهَا **بالْمَاطِرِنْ** إذا *** أكلَ النَّمْلُ الذي جَمَعَا

خِرْفةً حتّ إذا **أرْبَعَتْ** ***سَكَنَتْ من **جَلْقِ** بَيْعَا

في قبابِ حولَ **دَسْكَرةٍ*****حولَهَا الزَّيْتُونَ قدْ ينَعَا

-**الماطرن**: موضع قرب دمشق، **جلق**: قرية من قرى دمشق، **ربيعات**: دخلت في فصل الربيع، **الخرفة**: ما يجتني من الفاكهة، **الدسكرة**: قيل القرية، وقيل الصومعة، (أنظر المبرد، الكامل في اللغة والأدب)،301/1.

ومُضْمِرِ الكَشْحِ[1] يطْوِيهِ الضَّجِيعِ[2] بهِ *****طيِّ الحَمَائِلِ لا جافٍ ولا فَقَرُ

وذِي رَوادِفَ[3]لا يُلْـــفَ الإزارُ بهَـــا ***** يُلْوي ولوْ كانَ سبْعًا حينَ يَأتَزِرُ.[4]

فقال له عبد الملك من هذه يا نصيب؟ فقال: إبْنَةُ عمّ لي نوبية، لو رأيتها ما شربت الماء مـــن يـــدها فهذه الأمة التي لا يشرب الماء من يدها لقبح صورتها وسوادها حوّلها خيال الشاعر إلى أجمل الجميلات.

يبدو مما تقدم أن تأثير الإماء خلال العصر الأموي على الرجال لم يستثن أي طبقة من طبقات المجتمـــع فقد كان تأثيرهن على بعض الرجال واضحا وشاملا لكل الطبقات من خلفاء وأمراء وكبار رجـــال الدولـــة وفقهاء وزهاد وأشراف وشعراء...الخ، ولكن هذا لم يخرج هؤلاء الرجال عن حدود المعقول أو ينقص مـــن مكانتهم الاجتماعية أو يؤثر على معتقدهم الديني لأنهم كانوا يراعون في علاقاتهم بالإماء حدود الشرع فـــلا ينتهكوها وإن كان في بعض الروايات مبالغة وتجني على بعض الأشخاص لسبب أو لآخر، ربما يكون التزلف للحكام، أو التشيع، أو الحقد، أو المعتقد، أو التوجه السياسي، كما أن هذا التأثير كان في الغالب إيجابيا بدليل ازدهار بعض الفنون والآداب خاصة الشعر والغناء وارتقاء الذوق الجمالي وتمـــازج الحضـــارات والثقافـــات واندماج بعض العناصر الغير عربية (الإماء) في المجتمع العربي، وهي جميعا عوامل بنـــاء ســـاهمت في التأصـــيل للحضارة العربية الإسلامية بداية من العصر الأموي.

1- **الرديف**: الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة، وردف المرأة عجزها والجمع أرادف، (أنظـــر الحمـــوي أبـــو العبـــاس أحمـــد بـــن محمـــد (ت770هـــ/1391م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (المكتبة الشاملة الإلكترونية)، 384/3.

2- **الضجيع**: الأصل هو وضع الجنب على الأرض، ثم كني به عن الجماع، (أنظر محمد راوس قلعجي، معجم لغة الفقهـــاء، ط.2، بـــيروت، دار النفائس للطباعة والنشر، 1988م) ،29/2.

3- **الروائق**: تعني الجواري الحسان، (الزبيدي، تاج العروس)،6345/1.

4- الأصفهاني، الأغاني، 140/1.

المبحث الرابع: تأثير الإماء على الزواج

أحل الإسلام التمتع بملك اليمين من الإماء تخفيفا عل المسلم الغير قادر عل نكاح النساء الحرائر والذي يخشى على نفسه الوقوع في العنت، لقوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾[1]، وجعل لذلك قواعد وشروط.[2]

و لم يكن الإسلام بدعا في ذلك فقد كان التسري بالإماء أمرا شائعا ومعروفا لدى الأمم القديمة ولكن وعلى الرغم من ذلك فإن نظرة بعض الناس إلى التسري والزواج من الإماء في بداية العصر الأموي كان فيها نوعا من التحفظ فقد عبر أحدهم عن ذلك قائلا: «لا تفترش من تداولتها أيدي النخاسين ووقع ثمنها في الموازين»[3]، وقيل أيضا: «لا خير في بنات الكفر وقد نودي عليهن في الأسواق، ومرت عليهن أيدي الفساق»[4]، هذه الأقوال والروايات تبين لنا بوضوح موقف بعض الناس في هذا العصر من اتخاذ الإماء للمتعة أو الإنجاب وهو موقف يتميز بالتحفظ والنفور.

وربما تعود أسباب هذا التحفظ والنفور من التسري واستلاد[5] الإماء في هذه الفترة، إلى اعتبارات أخلاقية واجتماعية وسياسية، فمن الناحية الأخلاقية هناك صفات كان تبعد الناس من اتخاذ السراري؛ خاصة من إماء السبي، منها ارتفاع الحشمة، وقلة الحياء وعدم التعاير بالزنا، وأن هؤلاء النسوة أغلبهن من بنات الكفر سبين نتيجة الفتوحات الاسلامية التي تمت في العصر الأموي، ونودي عليهن وبعن في الأسواق ومرت عليهن

1-النساء، 28.

2- أما شروطه فمنها:

أ-لا يجوز استرقاق النساء في الحروب والتسري بهن إلا إذا كانت الحرب مشروعة، وقد تمت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول.

ب-لا يجوز للمسلم أن يقضي وطره من الجارية؛ إلا بعد أن تصبح ملك يمينه، ولا تكون كذلك إلا بعد أن تصبح من نصيبه بعد تقسيم الغنائم، أو أن يشتريها من غيره إذا كانت مملوكة أو عن طريق الهبة والوراثة، وبعد أن تصبح ملكا له، لا يجوز أن يمسها-يجامعها-إلا بعد أن يستبرأها بحيضة على الأقل للتأكد من عدم حملها، (للمزيد أنظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 279/31؛ ابن كثير تفسير ابن كثير، 253/2؛ البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، (ت685هـ/1285م)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمان المرعشلي، (ط.1، بيروت: دار إحياء التراث، 1418هـ)،443.

3- الجاحظ، المحاسن والأضداد، 254.

4- الجاحظ، المحاسن والأضداد، 254.

5- **الإستلاد**: هو وطأ الأمة المملوكة؛ ابتغاء الولد منها (أنظر محمد راوس قلعهجي، معجم لغة الفقهاء، 74.

أيدي النخاسين والفساق، لذا كان الناس ينفرون منهن[1]، وهذا ما عبر عنه أحدهم بقوله: الإماء شر خلف من الحرائر، هن أوسخ رقابا وأقل عقولا[2]، وقد يكون هذا رأى المتشددين فقط وليس الغالبية.

أما الاعتبارات الاجتماعية فتتمثل في الكفاءة الزوجية، فالمجتمع الإسلامي في هذا العصر ما زال لم يتخلص بعد من بقايا الجاهلية في موضوع النسب والمصاهرة، وبالتالي فالكفاءة عندهم أساسها النسب والشرف، فقد كان العرب في جاهليتهم لا يزوجون بناتهم إلا من كانوا يعتقدون أنه كفؤا لهم، وكانوا يرون أن العرب بعضهم أكفاء لبعض، ومن هذا المنطلق كان ابن الأمة عندهم حتى ولو كان أبوه عربيا حرا شريفا أقل شأنا ومنزلة من ابن العربية الحرة[3]، وعلى الرغم من أن الإسلام قد أعطى بعدا آخر لموضوع الكفاءة في المصاهرة إذ اعتبر التقوى والإيمان أساس المفاضلة إلا أن نظرة العرب في هذا العصر إلى موضوع الكفاءة في الزواج ما زالت تتحكم فيها النظرة الجاهلية لذا كانوا يفضلون في الزواج والإنجاب العربيات عن الأعجميات سواء كانوا من الإماء أو الموالي.

بالإضافة إلى ذلك هناك مزايا أخرى كانت تقف وراء رغبة الناس في اتخاذ السراري منها قلة المؤونة وخفة النفقة، لأن مطالب الأمة أقل بكثير من مطالب المرأة الحرة، وحسن الخدمة خاصة إذا علمنا أن أغلبهن قد استقدم من بيئات عرفت بتحضُّرها وتمدُّنها كالفارسيات والروميات، وارتفاع الحشمة، فالجواري والإماء خبيرات في فن الغواية واصطياد القلوب خاصة اللواتي تم تقنينهن[4] وتعليمهن في دور التقنين والتي كانت

1- هذا التحفظ نجده أيضا في تحذير الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ لأبي موسى الأشعري من اتخاذ جارية من السبي قائلا له: **"لا تتخذ منهن فإنهن قوم لا يتعايرون الزنا وأن الله نزع الحياء من وجوههن كما نزع من وجوه الكلاب"**، (أنظر ابن عساكر، تاريخ دمشق)، 427/38.

لا ندري هل هذه الصفات التي ذكرها سيدنا عمر رضي الله عنه كانت عامة تتصف بها كل الإماء، أم أنها كانت خاصة بجنس معين، والأرجح أنها لم تكن عامة، ودليل ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، زوج ابنه عبد الله من إحدى بنات ملوك الفرس بعد عتقها.

2- البلاذري، أنساب الأشراف، 168/4؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان،267/3.

3- روى الأصفهاني أن عقيل بن عفلة، رفض مصاهرة عبد الملك بن مروان عندما خطب ابنة عقيل لبعض ولده قائلا: **"جنبني هجناء ولدك"**، (أنظر الأصفهاني، الأغاني)، 86/11.

4- يصف الجاحظ القينة فيقول: **"وأكثر أمرها قلة المناصحة واستعمال الغدر، وهي لا تخالص في عشقها؛ لأنها مجبولة على نصب الشرك لمحبيها"**، (الجاحظ، رسائل الجاحظ)، 72.

على الرغم من ذلك فقول الجاحظ هذا لا يمكن تعميمه على كل الإماء والجواري، إنما قد يكون السمة الغالبة، خاصة جواري الحانات، لأن هناك من الجواري من عرفن بوفائهن وصدقهن في حبهن، فقد ذكر الوشاء أن نعيم بن طريف الغفاري كان له جارية، أخذها منه الحجاج بن يوسف، وأهداها إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك، فالح في لقائها فكشف سليمان بن عبد الملك أمرها، فألقى نعيم بنفسه من شاهق-مكان مرتفع- فقال سليمان: عجل على نفسه أيظن أني إذا أخرجت جارية أعود بها؟ خذها يا فلان لورثته، فجذبت يدها من الغلام وهي تقول من البحر السريع:

منْ ماتَ عِشْقًا فَلْيَمُتْ هكذَا ***** لا خَيْرَ في عِشْقٍ بِلاَ مَوْتِ

منتشرة بكثرة في تلك الفترة خاصة منطقة الحجاز (مكة والمدينة)، فقد قيل في ذلك:« من أراد قلة المؤونة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالإماء دون الحرائر».[1]

كما أن الرغبة في التسري كانت وراء إقبال الناس في هذا العصر على اقتناء الجواري، فالإماء وبما اتصفن به من جمال في المنظر وتأنق في اللباس والتزين، وإتقانهن لفنون الغواية كالتدلل والتبذل، تمكن من ترغيب الرجال فيهن وتفضيلهن عن الحرائر في طلب المتعة، فقد عبر عن ذلك أحدهم بقوله: «الإماء ...أحسن في التبذل وأنقى (أطيب) في التدلل»[2]، ولم يكن هذا رأي العامة فقط، بل حتى الخلفاء شاركوا في إبداء الرأي في التفضيل بين الإماء والجواري بعد أن امتلكوا منهن أعدادا كبيرة، ومن مختلف الأجناس والأعراق، وتم تصنيفهن في المجتمع حسب المتعة والإنجاب والخدمة، ذكر السيوطي أن عبد الملك بن مروان قال: «من أراد أن يتخذ جارية للتلذذ فليتخذها بربرية، ومن أرادها للخدمة فليتخذها رومية، ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية».[3]

لقد كان للتسري بالإماء والزواج بهن بعد العتق خلال العصر الأموي بعض الآثار على الحياة الأسرية خاصة في مسألة الزواج؛ فقد سهل وخفف على المسلم الغير قادر على نكاح الحرائر بفضل إباحته لنكاح الإماء والتسري بهن وفي ذلك فائدة للجميع، (الأحرار والإماء)، وحلا لمشكلة الزواج لغير القادرين عليه.

بالإضافة إلى ذلك فقد مكنت هذه الظاهرة الإماء من الدخول إلى البيت العربي من بابه الواسع، فإلى جانب إنجاب البعض منهن للأولاد وتحولهن إلى سيدات بيوت، أصبحن يشرفن على تسيير شؤون هذا البيت من خلال قيامهن بمختلف الخدمات المترلية ورعايتهن للأبناء وباتت الأمة هي التي تصنع البيت العربي خاصة بيوت الطبقة الخاصة، فقد سيطرت الإماء على البيت العربي حتى في وجود المرأة الحرة، والتي وإن حافظت في هذه الفترة على مركزها الاجتماعي، فإنها لم تتمكن من المحافظة على دورها الريادي داخل الأسرة.[4]

وبما أن الإماء هن من تولى خدمة ورعاية شؤون الأسرة والعناية بالصغار والقيام بمختلف الخدمات داخل البيوت العربية، فقد تمكن من فرض وجودهن داخل الأسرة العربية ولو جزئيا، ويظهر ذلك في التغيرات التي عرفتها الأسرة العربية خلال هذا العصر في مجالات عدة، كالأكل والشرب والملبس وترتيب الأثاث وطرق

ثم رمت بنفسها في حفرة فماتت، (الوشاء أبو الطيب محمد بن إسحاق،(ت325هـ/937م)، الموشى أو الظرف والظرفاء، (د.ط بيروت: دار الكتب العلمية، 1965م)،27/1؛ ابن حجة الحموي، ثمرة الأوراق، 31/1؛ الأنطاكي، تزيين الأسواق، 100/1.

1- الجاحظ، المحاسن والأضداد، 254/1.

2- نفسه.

3- السيوطي جلال الدين، (ت911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ط، القاهرة، دار السعادة، 1952)، 121.

4 - الشامي فاطمة قدورة، الرق والعبودية، 88.

تزيين البيوت وبعض سلوكات الأبناء-اللحن في اللغة[1]- فبعض الأطعمة والأشربة[2]، التي كانت تحضر في البيوت العربية هي في الأصل أطعمة فارسية أو رومانية.

كما انتقلت عن طريق الإماء الكثير من العادات والتقاليد الأعجمية إلى البيوت العربية، كطرق إحياء المناسبات والاحتفالات[3]، وطرق الزينة والتأنق في اللباس[4]، و لم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى الجانب الأخلاقي فبعض الصفات القبيحة انتقلت إلى المجتمع العربي عن طريق الأعاجم، وكان للإماء والجواري نصيب في نقلها إلى الأسرة العربية.[5]

هذا يعني أن التسري في الإسلام يختلف عنه عند الأمم الأخرى في الوسائل والغايات، لأنه عند الشعوب الأخرى ما هو إلا زنا مقنن وعبئ أخر أضيف إلى المتاعب التي تعاني منها هذه الفئة(الإماء).

1- **اللحن**: واللحانة واللحانية، معناه الخطأ في الإعراب وترك الصواب في القراءة والنشيد ونحو ذلك، (أنظر ابن منظور، لسان العرب، مادة لحن، 183/13؛ الزبيدي، تاج العروس)، 2123/6، الهامش.

2- من الأطعمة التي أخذها العرب عن الأعاجم أكلة تسمى **السيكباج**، وهو نوع من المرق كانوا يصنعونه من مرق اللحم والخل، وكانوا يضعون فيه اللحوم المطبوخة، (أنظر البغدادي محمد بن الحسن بن محمد، (ت 584هـ/1239م)،كتاب الطبيخ، أعاد نشره: فخري البارودي، (ط.1، سوريا: دار الكتاب الجديد، 1964م)، 6.

3- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي،5 /127.

4- العلي أحمد صالح، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، 183 وما بعدها.

5- أورد الطبري: أن رجلا من الموالي يدعى دينارا، دخل مرة إلى مسجد الكوفة فخطب في الناس وقال يقارن الماضي بالحاضر: يا معشر أهل الكوفة أنتم أول ما مررت بنا كنتم خيار الناس، فعمرتم بذلك زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وزمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم تغيرتم... فشت فيكم خصال أربع: بخل، وخب، وغدر، وضيق، لم تكن فيكم واحدة منهن، فرمقتكم فإذا ذلك من مولديكم، فعلمت من أين أوتيتم، فإذا الخَبُّ من قبل النبط، والبخل من قبل فارس، والغدر من قبل خراسان، والضيق من قبل الأهواز، (أنظر الطبري، تاريخ الطبري، 136/4؛ أحمد صفوت زكي، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، (د.ط، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، 434/2.

هذه الرواية تظهر بعض الصفات الذميمة، كالبخل والضيق والخبث والمكر، وكيف انتقلت إلى المجتمع العربي والتي تظهر في سلوكات وأخلاق المولدين من أبناء الإماء والجواري.

المبحث الخامس:تأثير الإماء في شؤون المنزل

ساهمت الإماء بخدماتهن في مختلف مناحي الحياة وكان استخدامهن في الأعمال المترلية أمـــرا شـــائعا ومألوفا، وأصبح الإماء اللواتي يعملن في الخدمة المترلية يشكلن أحد أفراد الأسرة، وهذا لقوة الرابطة والمحبة التي جمعت بينهن وبين الأسر التي يعشن فيها[1]، حتى أن البعض منهن كن يشاركن الأسر في أفراحها وأتراحها.[2]

و لم تكن الخدمة المترلية في هذا العصر حكرا على جنس معين، بل كان يمارسها الجنسان معا الـــذكور والإناث (العبيد والإماء)، وإذا تكاثر عدد عند أحدهم؛ وأراد استخدامهن في الخدمة المترلية داخل بيته جعـــل عليهن نقيبا (مشرفا) يتولى النظر في شؤونهم، هذا الإجراء ساد أكثر في بيوت الخاصة لاحتوائها على أعـــداد كثيرة من العبيد والإماء؛ خاصة منها قصور الخلفاء والأمراء[3]، حيث يعلمونهن الصنائع اللازمة لتدبير شـــؤون المترل.

والخدمة المترلية التي تقوم بها الإماء، من الأهمية بمكان؛ بحيث لا يمكن الاستغناء عن خدماتهن، وكـــان الناس يفضلون في طلب الخدمة الروميات عن غيرهن من الإماء، وهذا ما عبر عنه أحدهم بقولـــه:« مـــن أراد

1- الثعالبي، المحاسن والأضداد، 220.

2- من مظاهر هذا التلاحم والارتباط القوي في العصر الأموي، خاصة بين الإماء وأسيادهن، ما ذكره الأبهشي إذ يقول: كان لرجل جارية يهواها فاحتاج إلى بيعها، فابتاعها منه عمر عبيد الله بن معمر(ت82هـ/711م)، فلما قبض ثمنها أنشدت تقول من الطويل:

هَنِيئًا لكَ المَالَ الذي قَبِضْتَهُ **** و لَمْ يَبْقَ في كفِّي غيْر التَحَسُّرِ

أبوءُ بِحُزْنٍ منْ فِراقِكَ مُوجِعٍ*** أُتاجِي به صَدْرًا طَويلُ التفكُّرِ

فرد عليها قائلا من الطويل:

ولولاَ قُعودِ الدَّهْرِ بِي عنْكِ لم يَكُنْ **** يُفَرِّقُنَا شيءٌ سوى الموْتُ فَاعْذِرِي

علَيْكِ ســـلامٌ لا زِيَارَةَ بيْنَـــنَا **** ولا وصلٌ إلّا أنْ يَشـــاءَ ابن مَعْمَرِ

فقال عمر بن عبيد الله بن معمر–وكان من الأجواد –: قد شئت؛ وقد وهبتك الجارية وثمنها، (أنظر الأبهشي شهاب الدين محمد بـــن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، 176/1، ابن كثير، البداية والنهاية) ،124/9.

هذه الرواية تحمل أكثر من دلالة، فمن جهة فهي تعبير صادق عن العلاقات الحميمية التي كانت بين بعض الجواري وأسيادهن ومن جهة ثانية، تبين اندماج هذه الشريحة في المجتمع العربي ونبوغ البعض منهن في الشعر العربي قولا وإنشادا.

3- أورد الطبري أن عمرو بن سعيد بن العاص، (ت70هـ/700م) –المعروف بالأشدق لفصاحته–، كان له ألف مملوك بين عبد وجارية، وهو رقم يعبر عن الأعداد الهائلة التي كان يمتلكها البعض من العبيد والإماء، (الطبري، تاريخ الملوك والرسل)، 144/6.

جارية للخدمة فليتخذها رومية»[1]، وقد تعود دوافع هذا التفضيل لكون الروميات قدمن من بيئة متحضرة ويتقن العديد من الصنائع ويمتلكن مهارات عالية تساعدهن على أداء أعمالهن على أكمل وجه[2].

اختلفت خدمات الإماء في المنازل والقصور خلال العصر الأموي؛ باختلاف إمكانيات أصحابه ومستواهم الاجتماعي –بدو وحضر عامة وخاصة–، فالخدم من الإماء في بيوت العامة كانوا يقومون بأعمال متعددة حتى أنك لا تجد الخادمة الواحدة تمارس عدة مهام فهي التي تقوم بطحن الحبوب[3] والطبخ وهي التي تنظف البيت وهي من يرتب الأثاث وهي التي ترعى الأطفال[4] وقد تجلب الماء أو تقوم بالاحتطاب[5]، فمثلا تولت الإماء في بيوت العامة مهمة الإشراف على تربية الأبناء والعناية بهم والسهر على راحتهم وهذا ما يظهر في قول الفرزدق وهو يصف ابنة له، حيث يصورها في شعره وقد قامت الإماء على خدمتها وتربيتها والاهتمام بها والسهر على راحتها، إذ قال من البحر السريع:

مَا ضَرَّهَا أنْ لَمْ يَلِدْهَا ابن عَاصِمٍ**** وأنْ لَمْ يَلِدْهَا من زُرَارة معْبدُ

ربيبةُ دايات[6] ثلاثٍ رَبِيْنهـــا **** يُلْقِمْنها منْ كلِّ سُخنٍ ومبردِ

إذا انْتَهَتْ أطْعَمْنهَا وأسقيْنَاهَا **** وإنْ أخَذَتْها نَعْسةً لَمْ تَسْهَـــدِ[7]

أما في بيوت الخاصة وقصورهم فالأمر مختلف؛ حيث يوجد في القصر الواحد الكثير من الإماء، فقد روى الأصفهاني أن المغيرة بن شعبة(ت50هـ/670م) كان له أربع نساء وستون أمة[8]، وكان يخصص لكل عمل عمل أو خدمة شخص أو مجموعة من الأشخاص (الإماء)، فكانت منهن الحاضنات[9] والفراشات والمنظفات والطباخات والمرجلات[10]...وهلم وجرا، أما ابن عبد ربه فقال:«كان عبد الملك بن مروان(ت86هـ/705م)

1- الجاحظ، المحاسن والأضداد، 254؛ ابن الجوزية، أخبار النساء،12/1؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 487/2.

2- كان الرقيق الأبيض، ويسميه العرب الأحمر أو الأصفر مفضلا على الأسود؛ وأغلى ثمنا منه، في نسائه جمال وشقرة يهواها العرب، يجلب في الغالب من بلاد متحضرة، مكنته من اكتساب ثقافة وفن؛ وبذلك نال حظوة عند الخلفاء والأمراء وأقام في القصور ومنازل السراة يؤدي ما يحسنه من فن وعلم وصنعة، (أنظر الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره)، 92.

3- النويري، نهاية الأرب،9/4، ابن الجوزي، أخبار النساء، 219، الزمخشري، ربيع الأبرار،48/4.

4- ابن سيده، المخصص، 54/1؛ ابن منظور، لسان العرب، 276/14.

5- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 416/1.

6- **الدايات**: المربيات والحاضنات، والمقصود بهم هنا الإماء اللواتي تولين رعايتها، (أنظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط،1537/1.

7- الفرزدق، من الديوان،141.

8- الأصفهاني،الأغاني، 100/16.

9- **الحاضنة**: هي الجارية أو الأمة التي تحل محل الأم في تربية الولد وتنشئة، (أنظر ابن منظور، لسان العرب، 122/13؛ الزبيدي، تاج العروس)، 468/2.

10- **الترجل**: تسريح الشعر وتصفيفه، (للمزيد أنظر الزبيدي، تاج العروس،54/1؛ المبرد،الكامل في اللغة)،192/1.

يخصص بعض الإماء للترويح عليه .بمروحة من ريش النعام»[1]، وخصص بعض الأثرياء إماء يشرفن على خدمتهم، وهذا ما يتبين من قول الأصفهاني:« أن والي المدينة، أبو بكر بن عمرو بن حزم (ت 120هـ/737م)، خصص جارية من جواريه مهمتها تشذيب لحيته وتخضيبها».[2]

تظهر هذه الروايات المستوى المعيشي الذي كانت تعيش بعض الأسر العربية في العصر الأموي، خاصة الأسرة الحاكمة باعتبارها أكثر الفئات الاجتماعية استفادة من الرخاء الاجتماعي والاقتصادي فهي تملك الثروة والجاه والسلطة، فمنها الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة، والملاك الكبار، خاصة من بني أمية بالإضافة إلى الأشراف وعلية القوم وزعماء القبائل والتجار الكبار.

إذن فالبيوت العربية؛ سواء أكانت بيوت العامة أو الخاصة باتت عامرة بالخدم من الإماء ومن مختلف الجنسيات والبيئات، فالتطور الاقتصادي والرخاء الاجتماعي وارتفاع مستوى المعيشة، وتكاثر الأموال لدى بعض الناس في العصر الأموي، رغبهم في اقتناء الإماء والجواري واتخاذهن للخدمة أو التسري، خاصة الأثرياء منهم ورجال الدولة.

ولا ريب أن هؤلاء الخدم من الإماء كان أغلبهم من الفرس والروم[3]، وأنهم كانوا يعرفون الكثير من المهن والصنائع ولما استخدمهم العرب في منازلهم خلال العصر الأموي، نقلوا إليها هذه المهن والصنائع خاصة في مجال الطعام والشراب واللباس والماعون، وهذا ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: «... إن العرب لما افتتحوا بلاد فارس والروم استخدموا بناتهم وأبنائهم في مهنهم وحاجات منازلهم، واختاروا منهم المهرة في ذلك فتفننوا مع اتساع العيش، واستجادوا المطاعم والمشارب والملابس والمباني والفرش وسائر الماعون... وكذلك أحوالهم في أيام المباهاة والولائم والأعراس».[4]

وعلية فقد أثرت الإماء خاصة اللواتي استخدمن في الأعمال المنزلية خلال العصر الأموي ولو بشكل جزئي على نمط الحياة الأسرية في المجتمع العربي ويظهر ذلك في التغيرات التي مست جوانب هامة في الأسرة

1- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 24/7.

2- الأنصاري فاضل، العبودية الرق والمرأة بين الإسلام الرسولي والإسلام التاريخي، (ط.1، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع،2001م)، 73.

3- شملت الفتوحات الإسلامية كل المناطق التي كانت خاضعة للإمبراطورية الفارسية، ومعظم المناطق التي كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية- الروم الشرقيين- لذا فاغلب الإماء كانوا من هذه المناطق، (للمزيد أنظر البلاذري، فتوح البلدان، الطبري، تاريخ الطبري؛ ابن كثير، البداية والنهاية).

4 - ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (808هـ/1405م)، المقدمة، تحقيق: أحمد جاد، (ط.1، القاهرة، دار العهد الجديد، 2007)، 172/1.

سواء كان ذلك على مستوى المأكل والمشرب والملبس، أو على مستوى الأخلاق والآداب العامة والعـــادات والتقاليد داخل الأسرة والمجتمع كالحشمة والعفة وغيرهما كثير.[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- ذكر المسعودي أن خالد القسري لما تولى إمارة مكة في خلافة سليمان بن عبد الملك، بلغه قول الشاعر من البحر السريع:

يَا حَبَّذَا المَوْسِم منْ مَوْقِفاً **** وحبذَا الكَعْبَةُ منْ مَسْجِدًا

وحبذا اللاَّتِي يُزَاحِمْنَنَـــــا *** عنْدَ استِلاَمِ الحَجَرِ الأسْوَدَا

فأمر بالتفريق بين الرجال والنساء في الطواف وقال: أما أنهن لا يزاحمنك بعدها أبدا، (أنظر المسعودي أبو الحسن علـــي بـــن الحســـين، (ت 346هـ/957م)، مروج الذهب، (ط.4، بيروت: دار الأندلس، 1981م)،424/1.

فأين هذا القول من قول عنترة بن شداد وهو في الجاهلية من البحر السريع:

وأغُضُّ طَرَفِي إنْ بَدَتْ لي جارَتِي **** حتَّ يُوَارَى جارَتِي مأْوَاهَا، (أنظر ابن عبد ربه، العقد الفريد)، 3/6.

هذه الرواية تبين التحولات التي عرفها المجتمع الإسلامي في هذا العصر حيث بدأت بعض القيم النبيلة في التراجع عند بعض الناس بسبب اختلاط العرب بالأعاجم خاصة عن طريق الإماء والجواري.

المبحث السادس: تأثير الإماء على المأكل والمشرب والملبس

1-المأكل والمشرب:

كان طعام العرب في صدر الإسلام غاية في البساطة، يقتصر في غالب الأحيان على الألبان وما يستخرج منها؛ كالزبد والسمن والجبن، وعلى التمور والحبوب، وخير آدامهم اللحم[1]، يطبخ على ابسط حالته[2] كما هو الحال اليوم في بعض البوادي والمناطق النائية[3]، وعندما احتكوا بالأمم التي خضعت لهم أثناء عملية الفتح كالفرس والروم تعرفوا على ألوان من الأطعمة والأشربة لم تكن مألوفة لديهم.

وبما أن العصر الأموي عصر فتوحات، واحتكاك بين العرب والأمم الأخرى خاصة الفرس والروم بطرق شتى أهمها الإماء من خلال الخدمة أو التسري، فقد شهد هذا العصر انتقال العديد من المأكولات والمشروبات إلى البيت العربي، ساهمت الإماء بقسط كبير في نقلها، خاصة اللواتي استخدمن في الأعمال المترلية المختلفة ومن بين الأطعمة التي انتقلت إلى البيت العربي (المطبخ العربي) عن طريق هؤلاء النساء طعام يدعى الفالوذج[4] وهو طعام لم يكن معروفا عند العرب من قبل، وهذا ما يستخلص من رواية الراغب الأصفهاني:" كانت العرب لا تعرف طيبات الأطعمة، إنما كان أفضل طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح،حتى عهد معاوية بن أبي سفيان(41ه/661م)، حيث اتخذ ألوانا من الأطعمة، أما ابن خلدون فقال: لما فتح العرب بلاد فارس ووجدوا الكافور[5] في خزائنهم ظنوه ملحا، وقيل أيضا قدم لأعرابي خبزا عليه لحما فأكل اللحم وترك الخبز وقال: خذوا الطبق(يقصد الخبز).[6]

1- الرزقي محمد الطاهر، قراءات في مجتمع المدينة من خلال كتاب الموطأ، (ط.1، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، 1998م)، 91.

2- الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 284.

3- ذكر ابن خلدون رواية مفادها أن الحجاج بن يوسف أمير العراق أراد أن يفعل مثل ملوك الفرس في ولائمهم، فدع إليه أحد الدهاقين وقال له: أخبرني بأعظم صنيعا شهدته، فقال: شهدت أيها الأمير بعض مرازبة كسرى وقد صنع لأهل فارس صنيعا احضر فيه صحائف الذهب على أخونة الفضة أربعا على كل واحد، تحمله أربع وصائف ويجلس عليه أربعة من الناس، فإذا طعموا اتبعوا أربعتهم المائدة بصحائفها ووصائفها، فلما سمع الحجاج منه ذلك كبر عليه، وغلبت عليه البداوة فقال: يا غلام أنخر الجزر وأطعم الناس، (انظر ابن خلدون، المقدمة)، 174/1.

لم يكن التأنق في المأكل والمشرب من اهتمامات العرب سواء في العصر الجاهلي أو خلال النصف الأول من القرن الأول الهجري، وإنما ظهر هذا التأنق مع بداية العصر الأموي وبلغ ذروته في العصور التي تلته، بعد اطلاع العرب على حضارات الأمم الأخرى وامتلكوا الثروة ومالوا إلى حياة التنعم والترف.

4-**الفالوذج**: حلوة هلامية تطبخ من الدقيق والماء والعسل أصلها فارسية، (أنظر البغدادي، كتاب الطبيخ)، 76.

5- **الكافور**: شجر من الفصيلة الغارية تتخذ منه مادة شفافة يميل بعضه إلى البياض، رائحتها عطرة وطعمها مر، وهي المعروفة بالكافور، ورد ذكره في القرآن الكريم، الهنابي علي بن الحسين، معجم المعابي، 144/5.

6- الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء،284/1.

يبدو من هذه الروايات أن أغلب الأطعمة التي انتقلت إلى المجتمع العربي خلال العصر الأموي مثل الفالوذج واللوزينج[1] والخرديق[2] لم تكن معروفة لدى السواد الأعظم من العرب، وأنها كانت تطبخ فقط في بيوت الأثرياء[3] بدليل جهل البعض منهم للفالوذج في زمن سليمان بن عبد الملك بن مروان[4]، فقد ذكر جواد علي، أن أصحاب المال والثراء في العهد الأموي كانوا يستخدمون طباخات من الأعاجم، لطبخ الأطعمة لهم وذلك لإتقانهم عمل الطبخ وتفننهم فيه، ولمعرفتهم بأنواع المأكل الأعجمية التي لا يعرفها العرب.[5]

أما الأشربة فقد أخذ العرب عن الروم شرابا اسمه الراساطون واستعملوه في شرابهم، وهو نوعٌ من الخمر الممزوج بالعسل[6]، والإسفنط وهو ضرب من الأشربة قيل أنه فارسي الأصل، وقيل أنه رومي[7]، لم يكن يكن معروفا عند العرب قبل الفتح الإسلامي بالإضافة إلى أصناف أخرى من المشروبات وكان الخدم من الإماء يقمن بإعدادها وتحضيرها خاصة في بيوت الخاصة وقصور الخلفاء، فقد كان لقاضي المدينة سعيد بن إبراهيم الزهري، (ت 84هـ/703م) جواري (إماء)، يأمرهن فيعمدن إلى الزبيب فيصنعن منه شرابا قيل أنه يقلل من العطش.[8]

وعليه يمكن القول أن الإماء في العصر الأموي، قد ساهمن ولو بشكل نسبي في انتقال بعض الأطعمة والأشربة إلى الأسرة العربية وإلى المطبخ العربي بشكل خاص وساهمن في إعدادها وطهيها خاصة في بيوت الأثرياء لامتلاكهم للمال من جهة واتخاذهم للإماء من جهة ثانية، ومن ثم التأثير فيه، ويظهر ذلك في أسماء

1- **اللوز ينج**: حلوة تشبه القطائف تحشى بدهن اللوز والفنيد الهش والرقيق، أصلها فارسي موجودة اليوم في العراق وتعرف باسم الدهين (أنظر ابن منظور، لسان العرب، 407/5.

2- **الخرديق**: طعام فارسي معرب يصنع من مرق الشحم والسويق والتوابل والدقيق أو بر الخس، يشبه الحساء، وفيه قال الشاعر من البحر السريع:

وقَالتْ سُلَيْمى اشْتَرْ لنَا سُوَيْقًا **** وهاتِ بُر الخسِّ أو دَقِيقَا

وعجِّلْ بِشَحْمٍ نَتَّخِذُ خرْدِيقا **** واشْتَر وعَجِّلْ خادِمًا لَبِيقَا، (أنظر المقدسي، عبد الله بن عبد الجبار، (ت499هـ/1107م)، التعريب والمعرب، تحقيق: السامرائي إبراهيم، (د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، 80.

3- الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء،278/1.

4- روي أن أعرابي دخل على سليمان بن عبد الملك وبين يده فالودج فقال: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا شيء من أكله مات، قال: أفلا أذقه؟ قال: ذوقه، فأذاقه وشمر على ساعده وجعل يأكل ويقول: أوصيكم بعيالي خيرا، (أنظر الآبي منصور بن الحسن الرازي، (ت421هـ/1038م)، نثر الدرر، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م) ،23/2.

5- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 264/14.

6- جرجي زيدان، التمدن الإسلامي، 5/ 110.

7 - الجوهري، الصحاح في اللغة، 1131/3.

8- وكيع، أخبار القضاة، 166/1.

بعض الأطعمة والأشربة التي كانت تحضر في بيوت البعض منهم وهي أسماء فارسية أو رومية أو معربة مثل السيكباج.[1]

وقد يعود سبب ذلك إلى كون العرب في هذا العصر أقل تقدما في الحياة المترلية من الفرس والروم وهذا ما عبر عنه جواد علي بقوله: «إن الحاجة هي التي تحمي الناس على الأخذ والعطاء، وبها نفسر اقتباس العرب للكثير من المعربات، فأسماء بعض الأنسجة المصنوعة من الحرير وأسماء المأكولات النفيسة وبعض المشروبات وما شابه ذلك، إنما دخلت إلى الحياة العربية وعرّبت لأسباب عديدة منها أن الحياة في جزيرة العرب حياة عادية فاضطر الناس إلى أخذها من غيرهم وهذا بحكم الحاجة»[2]، وقد قامت الإماء بدور كبير في نقل الكثير منها إلى الأسر العربية.

على الرغم من التطور الحاصل في المأكل وتأنق بعض الناس في ذلك، خلال العصر الأموي ظل طعام العامة وبعض العلماء والفقهاء والزهاد، مقتصرا على صنف أو صنفين من الأطعمة، إضافة إلى التمر كالخبز والزيت، فقد ذكر المبرد أن طعام سالم[3] بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان الخبز والزيت[4] وهذا لا يعني أبدا أن الرجل كان فقيرا، وإنما قد يكون مرد ذلك زهده وورعه، هذا من جهة ومن جهة أخرى قد يكون العوز والفاقة وراء بساطة طعام بعض الناس بدليل انتشار ظاهرة إطعام العامة في العصر الأموي.[5]

2-اللباس:

يعتبر العصر الأموي زمن الفتوحات والثراء والحضارة بما أتيح للمدن العربية من رخاء وبما توافد عليها من عناصر أجنبية خاصة من النساء (الإماء) ساهمت بشكل أو بآخر في تحضرها وتمدنها وميل أهلها إلى الترف والتنعم بالطيبات، ومن مظاهر ذلك اتخاذهم لأنواع جديدة من الألبسة و الأقمشة، ارتداها الرجال والنساء

1- **السيكباج**: نوع من المرق كانوا يصنعونه من مرق اللحم والخل ويضعون فيه اللحوم المطبوخة، (أنظر البغدادي، كتاب الطبيخ)،6.

2 - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 344/16.

3- سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أمه أم ولد قيل أنها من بنات يزدجرد الثالث أخر ملوك الفرس، عاش في العصر الأموي، كان يلبس الخشن من الصوف، ويعالج بيده أرضا له عرف بالورع والزهد والعلم، يعد من الرواة الثقات، (أنظر ابن عساكر، تاريخ دمشق،48/20؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، 195/5؛ الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت746هـ/1362م): الوافي بالوفيات، تحقيق: الأرناؤوط أحمد، وتركي مصطفى، (د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000م)،83/15.

4- المبرد أبو العباس محمد، الكامل في واللغة والأدب، 126/2.

5- روي أن الحجاج بن يوسف الثقفي، (ت 96هـ/715م) كان ينصب ألف خوان في رمضان وخمسمائة في سائر الأيام، (أنظر التوحيدي ، البصائر والذخائر، 483/1؛ ابن عبد ربه، العقد، 203/1؛ الأبهيشي، المستطرف)،116/1.

على حد سواء، خاصة نساء الطبقة الخاصة، مثل الطيلسان[1]، والديباج، والكتان، ولبس نساء الأثرياء والمترفين من العامة والخاصة الحرير[2] على اختلاف أنواعه وأحبّوا الموشى[3] من اللباس وأكثروا من لبسه[4]، وبذلك حدثت بعض التحولات والتغيرات على لباس المرأة العربية، وظهرت أنواعٌ جديدة من الألبسة لم تكن معروفة عند العرب قبل هذا العصر أو على الأقل لدى السواد الأعظم منهم؛ وهذا ما عبر عنه طاووس بن كيسان (ت106هـ/724م) في قوله: "أنكم تلبسون لبوسا ما كان آباؤكم يلبسونها".[5]

وقد أشار عبد الله السيف إلى التحول الحاصل في اللباس العربي خلال العصر الأموي في قوله: "أن ألبسة الزهد والتقشف التي كانت سائدة في العصر الراشدي أخذت في الانحصار خلال العصر الأموي، مع تدفق الأموال، فصار الأغنياء يتطلعون إلى حياة جديدة فيها ترف وبذخ، فاقتنوا اللباس الفاخر المصنوع من أحسن أنواع الأقمشة وأغلاها".[6]

هذه الروايات تبرز التحول والتغير الذي بدأ يطرأ على لباس المرأة العربية خلال العصر الأموي بسبب احتكاك العرب بالأمم الأخرى خاصة عن طريق الإماء وهذا لقربهن من أفراد الأسرة من خلال تواجدهن داخل الأسر العربية كخدم أو سراري، فقد ساعد هؤلاء النساء المرأة العربية في معرفة الكثير من الملابس الأعجمية وطريقة تفصيلها وخياطتها وصناعتها ولبسها، مثل الطيلسان المصنوع من الديباج، والبرود على اختلاف أسمائها وأنواعها خاصة البردة السيراء وهي من أجود وأفخر أنواع البرود، يخلطها الحرير ومخططة بخطوط صفراء، وكانت من ألبسة النساء الثريات في العصر الأموي.[7]

وعليه فقد عرف العصر الأموي تأنق بعض النساء في اللباس خاصة نساء الطبقة الخاصة والأغنياء، كما تأنقت إمائهم أيضا في لبسهن وبالغوا في زينتهن وهذا ما يستشف من رواية الأصفهاني فقد ذكر أن جارية

1-**الطيلسان**: كساء أخضر لا يخاط ولا يفصل، يلبسه في الغالب العلماء والمشايخ، وهو من لباس العجم، جمعه طيالسة وطاليس، (أنظر الزبيدي، تاج العروس)، 944/3.

2- لبس رجال الطبقة الخاصة كالخلفاء الحرير بالرغم من تحريم الإسلام له، (أنظر، ابن تيمية، مجموع الفتاوى).

3- **الموشى**: ثياب مخطط ومزركش، قال اللحياني: هو برد مكعب فيه وشي مربع، (الزبيدي، تاج العروس، 153/4؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط)،168/1.

4- روى الأصفهاني فقال:**" أول من قلد الأعاجم وتأنق في الأكل والمشرب والملبس، معاوية بن أبي سفيان وعماله، فزياد بن أبيه أمير العراق أول من قلد الفرس في لباس القباء والديباج"**، (الأصفهاني، الأغاني، 104/14).

5- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 542/5.

6 – خليل علي حيدر: «لباس أهل مكة»، **جريدة الأيام البحرينية**، (ع/8565/البحرين، 05 ذو القعدة 1433هـ/21 سبتمبر 2012م)، 12.

7 – جرجي زيدان، التمدن الإسلامي، 94/5.

لسليمان بن عبد الملك كان عليها غلالة[1] ورداء معصفران[2] وعليها وشاحان[3] من ذهب وفي عنقها فصلان من من لؤلؤ وزبرجد وياقوت.

هذا التحول في اللباس والتأنق فيه لم يكن ظاهرة عامة مست كل أفراد المجتمع العربي في هذا العصر إنما هي ظاهرة خاصة مست بعض نساء ورجال الأسر الثرية و الطبقة الخاصة[4]، وهذا يعود في الأساس إلى امتلاكهم للثروة ورغبتهم في التمتع بالطيّبات، وبالرغم من ذلك فقد عاش بعض أفراد الأسر الحاكمة حياة زهد وتقشف، مثلما هو الحال بالنسبة لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وأسرته فقد عاش الرجل في بداية حياته متأنقا في مأكله وملبسه[5]، ولكن عندما آلت إليه الخلافة زهد في الدنيا وملذاتها وهذا ما نستشفه من حديث مالك بن دينار الذي يقول فيه: يقولون أني زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها[6]، كما أن هذا التحول لم يكن له تأثير كبير في البوادي لأن سكانها حافظوا على لباسهم العربي.

ومن العوامل التي ساعدت الناس في هذا العصر على التأنق في ملبسهم، تحسن مستوى المعيشة، وفرة المنتوجات في الأسواق العربية خاصة في الحواضر الكبرى كدمشق والكوفة والبصرة، ومكة والمدينة، هذه الوفرة التي تعود في الأساس إلى ازدهار التجارة؛ حيث كان تجار الملابس (البزازة)، ينقلونها من أماكن إنتاجها إلى الأسواق العربية، وازدهار الصناعة النسيجية في هذا العصر، حيث كان يتم إنتاجها محليا من قبل الخدم- خاصة الإماء- والموالي، واطلاعهم على حضارات المناطق التي فتحوها واحتكاكهم واختلاطهم بالعجم.

وبما أن العرب كانت تأنف من مزاولة بعض المهن والحرف كالحياكة والخياطة وغيرهما، واعتبروها من عمل الأعاجم والرقيق والخدم والمستضعفين من الناس[7]، فقد تولت هذه الفئات الإشراف على هذه المهن

1- **غلالة**: الغلالة هي الثوب الذي تشده المرأة على عجيزتها تحت إزارها، وربما كان من لباس الجواري، (أنظر ابن منظور، لسان العرب، 499/11؛ الزبيدي، تاج العروس)، 1428.

2- **العصفر**: نبات يستخرج منه صبغ احمر تصبغ به الملابس ونحوها، يقال ثوب معصفر أي صبغه بالمعصفر، (أنظر ابن منظور، لسان العرب، 390/14؛ الجوهري، الصحاح في اللغة،474/1؛ الزبيدي، تاج العروس)،6407/1.

3- **الوشاح**: شيء ينسج من أديم عريض ويرصع بالجوهرات تشده المرأة بين عاتقيها، (أنظر الجوهري، الصحاح في اللغة)، 279/2.

4- ابن عبد ربه العقد الفريد، 212/4، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 229/2؛ المسعودي، مروج الذهب، 194/3؛ الأصفهاني، الأغاني، 366/6.

5- ابن سعد، الطبقات، 334/5؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 204/4.

6- الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله، (ت 430هـ/1083م)، حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، (د.ط، القاهرة: دار السعادة، 1974م)، 275/5.

7- ذكر ابن عبد ربه، أن أعرابيا تخاصما مع مولى بين يدي بن عامر صاحب العراق، فقال له المولى: لا كثر الله فينا مثلك؟ فقال العربي له: بل كثر الله فينا مثلك، فقيل له: أيدع عليك وتدع له؟ قال نعم، يكسحون طرقنا ويخرزون خفافنا ويخيطون ثيابنا، (أنظر ابن عبد ربه، العقد الفريد) 423/3.

هذه الحادثة تبين بوضوح أن العرب كانت تحتقر بعض المهن، كالحياكة والحدادة وغيرها، لذا كان أكثر المشتغلين بها من الموالي والرقيق (العبيد والإماء)، وتكاد المصادر المختلفة خاصة كتب المستشرقين تجمع على أن العرب في جاهليتهم وفي صدر الإسلام، كانوا يحتقرون هذه الحرف

ومارستها على نطاق واسع، ووظفت فيها خبراتها ومهاراتها ومما يدل على امتهان العبيد والإماء والموالي لمختلف الحرف والمهن، والتي من بينها النسيج في هذا العصر قول الأصفهاني "وكان لعمر بن ربيعة، سبعون عبدا(إماء وغلمان) يزاولون حياكة المنسوجات"، وقول الإمام مالك وكان الولائد[1] في العصر الأموي يمارسون صناعة النسيج وكانت منتوجاتهن من الربط [2] تعرض في الأسواق للبيع.[3]

يتبين من هذه الروايات دور الرقيق بصفة عامة والإماء بصفة خاصة خلال هذا العصر في الصناعة النسيجية سواء كان هذا في الورشات الخاصة بذلك (معامل النسيج) أو داخل البيوت، وقد نتج عن ذلك إحداث بعض التغيرات على هذه الصناعة وبدا فيها التأثير الفارسي والروماني واضحا للعيان يتجلى في المنسوجات المعروضة في الأسواق وفي الأسماء التي كانت تحملها.

هذا يعني أن الإماء والجواري قد تمكن في هذا العصر من الولوج إلى الأسرة العربية وإدخال بعض التغيرات الهامة عليها مست جوانب شتى من حياتها، كالمأكل والملبس والمشرب؛ وأن هذه الشريحة قد ساهمت ولو بشكل ضئيل في نقل المجتمع العربي تدريجيا من حياة البداوة إلى حياة التحضر والتمدن، هذا التحضر الذي شارك فيه العرب بالقسط الأوفر سواء من خلال ممارستهم للفعل الحضاري باعتبارهم أصحاب دولة أو مكن خلال إنتاجهم للحضارة نفسها.

هذه الحضارة التي وصفها احد الكتاب الغربيين: «كان العرب أمة موهوبة جليلة الأخلاق والسجايا تواقة إلى ارتشاف العلوم، محسنة في اعتبار نعم التهذيب، تلك النعم التي قد انتهت إليها الحضارات السالفة وإذا شاع بين الغالبين والمغلوبين التزاوج ووحدة المعتقد، كان اختلاط ببعضهم ببعض سريعا، ومن هذا الاختلاط نشأت حضارة جديدة هي الحضارة العربية، وهي جماع متجدد للتهذيب اليوناني والروماني والفارسي، ذلك الجماع الذي نفخ فيه العرب روحا جديدة فنظر وازدهر وألفوا بين عناصره ومواده بالعبقرية العربية والروح الإسلامية، فاتحد وتماسك بعضه ببعض فأشرق وعلا علوا كبيرا».[4]

والصنائع ويأنفون منها، -الأغلبية العظمى-وقد يكون تفسير ذلك اشتغال العبيد والمستضعفين بها جعلهم يزدرونها وينفرون منها، ضف إلى ذلك انشغال العرب في هذا العصر بنشر الإسلام وتبليغ رسالته.

1- الوليدة هي الجارية التي تولد بين العرب وتنشأ بين أولادهم، ويعلمونها من الأدب ما يعلمون أولادهم، (أنظر ابن منظور،لسان العرب، 981/3؛ الزبيدي، تاج العروس)،2351.

2- الربط الملاءة إذا كانت قطعة واحدة، كل ملاءة غير ذات لفيفين، أي كلها من نسج واحد، وقيل أيضا كل ثوب لين ورقيق، والجمع ربط ورباط، (أنظر ابن منظور، لسان العرب،268/1؛ ابن قتيبة، أدب الكاتب)،155/1.

3- عبد العال محمد رضا: «**الموالي والرقيق في نجد والحجاز في العصر الأموي**»، بحث منشور في **مجلة المؤرخ المصري**، (العدد 13،القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، يوليو 1994م)، 208.

4- حريشة علي ومحمود سالم، حاضر العالم الإسلامي، (ط. 1، القاهرة: الناشر الدحوي مطاب، د. ت)،43 .

وهي إشارة واضحة للمستوى الفكري والعلمي، الذي وصل إليه العرب في هذه المرحلة، وكيف استفادوا من التراث العلمي والأدبي والفني...للأمم والشعوب التي احتكوا بها سواء عن طريق المجاورة في السكن أو الزواج والتسري واتخاذهم للخدم من الإماء والجواري، وكيف اقبلوا عليه بالدراسة والتحليل، وبثوا فيه روحا جديدة، هي الروح الإسلامية فاتحد وتماسك ازدهر ازدهارا كبيرا.

من خلال ما تقدم يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

ساهمت الإماء خلال العصر الأموي وبشكل كبير، في مزج النسب العربي بدماء العديد من الشعوب الأخرى؛ ومن مختلف الأعراق والأجناس من فرس، وروم، وبربر، وأحباش...الخ، وهذا من خلال التسري والزواج من الإماء بعد عتقهن، أو اتخاذهن أمهات لأولادهم.

حرم أبناء الإماء من تقلد منصب الخلافة، في هذا العصر، و لم يسمح لهم بتولي هذا المنصب إلا في الحقبة الأخيرة من عمر الدولة الأموية.

تركت الإماء بصمات واضحة على مختلف أوجه الحياة الأسرية، من مأكل، ومشرب، وملبس، وكذا العلاقات الأسرية، وبنية الأسرة وعاداتها وتقاليدها، وساهمت في تحسين العديد من الخدمات المترلية.

نافست الإماء المرأة العربية الحرة في العديد من المجالات؛ وتمكنت من التفوق عليها وافتكاك بعض الأدوار منها، بما تملكه من قدرات ومهارات تؤهلها لذلك، خاصة وأنها كانت مرغوبة – مطلوبة-يسعى الكل إليها، وهي وفي متناول الجميع والحصول عليها أمر سهل ويسير، عكس المرأة الحرة.

هذا يدفع للقول أن هذه الفئة وبالرغم من أنها عاشت في بيئة، غير البيئة التي ولدت وتربت فيها؛ إلا أنها تمكنت بفضل ما تملكه من مؤهلات وقدرات من فرض وجودها وإثبات ذاتها، وبالتالي لم تعش على الهامش بل كانت جزءا من المجتمع الإسلامي أثرت فيه وتأثرت به، وتركت بصماتها واضحة على الأسرة العربية، وساهمت في التحولات التي طرأت على هذه الأسرة خلال العصري الأموي سواء أكان ذلك في المأكل أو المشرب أو الملبس أو حتى على أفراد الأسرة أنفسهم.

الفصل الثالث:

أثر الإماء في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: اختلاط النسب العربي وظهور المولدين

ثانيا: دور الإماء في انتشار الغناء والطرب

ثالثا: علاقة الإماء بظهور الخصاء

رابعا: دور الإماء في إحياء وانتشار شعر الغزل والتشبيب

خامسا: دور الإماء في انتشار وشيوع اللحن في اللغة

المبحث الأول: اختلاط النسب العربي وظهور المولدين

عرف النسب العربي في الجاهلية وبداية صدر الإسلام –العهدين النبوي والراشدي–بأنه كان خالصا (نسيبا)، وهذا لأن العرب في هذه الفترة كانت تأنف من الزواج من غير العربية الحرة، أو اتخاذها أما لأولادهم، وإن حدثت بعض الحالات فإنها كانت محدودة و لم يكن لها تأثير يذكر على النسب العربي.

أما في العصر الأموي فالأمر اختلف فقد انتشرت ظاهرة زواج العرب بالإماء الكتابيات[1]، واتخاذهن للتسري، وساعد على ذلك طبيعة ظروف الحرب، فالمرأة العربية إما أن تشارك زوجها في الغزوات وترحل معه أو تبقى في بيتها، هذا بالنسبة للمحاربين الذين كانوا يملكون أزواجا، أما المجاهدون الذين لا يملكون أزواجا أو الذين لم ترحل معهم أزواجهم فقد يعجب احدهم بكتابية من السبي فيتزوج بها بعد شرائها من مالكها وعتقها، أو تكون من نصيب أحدهم جارية –بعد الأنصار في المعركة وقسمة الغنائم–، يتسرى بها وقد يأتي بها إلى بيته.

وكنتيجة حتمية لهذا الزواج والتسري، فإن النسب العربي لم يعد خالصا، وأن الإماء قد ساهمن بقسط كبير في مزجه بأجناس أخرى غير عربية، فالأبناء الذين يولدون من زواج العرب بالكتابيات، أو عن طريق تسريهم بالإماء ؛ هم عرب من جهة الأب وأعاجم من جهة الأم، فقد كانت أممحمد بن المنكدر بن عبد الله، (ت130هـ/747م)[2] أمه أم ولد، وأم يزيد بن الوليد، (ت 126هـ744م)[3] من سبي فارس وقيل أن أم مسلمة بن عبد الملك، (121هـ/738م) رومية[4]، وأم مروان بن محمد (132هـ/749مرومية أيضا[5]، وكان أولاد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، (ت64هـ/683م) عبدا لله، وعمر، وأبو بكر، وعنبسة، وحرب، وعبد الرحمان، والربيع، كلهم أبناء إماء ومن أمهات عديدات وأبناء عبد الملك بن مروان، (86هـ/705م) عنبسة، والمنذر، ومحمد، وسعيد، والحجاج، ومسلمة، من أمهات أولاد[6] وكذلك أبناء عمر بن عبد العزيز،(101هـ/720م)

1– **الكتابيات**: تسمى الأنثى من أهل الكتاب بالكتابية، وأهل الكتاب تعبير قرآني، يطلق على الملل التي تؤمن بنبي له كتاب سماوي، مثل اليهود والنصارى، وقد ورد ذكر أهل الكتاب في القرآن الكريم، في عدة سور، البقرة،221، المائدة،5، (أنظر ابن كثير، تفسير ابن كثير، 474/1، والطبري، تفسير الطبري)،363/4.

2-ابن سعد، الطبقات الكبرى، 18/5.

3- ابن حبيب أبو جعفر محمد، (ت245هـ/860م)، المحبر، تحقيق: ايلزة ليختن شتيتر، (د.ط، بيروت: دار الأفاق الجديد، د.ت)،45/1

4-ابن عساكر، تاريخ دمشق، 58 /27؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 241/5.

5- الذهبي، سير أعلام النبلاء، 76/6، ابن عساكر، تاريخ دمشق، 319.

6- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 24/47.

عاصم، وعبد الملك، وآدم[1]، وإبراهيم، وقيل أن أم إسحاق زوجة الحسين بن علي بن أبي طالب أمها أم ولد (أمة)[2]، وفاطمة الصغرى بنت علي بن ابن طلب أمها أم ولد[3]، وزينب بنت هشام بن عبد الملك أمها، أم ولد[4]، والأمثلة كثيرة.

يتبين من هذه الأمثلة أن ظاهرة الزواج من الإماء واتخاذهن للتسري وطلب الولد كانت موجودة خلال العصر الأموي، بصرف النظر عن مدى انتشارها؛ وأن هذه الظاهرة قد ساهمت في مزج الدماء العربية بدماء أخرى غير عربية (فارسية حبشية بربرية رومية...الخ)، وبالتالي فالنسب العربي من جهة الأم بات مختلطا لأن أولاد الإماء ينتسبون من جهة الأم إلى البربر والرومان والفرس والأحباش...الخ؛ وكانت الإماء سببا في مزجه.

ومع إقبال الناس في هذا العصر خاصة في النصف الثاني منه على اقتناء الجواري والإماء واتخاذهن للتسري كثر عدد المولدين[5]، في المجتمع العربي الإسلامي، وتمكن البعض منهم بما امتلكوه من مواهب وقدرات وقدرات من فرض أنفسهم في المجتمع والوصول إلى أعلى المراتب القيادية في الدولة[6]، بما فيها منصب الخلافة.

إذن فالنسب العربي مع نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري لم يعد خالصا، بل امتزج بدماء أخرى، لم تسلم منه أي طبقة من طبقات المجتمع بما فيها الطبقة الحاكمة[7]، وأن هذا النسب بقي محفوظا فقط من جهة الآباء، أما من جهة الأمهات فبات مختلطا.

أطلقت العرب في الجاهلية اسم الهجناء[8] (المولدون) على أبناء الإماء وأمهاتهم يلقبن بأمهات الأولاد تمييزا لهن عن الحرائر أمهات البنين[9]، وإذا تزوج العربي الحر من عربية حرة وأنجبت له ولدا كان ابنها عربيا

1- النووي، تهذيب الأسماء واللغات، 433/1.

2- المحب الطبري أبو جعفر أحمد بن عبد الله الطبري، (ت694هـ/1294م)، الرياض النضرة في مناقب العشرة، تحقيق: عيسى بن عبد الله بن محمد بن مانع الحميري، (ط.1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996م)،305/1.

3-ابن عساكر، تاريخ دمشق،35/70.

4- نفسه، 179/69.

5- **الصريح**: هو المحض والخالص من كل شيء، والصريح الرجل الخالص النسب، (أنظر الزبيدي، تاج العروس،1661/1، وابن منظور، لسان العرب)، 24/24.

6- تولى الكثير من أبناء الإماء مناصب هامة في الدولة خلال العصر الأموي (أنظر الملحق رقم2).

7- الكثير من أبناء الخلفاء في العصر الأموي أمهاتهم من الإماء والجواري والسبب في ذلك تسري هؤلاء الخلفاء ببعض إمائهم وجواريهم أو الزواج بهن، (أنظر البلاذري، أنساب الأشراف؛ ابن سعد الطبقات).

8- ويعرفون أيضا بالمولدين، وهم الأولاد الذين ينتجون عن زواج العرب بالأعجميات، وبما أن لون بشرتهم يميل إلى الحمرة فقد أطلقت العرب عليهم اسم الهجناء، (أنظر ابن منظور، لسان العرب، مادة هجن، 13/ 432؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد)، 439/2.

9- الجاحظ، رسائل الجاحظ، 39/1.

صريحا[1]، وكانت هي أم البنين أما إذا تزوج من آمة (عبدة) وأنجبت له ولدا، فتصبح هي أم ولد، وقد تتحرر من العبودية ويصبح ابنها هجين.

ولكن وبالرغم من أن الأمة في الإسلام إذا أنجبت من سيدها تحررت من العبودية وأن هذا الابن ينتسب من جهة الأب إلى رجل عربي حر؛ إلا أنها تبقى هي وولدها في منزلة اجتماعية أقل من منزلة المرأة الحرة وأبنائها، هذا الموقف السلبي من أبناء الإماء (المولدون) قد يكون مرده العصبية، هذه العصبية التي بقيت راسخة في العقلية العربية حتى بعد الإسلام خاصة في النصف الأول من القرن الأول الهجري.

ثم أن هذه النظرة لم يسلم منها حتى أبناء الخلفاء والأشراف وعلية القوم، فقد حرمتهم من تولي منصب الخلافة خاصة في الفترة الأولى من الحكم الأموي، وهذا لاعتقاد بني أمية أن العرب لا تطيعهم ولا تبايع إلا صريحا، وأن ملكهم سيزول لو يتولى ابن أمة الحكم، وقد عبر عن ذلك هشام بن عبد الملك (125هـ/743م) فقد قيل أن هشام بن عبد الملك قال يوما لزيد بن علي بن الحسين(122هـ/740م): «بلغني أنك تسمو بنفسك – في رواية أخرى تحدث نفسك–[2] إلى الإمامة (الخلافة) وهي لا تصلح لأبناء الإماء وذلك لأن العرب لا تطيعهم»[3]، وقد شعر أبناء الإماء بالمهانة وعدم المساواة في المعاملة بينهم وبين أبناء العربيات الحرائر، ودفعهم ذلك إلى الاعتزاز بأنفسهم، كما هو الحال بالنسبة لعبيد الله بن الحر (ت68هـ/687م)[4] – أمه أم ولد –وفي ذلك يقول من البحر الطويل:

فإنْ كَانَتْ أُمِي منْ نساءِ أفَاءَهَا **** جيَادُ القَنَا والمُرْهَقَاتِ الصَّحَائِفِ

فتبًّا لِفضْل الحُرِّ إنْ لَمْ أَنَلْ به **** كَرَائِم أولادِ النِّسَاءِ الصَرَايْحِ[5]

أو إلى الافتخار بأخوالهم من غير العرب كما هو الحال بالنسبة للشاعر بلال بن جرير بن عطية الخطفي،[6] وهو ابن أمة وكانوا كلما ذكروه؛ نسبوه إلى أمه، فقال من البحر السريع:

يا ربَّ خالٍ لي أغَرُّ ابْلجَا[1] ****منْ آلِ كِسْرى يتَغَذَّى مُتَوهِجَا

1- نفسه.

2- ابن عبد ربه العقد الفريد، 128/6؛ المسعودي، مروج الذهب،404/1.

3- العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله، (ت359هـ/1004م)، كتاب جمهرة الأمثال، (ط.2، بيروت: دار الفكر،1988م)،59/1.

4- **عبيد الله**: هو عبيد الله بن الحر الجعفي، (ت68هـ/687م)، شاعر من منجح ولد وعاش في الكوفة، اشترك في معركة القادسية، ناصر معاوية بن أبي سفيان، ثم حارب بني أمية، يعد من الشعراء الفتاك، (للمزيد أنظر الطبري، تاريخ الطبري، 503/3، ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أبو الفضل، (ت 852هـ/1448م)، الإصابة في تميز الصحابة، (ط.1، القاهرة: مطبعة السعادة، 1970م)،114/5.

5- المبرد، الكامل في اللغة ولأدب، 91/2، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 503/3.

6- هو بلال بن جرير بن عطية الخطفي أبو زافر من بني كلب بن يربوع، شاعر من الهجائيين، قيل كان أفضل إخوته وأشعرهم عاش في العصر الأموي، توفي سنة 140هـ/757م، (أنظر الزركلي، الأعلام، 72/2، ابن عساكر، تاريخ دمشق)، 410/10.

و قد كانت من عادة العرب في الجاهلية إذا أرادت احتقار شخص ما ذكروا أنه ابن أمة أو جارية،أما إذا أرادت شتمه قيل له، لا أم لك ![2] بمعنى ليست له أم حرة، وهذا يبين أيضا أن أبناء الإماء كانوا أقل شأنا من أبناء الحرائر– ربما يكون هذا من باب التفاضل في النسب لا التمايز والاحتقار– فبالرغم من أن الإسلام قد سوى بينهم في الحقوق والواجبات باعتبارهم أحرارا، فمثلا في الميراث يأخذ ابن الأمة مثلما يأخذ ابن الحرة، ولكن بعض المتشددين الجاهلين بأمور الدين والفقه كانوا يرون عكس ذلك، وهي حالات فردية لا يقاس عليها، فمثلا من بين الروايات التي ذكرها بعض الكتاب القدماء أمثال الدينوري أن أعرابيا – والأعراب معروفون بجهلهم للكثير من المسائل الفقهية– من بني العنبر في العصر الأموي زمن الحجاج بن يوسف دخل على سوار القاضي[3](ت 102هـ/721م) فقال: «إن أبي مات وتركني وأخا لي، وخط خطين ثم قال وهجين، ثم خط خطا آخر في جهة أخرى قال:كيف نقسم المال؟ فأجابه القاضي: المال بينكم ثلاثا فقال الأعرابي: ما حسبتك فهمت عني! أنه تركني وأخي وهجينا، فكيف يأخذ الهجين مثل ما يأخذ أخي؟ فقال: أجل، فغضب الأعرابي».[4]

من هذه الرواية يمكن أن نستشف أمرين؛ الأول: أن نظرة العامة والخاصة للهجين كانت واحدة فهو في نظرهم أقل شأنا من ابن الحرة، أورد ابن حمدون في التذكرة: أن سعيد بن المسيب (ت94هـ/715م)[5] سأل رجلا يوما من أخوالك؟ فأجابه: أمي فتاة (أمة)، فقال الرجل فكأني نقصت من عينه[6]، والثاني: هو أن التفاضل من منظور الخاصة (العلماء، والخلفاء، وكبار رجال الدولة) لا يقصي الطرف الآخر أو يمنعه حقوقه[7] أما في منظور العامة فيختلف باختلاف فهمهم للدين، كما هو الحال بالنسبة لهذا الأعرابي الذي اعتقد بجهله أن ابن الأمة لا يرث مثل ابن الحرة !!!.

1- **أبلج**: البلجة تباعد الحاجبين، والأبلج أيضا الأبيض الحسن الواسع الوجه، (أنظر ابن منظور، لسان العرب، 215/2؛ الزبيدي، تاج العروس،1337/1.

2- الجاحظ، البخلاء،72/2؛ الأصفهاني، الأغاني، 141/2.

3- سوار القاضي هو أبو عبد الله بن قدامة العنبري قاضي البصرة زمن الحجاج بن يوسف الثقفي (أنظر ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، 500/1، ابن حيان، الثقات، 24/5.

4- ابن قتيبة أبو محمد مسلم، (ت 276هـ/889م)، عيون الأخبار، تصنيف: ناجي عبد الجبار، (د. ط، بغداد: دار الحكمة، 2000م)، 165/1؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد،420/1؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 3 /208.

5- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 119/5، ابن كثير، البداية والنهاية، 121/9.

6- ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 345/2؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 90/2.

7- المقصود هنا بالحقوق، الحقوق الدينية؛ لأن هذه الفئة حرمت في بداية العصر الأموي من بعض الحقوق المدنية كحق تولي منصب الخلافة، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

كان هذا في بداية العصر الأموي لما كانت العصبية العربية مستحكمة وقوية، أما في نهاية هذا العصر فقد تغيرت الأمور وتغيرت معها هذه النظرة ،و ربما يعود ذلك إلى ضعف العصبية القبلية في هذه الفترة وحل مكانها الولاء للدولة وللسلطة الحاكمة حيث أصبح الولاء للحزب الأموي والتعاون معه؛ هو معيار الانتماء والتقرب، فالتفاضل بين الناس يكون بمدى ولائهم ودعمهم للدولة بغض النظر عن انتمائهم العرقي أو المذهبي.

كما أن تزايد أعداد الهجناء (أبناء الإماء) في المجتمع الإسلامي على حساب العرب الصرحاء خاصة أصحاب الكفاءات،أدى إلى تخلي بني أمية عن موقفهم من تولي أبناء الإماء لمنصب الخلافة حيث سمح لهذه الفئة بتولي هذا المنصب.

وعليه فالفترة الأخيرة من عمر الدولة الأموية طرأ فيها تحول حيث سمح لأبناء الإماء بتولي منصب الخلافة، فتسلم يزيد بن الوليد بن عبد الملك (الناقص) مقاليد الحكم عام (126هـ/744م)[1]، وتولى إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك الخلافة عام (126-127هـ/744-745م)[2]، وهو ابن أمة وأخ ليزيد، وتولى مروان بن محمد بن الحكم الخلافة سنة (127-132هـ/ 749-744م)[3] وهو آخر خلفاء بني أمية وأمه أم ولد.

إن النظرة السلبية التي كانت في بداية الحكم الأموي قوية قد أخذت تتلاشى مع مرور الوقت، مما دفع بني أمية بعد موت الوليد بن يزيد بن عبد الملك، إلى مبايعة أبناء الإماء بالخلافة، وكان هذا الإجراء حسب وجهة نظر بعض المتشددين في النظرة إلى أبناء الإماء سبب في ضياع ملك بني أمية،[4]وهو رأي لا يخلو من المبالغة والتشاؤم؛ ومجانبة الصواب بدليل أن من أسباب سقوط الدولة الأموية العصبية المقيتة.

1- هو أبو خالد يزيد بن الوليد بن عبد الملك لقب بالناقص لكونه نقص في أعطيات الجنود، تولى الخلافة بعد مقتل ابن عمه الوليد، أمه أم ولد (بنت يزدجر)، أول خليفة أموي من أم غير عربية يتولى الخلافة، وصل إلى الحكم بعد مقتل ابن عمه الوليد بن يزيد عام (126هـ/744م)، كان يفتخر بكون أمه غير عربية، وأنه ينتمي من جهة أمه إلى الروم والفرس حيث قال من البحر السريع:

أنَا ابن كِسْرَى وأبي مَرْوانُ****وقَيْصَرُ جدي وجَدِي خَاقَانَا

لأن أمه كانت فارسية وأمها كانت رومية (السيوطي، تاريخ الخلفاء، 222/1).

2- هو إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك تولى الخلافة بعد موت أخيه يزيد يقال أن أمه بربرية، دام حكمه ستة أشهر (أنظر الذهبي أبو عبد الله شمس الدين، (ت748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: المنجد صلاح الدين، (د. ط، القاهرة: دار المعارف، 1956م)، 376/5؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 212/3؛ ابن كثير، البداية والنهاية)، 10، 24.

3- مروان بن محمد (127-132هـ/744-749م)، لقب بالجعدي وبالحمار، هو آخر خلفاء بني أمية في الشام له حروب وفتوحات كثيرة في أيامه قويت الدعوة العباسية انهزم جيشه في موقعة الزاب بين الموصل وأربيل، فر إلى مصر وقتل في بوصير عام 132هـ/749م، لقب بالحمار لجرأته وشجاعته في الحرب، وبالجعدي نسبة إلى معلمه ومؤدبه الجعد بن درهم، (أنظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 424/1؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 22/10؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء)، 255/25.

4- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 440/2؛ الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد، (427هـ/1040)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين، (ط.1، بيروت: دار المعرفة، د.ت)،15/1.

و لم يقتصر دور أبناء الإماء على تولية منصب الخلافة فقط، فقد برزوا أيضا في الفقه، حيث مرت فترة سيطروا فيها على الفقه والقضاء في الدولة الأموية سواء كانوا من أصول عربية من جهة الأب أو من أصول أعجمية (موالي) فقد سئل عبد الملك بن مروان يوما عن فقهاء الأمصار فقيل له: سليمان بن يسار(ت94هـ/713م)[1]، و عطاء بن رباح (ت115هـ/733م)[2]، وعبد الله بن طاووس(ت132هـ/749م)[3]، و ميمون بن مهران (ت117هـ/736م)[4]، و مكحول (ت112هـ/729م)[5]،و الحسن بن أبي الحسن البصري (ت110هـ/728م)[6]، و سعيد بن جبير (ت95هـ/714م)[7]، فقال: ما أراهم إلا أبناء الإماء[8] !

فهؤلاء الرجال تمكنوا من كتابة أسمائهم بأحرف من ذهب من خلال نبوغهم في شتى مجالات العلم والمعرفة، وفرضوا وجودهم في المجتمع الإسلامي بالرغم من أنهم أبناء إماء.

أما المناصب الإدارية العليا والمراكز القيادية الأخرى فلم تكن ممنوعة عليهم بل كانت متاحة لهم فقد تمكن العديد من المولدين من تقلد مناصب عليا في الدولة، حيث تولى مسلمة بن عبد الملك القيادة العسكرية سنة (86هـ/710م) وتمكن من فتح مناطق عديدة غربا (الروم) وشرقا (الفرس)[9]، وتولى قيادة الجيش أيضا في هذا العصر؛ عمر بن مصعب بن الزبير وهو ابن أمة[10] وغيرهم كثير.

1- هو أبو أيوب سليمان بن يسار مولى أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، زوجة رسول الله ﷺ وأحد فقهاء المدينة المشهورين عرف بغزارة علمه وورعه، (أنظر ابن منظور،طبقات الفقهاء، 60/1؛ الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 190/2.

2- هو عطاء بن أبي رباح مولى من موالي آل أبي الخيثم الفهري القريشي، من كبار العلماء التابعين عاش في العصر الأموي (أنظر ابن عساكر، تاريخ دمشق، 370/40؛ الصلابي، عمر بن عبد العزيز،104/3.

3- هو عبد الله بن طاووس بن كيسان الهمذاني، من عباد أهل اليمن وفقهائها المشهورين عرف بالعلم والورع والتقوى، ولي القضاء في خلافة عبد الملك بن مروان (أنظر الذهبي سير أعلام النبلاء، 103/6؛ الزركلي، الأعلام، 110/3؛ الغيتابي أبو محمد بن احمد بن موسى بن أحمد (ت855هـ/ 1263م)، مغالي الأخيار في شرح أسامي رجال الآثار، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2006م)، 94/4.

4- هو أبو أيوب ميمون بن مهران الرقي -نسبة إلى مدينة الرقة التي نزل بها -مولى بني نصر، مؤدب أبناء عمر بن عبد العزيز من كبار العلماء والفقهاء والرواة الثقات، (أنظر العجلي، الثقات، 307/2، الغيتاني، مغالي الأخيار، 115/5.

5- هو مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل من سبي فارس، أبو عبد الله الهذلي بالولاء، فقيه أهل الشام في عصره، من حفاظ الحديث، (أنظر ابن عساكر تاريخ دمشق، 240/60، الغيتابي، مغالي الأخيار في شرح أسامي رجال الآثار، 46/3، الزركلي، الأعلام،284/7.

6- الحسن البصري (110هـ/728م) الحسن بن يسار البصري إمام عالم من علماء أهل السنة والجماعة، أمه خيرة مولاة أم سلمة أم المؤمنين على تقوم على خدمتها، (أنظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، 115/1؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب،110/2، الأصبهاني، حلية الأولياء، 131/2.

7- هو سعيد بن جبير أصله من الحبشة كان عالما تقيا عاش بالكوفة قتل زمن الحجاج بن يوسف سنة (95هـ/714م)؛ (أنظر ابن خلكان، وفيات الأعيان)، 371/2.

8- ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 490/7، ابن عساكر، تاريخ دمشق، 347/61.

9- البلاذري، أنساب الأشراف، 133/3.

10- الزبير بن بكار، (ت 256هـ/870م)، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق: محمود محمد شاكر، (د. ط، القاهرة: مطبعة المدني، 1381هـ)، 12/1؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، 99/10.

وعليه يمكن القول أن الإماء وأبناءهم كان لهم تأثيرا كبيرا على النسب العربي، فقد تمكنت هذه الفئة من مزج الدم العربي بدماء أخرى، نتج عنه ظهور فئة من المولدين جمعت بين عز العرب ودهاء العجم، وتمكنوا من فرض وجودهم في المجتمع الإسلامي بعلمهم وورعهم وتقواهم، أمثال سالم بن عبد الله بن عمر[1] ومحمد بن بن الحنفية[2] ومحمد بن عمر بن عبد العزيز[3]، أو بشجاعتهم وإقدامهم ورجاحة عقلهم أمثال عبيد الله بن الحر ومسلمة، ومروان بن محمد، وغيرهم كثير.

1- هو سالم بن عبد الله بن عمر، أمه من سبي فارس، علم جليل عرف بالورع والزهد والصلاح عاش في العصر الأموي، توفي عام (106هـ/725م)، (أنظر ابن سعد، الطبقات الكبرى)، 195/5.

2- محمد بن الحنفية، هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه،أمه أم ولد، خولة بنت جعفر الحنفية نسب إليها تميزا له عن أخويه الحسن والحسين، عرف بالعلم والشجاعة، حارب مع أبيه في صفين، توفي عام (81هـ/694م)، (أنظر ابن كثير، البداية والنهاية، 457/8؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 214/5؛ ابن سعد الطبقات)،91/5.

3- هو عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز بن مروان، أمه أم ولد، أشتهر بالعلم والزهد والورع والتقوى، توفي في خلافة أبيه عام 101هـ، (للمزيد أنظر ابن عساكر، تاريخ دمشق،38/37؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة، 127/2، الزركلي، الأعلام)،161/4.

المبحث الثاني: دور الإماء في انتشار الغناء والطرب

كان العرب في الجاهلية شغوفين بالغناء[1]؛ ولما جاء الإسلام انشغلوا بالفتوحات ونشر الدعوة الإسلامية وزهد أغلبهم في الدنيا خاصة في العهدين النبوي والراشدي، أما في العهد الأموي فالدولة توسعت واختلط العرب بشعوب عديدة عن طريق الفتوحات، والسكن، والمصاهرة، واقتناء الإماء، فكان لهذا الاختلاط آثار على المجتمع حيث مال بعض الناس خاصة في الحواضر الكبرى إلى الترف والطرب.

قامت الإماء بدور هام في نشر الغناء والطرب في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي، لانشغالهن به[2] فقد ظهرت في مكة والمدينة أول دور لتعليم الغناء للجواري وتكونت أول طبقة للمغنيين الذين ألفوا من ألحان الفرس والروم ألحان جديدة[3]، وكان من أشهر المغنين الأوائل في هذا العصر بالمدينة نشيط الفارسي[4] وسائب خاثر (ت63هـ/682م)[5]، و طويس (ت91هـ/710م)[6]، وكان طويس أول صوت غنى في الإسلام الغناء المتقن الصنعة الممزوج بالألحان الفارسية[7]، وهؤلاء هم من أخذ في تعليم الجواري والإماء الغناء والضرب على الأوتار، حيث كانوا يصنعون لهن ألحانا من الشعر العذب الذي كان يتغنى به شعراء الغزل في معشوقاتهم أمثال عمرو بن أبي ربيعة (ت93هـ/711م) والأحوص (ت105هـ/723م)[8] وغيرهم وكان بيت جميلة، وعزة الميلاء (ت115هـ/733م) مراكز لتعليم الإماء الغناء في العصر الأموي.

ومع مرور الوقت انتشرت دور الغناء في مناطق كثيرة خاصة في منطقة الحجاز[9]، وقد يكون مرد ذلك وجود أغلب شعراء الغزل في منطقة الحجاز خاصة مكة والمدينة أمثال عمر بن أبي ربيعة، والأحوص، والعرجي

1- النويري، نهاية الأرب، 38/5؛ الأسد ناصر الدين، القيان والغناء في العصر الجاهلي، (ط3، بيروت: دار الجيل للطباعة والنشر، 1988م)، 86.

2- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 286/27؛ الزركلي، 163/2؛ ابن منظور، تاريخ مدينة دمشق، 228/69.

3- الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، 97.

4- **نشيط الفارسي**: غلام لعبد الله بن جعفر تعلم الغناء العربي من سائب خاثر وعلم الكثير من الأشخاص الغناء بالعربية، (أنظر ابن خلدون، المقدمة)، 44/1.

5 - **سائب خاثر**: أصله من الفرس، اشتراه عبد الله بن جعفر وأعتقه، يعد من أشهر المغنين في القرن الأول الهجري، (أنظر النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب)، 243/4.

6 - **طويس**: هو عيسى بن عبد الله، من أشهر المغنين في صدر الإسلام، عاش في المدينة وكان ملما بتاريخها وأنساب أهلها، (أنظر الأصفهاني، الأغاني، 219/4؛ الزركلي، الأعلام)، 105/5

7- العسكري أبو هلال، الأوائل، 314، الميداني، مجمع الأمثال، 258/1.

8- **الأحوص**: هو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي أفلح من الأنصار، رموه بالزنا وشكوه إلى عمر بن عبد العزيز، فنفاه من المدينة إلى اليمن، (أنظر الأعلام للزركلي، 257/4، ابن قتيبة، الشعر والشعراء)، 124.

1- هناك من الكتاب خاصة المحدثين أمثال جرجي زيدان، وأحمد أمين، من أشار إلى أن بني أمية أغدقوا الأموال على سكان الحجاز، وشحذوا مكة والمدينة، بطائفة كبيرة من المغنين والقيان، وشجعوا دور اللهو والشراب، وهذا لإبعادهم عن السياسة، والتفكير في الحكم، وهي إشارة على=

ومنها انتقلت إلى باقي المناطق الأخرى مثل بغداد ودمشق وغيرهما، وفي دور التقنين هذه كان يتم تعليم الإماء القراءة والكتابة والأدب والشعر، ذكر الأصفهاني: "أن الأدباء اهتموا بتعليم الإماء والجواري أكثر من اهتمامهم بتعليم الحرائر، هادفين من وراء ذلك تحقيق ربح مادي، فقد كان علم الجارية وأدبها يقوّم في سوق الرقيق، بأكثر ما يقوم جمالها،وكانت الجواري يعلمن الشعر ويدربن على حفظ القصائد الشعرية، التي تصلح للغناء، والتي تمتاز بسهولتها، وقرب معناها، وعذوبة لفظها"[1].

هذه الرواية تبرز مدى التحول الذي عرفه المجتمع الإسلامي في هذا العصر، فقد تنافس الأدباء والمغنون والنخاسين، على تعليم الجواري وتثقيفهن وهذا للرفع من أثمانهن، كما تبرز المستوى الفكري والحضاري الذي وصل إليه المجتمع في العصر الأموي، فلم يعد الجمال هو المعيار الوحيد الذي يحدد ثمن الجارية؛ بل أضيف إليه معيار أخر هو الأخلاق والآداب والثقافة، كما أن الغناء في هذا العصر ربما كان مجرد تلحين لقصائد شعرية تمتاز برقتها وعذوبة ألفاظها وبالتالي قد لا يكون الاشتغال به أو الاستماع إليه انحراف أخلاقي أو سلوكي، كما هو الحال اليوم بالنسبة للأناشيد الوطنية والمدائح الدينية .

كما أدى الاهتمام بتعليم الإماء وتثقيفهن إلى تحفيز الميسورين من الناس على اقتنائهن ودفع مبالغ كبيرة في شرائهن، فقد روي أن يزيد بن عبد الملك (ت126هـ/744م)، اشترى الجارية سلامة بعشرين ألف دينار[2] وبيعت الجارية حبابة بخمسة آلاف دينار،[3] وكان الجمال شرطا أساسيا في الجواري المغنيات؛ وهذا حتى يجمعن بين الجمال والظرف، وحسن الغناء، ومن أشهر الجواري المغنيات اللواتي عرفن في العصر الأموي واكتسبن شهرة واسعة في مجال الغناء والطرب المغنية سلامة القس[4]، والذلفاء[5]، وحبابة، (ت105هـ/724م)[6] وقد عرفن جميعا بقول الشعر وإجادة الغناء وحسن الحديث،كما عرفن بالذكاء والفطنة.

=ما يبدوا غير دقيقة، بدليل أن الحجاز لعبت دورا أساسيا في الحركات السياسية التي قامت بها، مثل حركة ابن الزبير، كما أن السكان ما كانوا ليعيشوا من وراء اللهو والغناء، وفيهم من فيهم من الصحابة وأبنائهم.

1- الأصفهاني، الأغاني،366/3،344،319.

2- الزركلي، الأعلام، 107/3.

3-ابن الجوزي، أخبار النساء،210/1.

4- **سلامة القس**: مولدة من مولدات المدينة، شاعرة ومغنية، أخذت الغناء عن معبد، وابن عائشة، وجميلة، ومهرت فيه، عرفت بسلامة القس،لأن عبد الرحمان بن أبي عمار المعروف بالقس لزهده وورعه، وهو من قراء المدينة، شغف بها، وشغفت به، فغلب عليها لقبه اشتراها يزيد بن عبد الملك، وعاشت بعده، وهي إحدى التهم التي قتل بها الوليد ابنه،لأن قتلته قالوا له: ننقم عليك لأنك تطأ جواري أبيك، (أنظر الأصفهاني، الأغاني، 347/8؛ الزركلي، الأعلام)، 107/3.

5- ابن الجوزي، أخبار النساء، 104/1، الأصفهاني، الأغاني، 211/8.

6- الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 46/1، ابن الجوزي، أخبار النساء، 210/1.

لقد شكل بعض إماء القصور طبقة مترفة تحيط بها شتى أنواع المعرفة والثقافة[1]، وفسح لها المجال لإبراز قدراتها ومواهبها؛ فنبغ منهن الكثيرات في مجال الشعر والغناء[2] وأصبح الشعراء يقصدونهم للمساجلة في الشعر وتمكن من فرض وجودهن في المجتمع حيث وصل البعض منهن إلى مراتب عالية في السلم الاجتماعي وعشن حياة مترفة وكانت لهن حظوة عند الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدول.

إذا لقد عرف العصر الأموي انتشارا واسعا للغناء والطرب مقارنة بالعهدين السابقين – النبوي والراشدي- على الرغم من مقاومة أهل التعقل من الخلفاء والأمراء له، فقد ذكر أنّ العقلاء من العامة كانوا يحرضون الولاة على منعه حتى في المدينة معدن الغناء في ذلك العصر[3] وهذا خوفٌ من افتتان الناس به والوقوع في المحظور.

يبدو أن الغناء بداية من هذا العصر بدأ ينافس الشعر، فقد كان الخلفاء الأوائل يستمعون للشعر في أوقات فراغهم، ولكن ما لبث الغناء أن حل محل الشعر، وهذا ما يستشف من الرواية التي أوردها الأصفهاني إذ يقول: «كان خلفاء بني أمية يستمعون للغناء، فقد كان معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان وهشام، ومروان بن محمد، لا يظهرون للندماء والمغنين، بل كان بينهم حجاب، حتى لا يطلع الندماء على ما يفعله الخليفة إذا طرب، فقد تأخذه نشوة الطرب، فيقوم بحركات لا يطلع عليها إلا خواص جواريه».[4]

وهذا لا يعني بحال من الأحوال أن الخلفاء في هذا العصر كلهم كانوا شغوفين بالغناء والطرب، وإنما كان الغناء والطرب عند الأغلبية منهم، خاصة معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، ومروان بن محمد، مجرد أداة للترويح عن النفس في بعض الأوقات من متاعب الحكم ومشاغله، بل كان البعض منهم يكره الغناء ولا يحبذه مثل عمر بن عبد العزيز، وسليمان بن عبد الملك فقد ذكرت بعض الروايات أن سليمان بن عبد الملك، سمع مغنيا في عسكره فطلبه فجاءوه به فقال: أعد ما

1- كان بعض رجال الطبقة الخاصة والأثرياء وبعض الأشراف؛ يختارون الجواري الحسان المثقفات، ويشترونهم ولو بأثمان مرتفعة، فقد أو ردت المصادر التاريخية الكثير من الروايات عن جواري بعن بأسعار خيالية، فمثلا قيل أن عبد الله بن جعفر، اشترى جارية بعشرة آلاف درهم، كانت حاذقة ومطبوعة، (أنظر الأبهيشي، المستظرف)، 165/2.

2- ابن خرداذبة أبو القاسم عبد الله بن عبد الله، (ت280هـ/893م)، كتاب اللهو والملاهي، ملحق بكتاب الموسيقى العربية في عهد المماغول والتركمان، تحقيق: عباس الغزاوي، (ط.1، بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، 1951م)، 7/1.

3- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 196/2.

4 – الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 315/1.

غنيت، فتغنى واحتفل فقال سليمان: والله لكأنها جرجرة الفحل في الشول، وما أحسب أنثى تسمع هـذا إلا صبت إليه، ثم أمر به فخصي.[1]

والمتمعن في الفتوحات الكبيرة التي تمت في هذا العصر، ووصول الإسلام إلى فرنسا غربا وبلاد الصين شرقا، والمنجزات الضخمة؛ التي ما تزال ماثلة إلى اليوم مثل الجامع الأموي بدمشق وغيره كثير، يدرك تماما عظمة هؤلاء الرجال وعزمهم وحزمهم، وجديتهم، وتقديرهم لحجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، ولكن لما أفض الأمر إلى غير أهله ممن كانت تنقصهم الكفاءة والمقدرة سار ملكهم إلى الزوال.[2]

كما أن حياة الطرب التي عاشها بعض الناس في هذا العصر، وما نتج عنها من تطور فني وأدبي ساهمت بشكل أو بآخر في تنمية الذوق الفني المرهف لكل ما هو جميل وحسن، خاصة في منطقة الحجاز كونها تظم الكثير من دور الغناء والطرب، ويظهر ذلك جليا في شعر الشعراء الغزلين، رافقتها حياة ثانية تميزت بالورع والتقوى، والزهد والعلم، حيث كانت أغلب المدن الإسلامية في هذا العصر مثل مكة والمدينة والفسطاط والبصرة والكوفة، مراكز هامة للعلم والثقافة، تخرج منها العديد من العلماء والفقهاء والأدباء والقضاء، ساهموا بإبداعاتهم وعلمهم في التأسيس للحضارة العربية الإسلامية، أمثال: أبي الأسود الدوؤلي[3] وعبد الله بن عباس[4]، وابن منبه[5]، وغيرهم كثير.

1 – ابن عبد ربه، العقد الفريد، 397/2؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 407/2؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، 231/1.

2– روي أن أبا جعفر المنصور مؤسس الدولة العباسية، (749هـ/1258م)، قال: «...**ولم يزل بني أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان، يحوطونه ويصونونه ما وهب الله لهم منه، مع تسنمهم معالي الأمور، ورفضهم دنياها، حتى أفضى الأمر إلى أبنائهم المترفين ، فكان همهم قصد الشهوات، وركوب الملذات من معاصي الله، جهلا باستدراجه وأمنا لمكره، مع إطراحهم صيانة الخلافة، واستخفافهم بحق الرئاسة، وضعفهم عن السياسة، فسلبهم الله العز، وألبسهم الذل، ونفى عنهم النعمة**»، (أنظر ابن خلدون المقدمة، 199؛ قباني محمد، الدولة الأموية، (ط1، الجزائر: دار الأصالة، 2010م)،141.

3– السمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، (ت230هـ/851م)، الأنساب، تحقيق: المعلمي عبد الرحمان بن يحي وآخرون (ط.1، الهند: دائرة المعارف العثمانية،1982م)، 467/5؛ الشيباني أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، (ت630هـ/1232م)، اللباب في تهذيب الأنساب، د.ت، (د. ط، بيروت: دار صادر، 1980)، 514/1.

4– البلاذري، أنساب الأشراف،458/1؛ الزبيري مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت، (ت230هـ/ 851م)، نسب قريش، تحقيق: ليفي بروف نسال، مراجعة أحمد ساكر وعادل الغضبان، (ط.3، القاهرة: دار المعارف، د.ت)، 10/1.

5– الأصبهاني، حلية الأولياء، 282/2؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 547/4.

المبحث الثالث: علاقة الإماء بظهور الخصاء

الخصاء[1] عادة قديمة، قيل إنها عادة شرقية كانت شائعة عند الأشوريين والبابليين والمصريين القدماء "وأن الملكة سميرة إيمس مكلة أشور (2000ق.م)"[2]، هي أول من ابتدعها ومنها انتقلت إلى الشعوب الأخرى كاليونان والرومان والإفرنج وغيرهم.

ولما جاء الإسلام حرّم الخصاء واعتبره تعذيبا للنفس البشرية، ومنعها من التمتع بالطيبات التي أحلها الله سبحانه وتعالى[3]، وحرمانها من الزواج والتكاثر وبالتالي استمرار الحياة لذا أجمع فقهاء الإسلام على تحريم هذه العادة السيئة لما لها من أضرار سلبية على الفرد والمجتمع.

ولكن وعلى الرغم من ذلك فإن الإخصاء كان موجودا في العصر الأموي وكان للإماء علاقة بظهور عادة الإخصاء فقد أشارت الروايات لعلاقة الإماء بظهور عادة الإخصاء نذكر منها على سبيل المثال ما أورده ابن خردذابة أن سليمان بن عبد الملك، قام بإخصاء أحد الشعراء لتشبيبه بجارية له[4]، وقيل أيضا أن والي المدينة عمرو بن حزم الأنصاري قام بإخصاء المخنثين من المغنيين[5] بأمر من الخليفة سليمان بن عبد الملك، وقد كان هؤلاء المخنثين يمارسون الغناء الماجن والرذيلة رفقة بعض الإماء.

مايستشف من هذه الروايات أن ظاهرة الإخصاء كانت موجودة في العصر الأموي ولكنها علن نطاق ضيق ومحدود، كما أن أهدافها وغاياتها في هذا العصر تختلف عن أهدافها وغاياتها عند الأمم التي سبقت الإسلام أو عاصرته، فمثلا كان التجار اليهود يقومون بإخصاء الرقيق بهدف الربح والتجارة وكان المسيحيون يخصون بعض أبنائهم ويوقفونهم على خدمة دور العبادة[6]، أما في الإسلام وفي هذا العهد بالذات، فإذا اعتبرنا أن ما ورد في هذه الروايات صحيحا فإن الإخصاء كان الهدف منه درع المفاسد، وحماية المجتمع والمحافظة على الآداب العامة.

1- **الخصاء**: الخصي والخصية والخيصة من أعضاء التناسل، يقال خصي الفحل خصاء، بمعنى سُل خصييه، ويكون الخصاء في الناس والدواب والغنم، وبهذا يكون الخصاء منع الأعضاء التناسلية عند الرجل من القيام بوظائفها، (أنظر ابن منظور، لسان العرب، 231/14؛ الجوهري، الصحاح في اللغة، 175/1؛ الزبيدي، تاج العروس)، 8370/1.

2-جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، 144/5.

3- روى الذهبي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى بعض الصحابة أرادوا أن يختصوا عفة وزهدا، وفي حديث روي عنه صلى الله عليه وسلم قال: من خصي عبدا خصيناه، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 113/1؛ الشوكاني، نيل الأوطار، 15/7.

4-ابن خردذابة، اللهو والملاهي،6/1، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 215/3.

5- الميداني، مجمع الأمثال، 1/ 251؛ الأنطاكي، تزين الأسواق،117/1.

6 - الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، 93.

أما ظاهـــرة استعمال الخصيان في مختلـــف الأغراض فكانت معروفة ومنتشرة في الـــدولة الإسلامية في العصر الأموي، ولكنها على نطاق ضيق إذا ما قارناها باستعمالاتهم في العصور التي تلته (العصر العباســـي مثلا) وقد قيل أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من استعمل الخصيان[1] كما اتخذ منهم حجابا لديوانـــه وبـــه اهتدى غيره فشاع استخدامهم خاصة لدى الطبقة الخاصة (الخلفاء والأمراء).

وعليه يمكن القول أن حياة اللهو والمجون التي كان يعيشها البعض في العصر الأموي والـــتي ســـاهمت بعض الإماء في نشرها، كان من نتائجها ظهور آفات ومفاسد أخرى مثل التخنـــث[2]، والتـــهتك، وشـــرب الخمر[3]، وممارسة الرذيلة من زنا ولواط[4]، وغيرها من الآفات الاجتماعية التي بدأت بوادرها الأولى تظهر خلال خلال العصر الأموي.

على الرغم من محدودية انتشار مثل هذه الظواهر لسبب أو لآخر، فإنها تبرز جانبا من التحولات الـــتي شهدها المجتمع الإسلامي في العصر الأموي، حيث بدأت بعض القيم النبيلة كالعفة، والطهـــارة، والغـــيرة، في التراجع عند البعض خاصة ممن تعودوا حياة اللهو والمجون، وهذا ما يتضح من قول عبد الملـــك بـــن مـــروان لجلسائه: ماذا تقولون في قول الأحوص من البحر الطويل:

أهِيمُ بِدُعْدِ ما حيَيْتُ فإنْ مُتُ ***فَيَا لَيْتَ شِعْرِي منْ يَهِيمُ بِها بَعْدِي

ثم قال لجلسائه – أي عبد الملك–أما أنا فأقول من البحر الطويل:

أهِيمُ بِدُعْدِ ما حيَيْتُ فإنْ مُتُ *** فلاً صَلُحَتْ للذِي خَلَتْ بَعْدِي.[5]

فقد رأى عبد الملك ابن مروان أن في قول الأحوص نوعا من التساهل في العرض والشرف وانعـــداما للغيرة، وأن الأحرار يأنفون من مثل هذا القول ويعتبرونه نوعا من الدياثة[6]، خاصة وأن العربي معروفـــا بعفتـــه وغيرته على عرضه وشرفه حتى قبل الإسلام.

1– ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 446/1، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 157/3.

2– **التخنث** ظاهرة قديمة لم تظهر في هذا العصر فحسب، بل كانت موجودة حتى في عهد الرسول ﷺ، (أنظر ابـــن حجـــر، الإصـــابة في تميـــز الصحابة، 440/6، ابن عبد البر، الإستعياب،324/1؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق،394/1.

3 – الأصفهاني، الأغاني، 176/14و 197.

4 – الجاحظ، رسائل الجاحظ، 104/1.

5– ابن الجوزي، أخبار النساء، 86/1؛ الأصفهاني، الأغاني، 173/16؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء،83/1.

6 – **الدياثة**: قال داث الرجل دياثة وهو ديوث، إذا لم تكن له غيرة على أهله، و لم يبال بالحشمة، (أنظر الزبيدي، تاج العروس، 1258/1، ابن منظور، لسان العرب، 274/15).

المبحث الرابع: دور الإماء في إحياء وانتشار شعر الغزل والتشبيب

كان للعرب باع طويل في الشعر خلال العصر الجاهلي، وبرز منهم العديد من الشعراء، أمثال المهلهل[1]، وامرئ القيس[2] وغيرهما كثير، كما اشتهر العديد من أبناء الإماء والجواري بقولهم للشعر والإجادة فيه أمثال عنترة بن شداد العبسي وسليك بن سليكة،[3] وأصبح للعرب موروث كبير في مجال الشعر عبروا فيه عن حياتهم الاجتماعية وخلدوا فيه بطولاتهم ومآثرهم.

وكانت القصيدة العربية الطويلة، كالمعلقات مثلا تتضمن أبياتا من الغزل[4]، تكون في مقدمتها أو في ثناياها، لكنه لم يكن غرضا مقصودا بذاته، بل كان غرضا من ضمن أغراض القصيدة المتعددة من فخر ومدح وهجاء ...الخ، وقد يكون عفيفا[5]، كما هو الحال بالنسبة لشعر عنترة بن شداد في وصفه لعبلة حين يقول من البحر الكامل:

ولقَدْ ذَكَرْتُكِ والرَّمَاحُ نوَاهِلٌ منِّي**** وبيضُ الهِنْد تَقْطُرُ مِنْ دَمِ

فودَدْتُ تَقْبيلَ السُّيُوفِ لأنَّهَا **** لمعتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ[6]

أو فاضحا إباحيا كما هو الحال بالنسبة لأمرئ القيس إذ يقول من البحر الكامل:

ويَوْمَ دَخَلْتُ الخُدْرَ خُدْرَ عُنَيْزَة *** فقالتْ لكَ الويْلاتُ فإنَّكَ مُرْجِلي

تقول وقدْ مالَ الغَبِيطُ بنَا مَعًـــا *** عَقَرْتَ بعيرِ يامْرأ القَيْسْ فانْـــزِلِ

فَقُلْتُ لها سيرِي وارْخِي زِمَامَهُ *** ولا تُبْعدينِي عنْ جنَـــاكِ المُعَلَّلِ[7]

1- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 58؛ الأصفهاني، الأغاني،54/5.

2- الأصفهاني، الأغاني، 87/2؛ البغدادي، خزانة الأدب،321/1.

3- سليك بن سليكة: شاعر من صعاليك العرب في الجاهلية، كان أعرف الناس بالأرض، وأعلمهم بمسالكها، وأشدهم عدوا، توفي حوالي605م، (للمزيد أنظر ابن قتبة، الشعر والشعراء)، 80.

4- **الغزل**: فن من فنون الشعر، يتغنى فيه الشاعر بالجمال، ويظهر فيه الشوق والشكوى من فراق الحبيب، ويصف فيه محاسن المرأة وجمالها، وهو نوعان، غزل عفيف، وغزل صريح، (أنظر ابن منظور، لسان العرب، 491/11، الجوهري، الصحاح في اللغة)، 1781/5.

5- **عفيفا**: الغزل العفيف ويعرف أيضا بالغزل العذري نسبة إلى بني عذرة الذين اشتهروا بهذا النوع من الغزل، ثم انتشر وشاع عند كل القبائل العربية، وهو من الفنون الشعرية التي تمتاز بحرارة العواطف الطاهرة العفيفة التي يظهرها الشاعر لإبراز مكابد العشق، وآلام الفراق، والبعد عن الحبيب، وهو غزل يبتعد عن وصف المحاسن الجسدية للمرأة، ويقتصر على إظهار المشاعر الجياشة اتجاهها، ومن أمثلة ذلك قول قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى من البحر الوافر:

أمـــا عَاهَدْتَنِـــي يَا قلْبُ أنِّي****إذا مَا تُبْتُ عنْ لَيْلَى تَتُـــوبُ

فَهَا أنَا تَائِبُ عنْ حبِّ لَيْلى **** فما لكَ كُلَّمَا ذُكِرَتْ تَذُوبُ، (أنظر ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق)، 478/2.

6- ابن سعد الأندلسي، المرقصات والمطربات، (مكتبة الشاملة الالكترونية)،8/1؛ الأنطاكي، تزين الأسواق بأخبار العشاق، 174/1.

7- ابن عبد ربه، العقد الفريد،40/3؛ ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء،17/1.

عرف شعر الغزل في العصر الأموي تطورا كبيرا، وبرز الكثير من الشعراء في هذا المجال أمثال قيس بن الملوح (ت68هـ/688م)[1]، وجميل بثينة (ت82هـ/701م)[2]، وكثير عزة (ت105هـ/720م)[3] وغيرهم، ساهمت الإماء المغنيات بشكل كبير في ازدهار هذا النوع من الشعر بسبب تلحينه والتغني به، فمثلا غنت سلامة القس للشاعر عبد الرحمان بن عبد الله المعروف بالقس من البحر الكامل:

ما بالُ قَلْبِكَ لا يَزَالُ يَهِيمُهُ*** ذِكْرُ عَواقِب غيَبَهُنَّ سِقامُ
إنَّ التي طَرَفَتْكَ بينَ رِكابِ*** تَمْشِي بزَمْهَرِهَا وأنْتَ حَرَامُ
لتصيدَ قَلْبَكَ أو جزاءَ موَدَّةٍ*** إنَّ الرَّقيقَ عَلَيْكَ حَرامُ
باتتْ تُعَلِّلُنَا وتَحْسِبُ إنَّنَا *** في ذاكَ أيْقاظُ ونَحْنُ نِيَامُ
حتَّى إذا سَطَعَ الصَّبَاحُ*** فإذا وذلك بيْنَنَا أَحْلامُ[4]

أما الجارية حبابة فقد غنت من شعر الأحوص (105هـ/723م) قوله من البحر الكامل:

ألاَ لا تَلُمْهَ اليَوْمَ أنْ يَتَبَلدَا *** فقَدْ غُلِبَ المحزونُ أنْ يتَجَلدَا
بكيْتُ الصبَا جُهْدِي فمنْ شَاءَ لامِني*** ومن شاءَ أسَى في البُكاءِ واسْعَدَا
وإنِّي وإنّ فَقَدْتُ في طَلَبِ الغِنَى*** لا عِلْمَ أنِّي لسْتُ في الحُبِّ أوْحَدَا
إذا أنْتَ لَمَ تَعْشَقْ و لمْ تَدْرِ ما الهَوَى*** فَكُنْ حَجَرًا منْ يَابِسِ الصَّخْرِ جُلْمُدَا[5]

إذن فانتشار الغناء والطرب خلال العصر الأموي، خاصة في مكة والمدينة؛ باعتبار أن أولى مدارس الغناء ظهرت بهاتين المدينتين، وتولى الإماء والجواري للغناء، أثر بشكل أو بآخر في تطور الشعر خاصة شعر الغزل، حيث أصبح هذا النوع فنا ولونا بذاته بعدما كان جزء لا يتجزأ من القصيدة الطويلة وتخصص بعض الشعراء فيه أمثال الأحوص وابن أبي ربيعة، وبالتالي فقد أثرت الإماء والجواري في الشعر العربي سواء من حيث الشكل أو المضمون كما ساهموا في إثرائه والنتيجة ازدهار وثراء شعر الغزل في العصر الأموي.

1- قيس بن اللوح المعروف بمجنون ليلى، شاعر غزلي عاش في العصر الأموي؛ لقب بالمجنون لهيامه بليلى العامرية، (أنظر ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء)، 288/1.

2-جميل بن معمر العذري شاعرا فصيحا جامعا لرواية الشعر وقوله، عاش في العصر الأموي؛ يعد من عشاق العرب المشهورين، صاحبته بثينة وتكنى بأم عبد الملك، (أنظر ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء)، 259/1.

3- هو كثير بن عبد الرحمان بن الأسود الخزاعي، شاعر متيم من شعراء المدينة المنورة، عاش في العصر الأموي عرف بعشقه وتغزله بعزة بنت جميل بن حفص الغفارية، (أنظر ابن عساكر، تاريخ دمشق)، 76/50.

4- الأصفهاني، الأغاني،353/8.

5- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 411/2؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 197/2؛ الأصفهاني، الأغاني،115/15.

أما التشبيب بالنساء فكان معروفا عند عرب الجاهلية وكانت له ضوابط[1]، ولما جاء الإسلام تـــوارت هذه الظاهرة عن الأنظار، حيث أصبح التشبيب ذنبا يستوجب القصاص[2] في العهد الراشدي وهـــذا لحـــرص الخلفاء الراشدين على الآداب العامة وحفاظهم على كرامة المرأة وسمعتها.

وفي أيام بني أمية تجرأ الشعراء على التشبيب بالنساء لا سيما في منطقة الحجاز (مكة والمدينة)، كمـــا سبقت الإشارة إلى ذلك؛ وهذا لانتشار الغناء بهما، وإقبال بعض الناس على اللهو والطرب، واقتناء الجـــواري وحضور مجالس الغناء، وكان الشاعر إذا نظم أبياتا من شعر التشبيب تغنى بها المغنون رجالا ونساء، وبمـــا أن الجواري قد اشتهرن في هذا العصر بالغناء والطرب، فقد كان لهذا الشعر نصيب فيما يؤدونه من غناء خاصـــة في مجالس السمر والتي بدأ تنتشر ابتداء من هذا العصر.

أدى هذا الوضع إلى كثرة شعراء التشبيب أمثال، عمر بن أبي ربيعة والعرجي وابن أبي عتيـــق، وهـــم جميعا من قريش، وشيئا فشيئا نبغ شعراء آخرون من غير قريش، وأخذوا يتشببون بالنساء أمثـــال الأحـــوص ووضاح اليمن[3] وأبي دهبل الجمحي.[4]

وعلى الرغم من أن خلفاء بني أمية لم يكونوا راضين على ذلك، لأن هذا النوع مـــن الشـــعر يتنـــافى ومبادئ الإسلام ويحط من كرامة المرأة ويمس شرفها، إلا أنهم كانوا يدارون الشعراء، ويجـــاملونهم رغبـــة في اكتساب الأحزاب والأنصار على أيديهم، لذا لم يكونوا حازمين معهم، كما كان الحال في العهد الراشـــدي وكان الدهاة من الخلفاء الأمويين، يتصرفون معهم بحكمة وتروي ويتلطفون في دفع آذائهم،[5] وقطع ألســـنتهم في العطاء والهدايا، ولكن إذا زاد الأمر عن حده من قبل هؤلاء الشعراء كان للخلفاء معهم تصرف آخر، كما حدث مع الشاعر الأحوص والخليفة سليمان بن عبد الملك، فلما تمادى الأحوص في التشبيب بأسرة الخليفـــة

1- كان من عادة العرب إذا تشبب أحد بغير خطيبته منعوه منها و لم يزوجوه إياها، فقد منع الكثير من الشعراء من التزوج بمعشوقاتهم كما حصل مع الشاعر جميل بثينة، وكثير عزة وعيرهم كثير، (الأصفهاني، الأغاني، 181/20).

2- روي أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان إذا سمع بشاعر شبب بامرأة جلده (نفس المصدر، 98/4).

كما روي عنه أيضا أنه عزل عامله على ميسان، النعمان بن عدي، لأنه أنشد شعرا فيه تشبيبا بإحدى النساء، و لم يكن هو قائله بل ردده فقط، (أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان)،242/5.

3- **وضاح اليمن**: شاعر من مشاهير الشعراء الغزلين، شبب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، زوجة الوليد بن عبد الملك، فأمر به فدفن حيا، (أنظر ابن الجوزي، أخبار النساء،89؛ ابن حمدون، التذكرة، 148/3، الأنطاكي، تزين الأسواق،116/1.

4- **أبو دهبل الجمحي**: هو وهب بن زمعة بن أسيد، وصفه المدائني فقال:كان أبو دهبل رجل جميل وشاعر عفيف مدح الكثير من خلفاء بني أمية، (للمزيد أنظر الأصفهاني، الأغاني)،130/7.

5- روى الأصفهاني أن الشاعر عبد الرحمن بن حسان بن ثابت شبب بابنة معاوية بن أبي سفيان، فبلغ ذلك معاوية فقيل له: لو جعلته نكالا، فرد عليهم بحنكته ودهائه وقال: لا، ولكن أداويه بغير ذلك، (أنظر الأصفهاني، الأغاني، 159/1، 396؛ البغدادي، خزانة الأدب)، 297/7.

غضب سليمان حينها وقال: «أما لهذا الكلب مزدجر عن ذكر نسائنا وأخواتنا ولا له عنى مذهب»، ثم دعا به فأحضره ودفنه حيا.[1]

يبدوا أن بعض النساء في هذا العصر كنّ يرتحن إلى هذا النوع من الشعر وكن يفتخرن بأن يثني الشعراء على جمالهن، ولا يهمهن إن رضي أهلهن بذلك أم لا، وهذه طبيعة المرأة في كل زمان ومكان فهي دوما تحب الثناء والمدح[2]، وربما يكون هذا من الأسباب التي أخذت بعقول الشعراء وجعلتهم يتجرؤون على قول شعر التشبيب ولم يقعد عنه رغم تعرضهم للخطر، فقد أورد الأصفهاني أن بنتًا للخليفة عبد الملك بن مروان أرادت الحج فخاف أن يشبب بها عمر بن أبي ربيعة، فاكتتب الحجاب إليه إن هو فعل ذلك أصابه بكل مكروه، فلما قضت حجها خرجت فمر بها رجل فقال له:« من أنت؟ فقال: من أهل مكة، فقالت: عليك وعلى أهل بلدك لعنة الله !! قال: ولم ذلك؟ قال: حججت فدخلت مكة ومعي من الجواري ما لم تر الأعين مثلهن، فلم يستطع الفاسق ابن أبي ربيعة، أن يزودنا من شعره أبياتا نلهو بها في الطريق من سفرنا»[3].

تظهر هذه الرواية أن شعر الغزل في هذا العصر،كانت له دوافع عديدة منها العشق والغرام؛ ورغبة بعض النساء في ذكر محاسنهن وجمالهن، والرغبة في الزواج،[4] أو بهدف التسلية واللهو والترويح عن النفس وهذا ما نستشفه من قول ابنة عبد الملك حين قالت:«يزودنا بشعر نلهو به في الطريق».

إذن فالعرب في العصر الأموي بدءوا يأخذون بأطراف المدنية، وبدأت حياتهم تنتقل رويدا رويدا من حياة البساطة والبداوة إلى التحضر والتمدن، وبدأ الناس يميلون للترف والرخاء وقد كان للإماء والجواري النصيب الأوفر في انتقال الناس إلى هذا الحال، من خلال اشتغالهن بالغناء والعزف وتصدرهن لمجالس اللهو والطرب، فلا يكاد يخلوا مجلس من هذه المجالس إلا وفيه جارية تغني أو تعزف أو تقول شعرا، أو ترقص، وبما أن المرأة الحرة كانت في هذا العصر قليلة الظهور والاختلاط بالرجال، على عكس والإماء اللواتي كن يختلطن

1- الأصفهاني، الأغاني، 41/2، 58.

2- على حد تعبير أحمد شوقي:

خدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ حَسْنَاءُ **** والغَوَانِي يُغْرِيهِنَّ الثَّنَاءُ، (أنظر أحمد شوقي، الديوان).

3- الأصفهاني، الأغاني، 351/2.

4-كانت بعض النسوة في هذا العصر يلجأن إلى شاعر من الشعراء ويطلبن منه التشبيب بهن، أو بإحدى بناتهن، وهذا حتى يشتهرن ويتزوجن، وقد حدث هذا مع الكثير من شعراء الغزل خاصة عمر بن أبي ربيعة (93هـ/711م)، (أنظر القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، 89.

بالرجال كثيرا بحكم وضعهن الاجتماعي والمهام التي كن يقمن بها، فمن الطبيعي أن تكون الإماء مصدر إلهام للكثير من الشعراء والأدباء حيث كانوا يغذون أدبهم وشعرهم بما يستلهمونه منهن.[1]

إذن فالشعر العربي في العصر الأموي، خاصة شعر الغزل عرف تطورا كبيرا ساهمت الجواري والإماء فيه، سواء أكان ذلك عن طريق التغني به وروايته، وهذا ما دفع بالشعراء في هذا العصر إلى التنافس على كتابة شعر الغزل لأن ذلك يرفع من مكانتهم الاجتماعية، ويحسن من وضعهم المادي بما ينالونه من هدايا تمنح لهم من قبل الخلفاء والأمراء، ويقربهم من مجالسهم، أو من خلال قولهم للشعر والنبوغ فيه كما هو الحال بالنسبة للجارية سلامة القس، وحبابة، وجميلة، أو كونهن مصدر الهام للكثير من الشعراء بما اتصفن به من جمال ورقة وأدب وثقافة.[2]

1- روى البكري أن بعض الخلفاء كان يُوقف الجارية بين يديه وهي في كامل زينتها ويجمع الشعراء، ومن يقول بيتا شعريا ومن يجزه منهم، يعطيه الجارية وما عليها ملكا له، (أنظر البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، (ت487هـ/1095م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (ط. 3، بيروت: دار عالم الكتب، 1403م)، 12/1.

من هذا يتبن أن الجواري في هذا العصر كن مصدر الهام للكثير من الشعراء، منهن يغذوا أشعارهم ويبرزون قدراتهم ومواهبهم في الوصف والمدح والغزل، كما تبرز المستوى الاجتماعي الذي وصلت إليه هذه الفئة، فهي لا تختلف عن المتاع الذي يملكه الشخص فقد يهديه لمن شاء ومتى شاء.

2- تمكنت الإماء والجواري بجمالهن وحسن مظهرهن، وإجادتهن لفنون الغواية والدلل، من التأثير على عقول الشعراء وجعلهم يتغزلن بهن ويذكروهم في أشعارهم، كما حصل مع جرير، والأحوص، ويزيد بن مفرغ وغيرهم من شعراء هذا العصر.

فهذا جرير (ت110هـ/ 728م)، يصف جارية أعجب بمظهرها ولباسها فيقول من الزجر التام:

جَارِيةٌ منْ ساكِنِي الأسْواقِ **** لَبَّاسةٌ للقُمْصِ الرِّقَاقِ، (جرير بن عطية الخطفي (ت114هـ/732م)، الديوان، (د.ط، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1986) 404/1.

أما الأحوص (ت 105هـ/723م)، فيتذكر لهوه مع جارية فيقول من الكامل:

هلْ تذْكُرين عُقَيْلُ أو انْسَاكِهِ **** بَعْدِي تَقَلُّبُ هذا الزَّمَانِ المُفْسِدِ

يَومِي ويَوْمُكِ، بالعقِيقِ إذا الهَوَى ****منَّا جَمَعَ الشَّمْلُ لم يتَبَدَدِ (أنظر الأصفهاني، الأغاني،256/4؛ الأحوص أبو محمد عبد الله بن عاصم، (ت105هـ/723م)، شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق: عادل سليمان جمال، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990)، 35.

وأما يزيد بن مفرغ (ت 69هـ/688م)، فيقول في جارية له تدعى أراكة:

أما الأرَاكُ فَكَانَتْ منْ مَحَارِمِنَا **** عَيْشًا لذيذًا وكانَتْ جَنَّةً رغَدَا

كانتْ لنَا جُنَّة كُنَّا نعيشُ بِهـا **** نَغْنَى بها إنْ حَشَيْنا الأزلُ والتَلَدَا، (أنظر الأصفهاني، الأغاني،268/18؛ الدينوري، الشعر والشعراء،73/1؛ البغدادي، خزانة الأدب)، 46/6.

المبحث الخامس: دور الإماء في انتشار وشيوع اللحن في اللغة

لاشك أن الأعداد الهائلة من الإماء التي عاشت في المجتمع الإسلامي خلال العصر الأموي كانت الغالبية العظمى[1] منها لا تعرف شيئا عن اللغة العربية، وأنها تعربت فيما بعد لما اعتنقت الإسلام (البعض) وعاشت في المجتمع الإسلامي.

وبما أن أغلب الجواري والإماء اللواتي وفدن إلى المجتمع العربي الإسلامي في هذا العصر خاصة اللواتي تم شراءهن من أسواق النخاسة، هم من البالغات سن الرشد أو القريبات منه، فإنهن كن ناضجات لغويا وأن لغتهن الأصلية قد انطبعت في أذهانهن، وهن يتكلمنها بسهولة ويسر «وأن العادات اللغوية والمخارج الصوتية قد أخذت مكانها في أذهان هؤلاء النساء، وأصبحت أعضاء النطق [اللسان، الحنجرة، الشفاه]، قد اكتسبت مرونة في إصدار الأصوات التي تعودن عليها».[2]

انتشرت ظاهرة اللحن في اللغة بين الإماء، خاصة اللواتي قدمن من بيئات أعجمية مثل الفارسيات والهنديات والروميات والبربريات، ولكن وعلى الرغم من استقباح العرب في العصر الأموي للحن في اللغة[3] إلا أنهم كانوا يستحسنونه من الإماء، وربما كانوا يتلذذون بسماع لحن الجواري ولكنتهن[4] خاصة إذا كن صغيرات السن وهذا ما يستشف منقول مالك بن أسماء (100هـ/718م)[5] في جارية له من البحر الطويل:

وحديثُ الـذَّهُ هو مِمَـا *** تَشْتَهيهِ النُّفُوسَ يُوزنُ وزْنَا

منْطِقُ صائبٌ وتَلْحِنُ أحْيانًا*** وخيْرُ الكلامِ ما كان لَحْنَا[6]

قال أبو قتيبة موضحا معنى كملة لحن في هذا البيت الشعري: «واللحن في هذا البيت معناه الخطأ في اللغة»، وقد استملح الشاعر من هذه الجارية ما يقع في كلامها من خطأ.

1- يمكن أن نستثني الجواري اللواتي ولدن في المجتمع الإسلامي، أو اللواتي عشن في البيئات التي كانت اللغة العربية موجودة فيها قبيل الإسلام كالعراق والشام نتيجة هجرة بعض القبائل العربية واستقرارها هناك.

2- المقداد محمد، الموالي ونظام الرق، (ط.1، دمشق: دار الفكر، 1988)، 161.

3-روى الزمخشري أن عبد الملك بن مروان كان يكره اللحن في الكلام ويقول: اللحن في الكلام أقبح من الجذري في الوجه، (أنظر الزمخشري، ربيع الأبرار)،100/1؛ ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 8/1؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد،) 247/1.

4- **اللكنة**: اللكنة بالضم معناها ثقل اللسان ويقال لمن لا يتكلم العربية الفصحى اللّكن، (الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 319/1؛ الجوهري، الصحاح في اللغة، 258/1؛ المناوي، التعاريف)،626/1.

5- هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري، شاعر غزل ظريف تولي إمارة خوارزم وأصفهان للحجاج بن يوسف الثقفي، (أنظر الزركلي، الأعلام)،257/5.

6- الجاحظ، البيان والتبيين،92/1؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 372/2؛ ابن قتيبة الشعر والشعراء،167/1.

يبدو أن هذا الاستملاح والقبول لم يكن خاصا بالشعراء فقط أو من هم على شاكلتهم، بل يكاد يكون عاما، بدليل ما رواه الجاحظ: «واللحن من الجواري الظراف ومن الكواعب النواهد... أيسر وربما استملح الرجل منهن ذلك، ما لم تكن الجارية صاحبة تكلف وكان اللحن على سجية أهل البلد»[1] ولكن هذا الاستملاح يزول ويتحول إلى قبح وعيب إذا أسنت (تقدمت في السن) الأمة وأكهلت أي صارت عجوزا وذهب عنها الشباب والبهاء والجمال والرشاقة.

هذا يعني أن الإماء خاصة المغنيات والشاعرات أمثال حبابة وسلامة القس وجميلة...الخ، قد ساهمن في انتشار وشيوع ظاهرة اللحن خلال العصر الأموي من خلال ممارستهن للغناء أو قولهن ورواياتهن للشعر العربي، وربما يعود ذلك لصعوبة التغني بالشعر العربي أو روايته بالنسبة للإماء لأنه بلغة تختلف عن لغتهن الأصلية حتى وإن تعلمن هذه اللغة، هذا من جهة ومن جهة ثانية قد يكون مرد ذلك إلى استحسان الناس في هذا العصر للحن الجواري واعتباره من دللهن وظرفهن خاصة إذا كان بدون تكلف.

ومما يدلل على أن بعض الإماء قد ساهمن في انتشار وشيوع ظاهرة اللحن في اللغة في العصر الأموي قول أحدهم في أم ولد له (أمة) من البحر الكامل:

أكثرُ ما أسْمَعُ منها في السِّحْرِ*** تَذْكيرهَا للأُنْثَى وتَأْنيثُ المُذَكَّرِ.[2]

وقالت أم ولد (أمة)، كانت للشاعر جرير (ت105 هـ/728م)، لبعض أولادها وقع الجردان في عجان-تقصد بذلك وقع الجرذان في العجين-فقال جرير لأولاده: أمكم أبدلت الذال دالا من الجرذان وضمت الجيم وجعلت العجين عجانا[3].

فهؤلاء الإماء، بالرغم من عيشهن وسط أسر عربية يتقن أصحابها اللغة العربية وينطقونها بطلاقة، لم يتمكن البعض منهن التخلص من لكنته الأعجمية؛ وقد لا يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ بل يتعداه إلى أبنائهن إذا لم يجدوا من يقوم ألسنتهم، كما هو الحال لجارية الشاعر جرير وأم أولاده، فهي تلحن في كلامها رغم وجودها في بيت عربي يتقن أصحابه العربية.

1- القلقشندي أبو العباس علي بن أحمد الفزاري، (ت821هـ/1325م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين وآخرون، (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م)،211/1؛ الجاحظ، البيان والتبيين،92/1.

2- الجاحظ، البيان والتبيين، 53/1؛ الوطواط، غرر الخصائص الواضحة،89/1؛ السري بن أحمد بن السري الكندي الرفاء، (ت362هـ/980م)، المحب والمحبوب المشموم والمشروب، تحقيق: مصباح غلاونجي، (د. ط، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1986م)، 99/1.

3- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عطوي فوزي، (د. ط، بيروت: دار الفكر، 1968م)، 53/1.

ولأن تغيير اللغة الأصلية لهؤلاء الجواري والإماء بلغة جديدة؛ هي اللغة العربية أمرا صعبا ومتوقفا على مدى قابليتهن لذلك، وعلى المميزات الفردية المتفاوتة لكل واحدة منهن كالفطنة، والذكاء والقدرة على تعلم هذه اللغة واستيعابها واستعمالها لأنها بالنسبة لهمن غريبة في كل شيء في العبارات، والألفاظ، ومخارج الكلمات، ودخيلة على ألسنتهم وأن هذا الأمر –تعلمها– له علاقة أيضا بالتقدم في السن، فالجارية الصغيرة سنا يكون تعلمها أسهل وأفضل من الأمة التي بلغت سن الرشد أو تعدته، وهذا لتمكنها من لغتها الأصلية يستشف هذا من قول الجاحظ: «ألا ترى السندي إذا جلب كبيرا، فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا، ولو أقام في علياء تميم وفي سفلى قيس، وبين عجز هوازن، خمسين سنة»[1] كلام الجاحظ هذا ينطبق على الذكور (العبيد) والإناث (الإماء).

هذا معناه أن البالغين من الإماء يكون نصيبهن ضئيلا وناقصا في تعلم العربية، لأنهن يجدن راحة ويسرا في التعبير بلغتهن الأصلية ويواجهن مشقة وعناء في التحدث باللغة العربية، وهذا الكلام بالطبع لا ينطبق على كل والإماء لأن البعض منهن تمكن من إتقان اللغة العربية وأصبحن يتحدثن بها ربما أفضل من الكثير من العرب خاصة الإماء اللواتي تم تدريبهن وتعليمهن في دور التقنين.

ربما يكون سبب ذلك ما سماه ابن خلدون بتزاحم الملكات[2] اللغوية، وبحسب نظرية ابن خلدون في تحصيل الملكات اللغوية، لا يمكن للأعجمي الذي سبقت إلى لسانه ملكة لغوية أخرى–يعني انه تكلم بلغة له عن طبع خالص لا تكلف فيه–أن يستولي على ملكة اللسان العربي ويبقى قاصرا فيه ولو تعلمه وعلمه[3]، ثم يضيف «إن الملكة إذا سبقتها ملكة أخرى في المحل فلا تحصل إلا ناقصة مخدوشة».[4]

وقول ابن خلدون هذا ينطبق على الإماء البالغين سن الرشد، الذين تعلموا وتكلموا لغاتهم الأصلية وهذا ما يلاحظ عند نطقهم لبعض الكلمات والحروف، فهم يحاولون أن يسقطوا عاداتهم الأصلية في النطق وفي تركيب الجمل وتأليف الكلام على اللغة العربية، ولما كانت هذه العادات لا تتطابق مع هذه اللغة؛ فإن هذا الإسقاط قد أدى إلى أخطاء قبيحة كثيرة في اللغة وفي العديد من النواحي (الأصوات، حركات الإعراب

1– الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عطوي فوزي، (د. ط، بيروت: دار الفكر، 1968م)،70/1.

2– **الملكات**: الملكة صفة راسخة في النفس، واستعداد عقلي خاص، لتناول أعمال معينة بمهارة وحذق، (أنظر الجرجاني، التعريفات، 296؛ المناوي، التعاريف)، 675.

3– ابن خلدن، المقدمة، 353.

4– نفسه، 564.

وعلاماته حركات حروف الكلمة، وتركيب الجملة، وتأليف الكلام، واستعمال الألفاظ) في غير محلها وهذا ما عرف عند العرب باللحن[1] في اللغة.

ذكر الباحثون القدماء العديد من المصطلحات لظواهر اللحن هاته مثل اللكنة، «وهي أن تعترض على كلام المتكلم اللغة الأعجمية فلا يقيم أصوات للعربية»[2] وهذا ما نستشفه من الرواية التالية، روي عن الشاعر سحيم حين قال لعمرو بن أبي ربيعة: «ما سعرت، يريد أن يقول: ما شعرت»[3] حيث جعل الشين سينا وهي لكنة حبشية وقيل أيضا أن صهيب الرومي كانت له لكنة رومية وقد يكون سبب ذلك نشأته الأولى حيث كان يقول: «تلك الهائن بدل من الخائن».[4]

ورغم ذلك فقد تمكن العديد من الإماء من تعلم هذه اللغة؛ لأن الغالبية العظمى منهن كنّ يَقُمن بالخدمة المترلية وإدارة شؤون البيت من طعام وشراب ونظافة وترتيب ورعاية للأطفال الصغار وكثيرا ما كان يؤول أمر هؤلاء النسوة إلى التسري أو الزواج من سادتهن، وهذا ما أدى إلى زيادة احتكاكهن بالحياة العربية وبلسان العرب فزاد ذلك من قدراتهن على الاستيعاب والفهم والتعلم خاصة اللواتي أصبحن أمهات أولاد وتمكن من الاندماج في الوسط العائلي.

ومع ذلك فلم يكن هؤلاء النسوة لينطقن العربية كما ينطقها أهلها وأصحابها، و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد عندهن فقط بل انتقل إلى العرب أنفسهم سواء الأطفال الذين تربوا على أيدي هؤلاء النسوة أو أبناء الإماء أنفسهم، وربما كان هذا الأمر من الأسباب التي جعلت مسلمة بن عبد الملك يكره اللحن في اللغة لأنه يرى فيه انتقاصا من قدر الرجل.[5]

هذا اللحن في اللغة دفع بالعرب إلى وضع علم النحو وكان أول من اشتغل به أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، بإشارة من الإمام علي –كرم الله وجهه–[6] لأنه رأى أن العرب بدءوا يلحنون في اللغة نتيجة

1- **اللحن** في اللغة معناه: الخطأ في الأعراب، ثم عمم ليشمل كل خطأ في اللغة والميل عن الحق والصواب فيه، (ابن منظور، لسان العرب، مادة لحن، 381/13؛ الزبيدي، تاج العروس)،2123.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة لكن، 390/13؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 264/5.

3- الجاحظ، البيان، 72/1؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 235/2.

4- الجاحظ، البيان، 82/1؛ المبرد، الكامل، 325/2؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 477/2.

5- الجاحظ، الرسائل، 1/ 82؛ الزمخشري، ربيع الأبرار،319/1؛ الثعالبي، التمثيل والمحاضرة،37/1.

6- تذكر العديد من الروايات أن الإمام علي كرم الله وجهه قال لأبي الأسود الدؤلي: «**إن الأعاجم دخلت في الدين كافة فضع شيئا للناس يستدلون به، على صلاح ألسنتهم فرسم لهم الرفعة والنصبة والخفض**»،(أنظر الأصفهاني، الأغاني، 298/12؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق)، 102/10.

اختلاطهم بالعجم[1] وقد لعبت الجواري والإماء دورا كبيرا في هذا الاختلاط من خلال الخدمة أو التسري أو الزواج.

يبدو أن ازدياد ظاهرة التسري، واتخاذ الإماء لسبب أو لآخر خلال العصر الأموي قد أدى إلى ازدياد أعداد ونفوذ المولدين في هذه الفترة وتراجع أعداد الصرحاء ونفوذهم، خاصة ذوي الكفاءات مما جعل بني أمية يراجعون موقفهم من أبناء الإماء في تولي منصب الخلافة.

و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل ساهمت الجواري أيضا، في ازدهار شعر الغزل ونبوغ الشعراء فيه لارتباطه بالغناء والطرب، وظهر معه شعر التشبيب الذي كان محظورا في وقت سابق لما له من مساوي تمس بالأخلاق والآداب العامة.

فالإماء في العصر الأموي لم يعشن حياة العزلة والتهميش بل عشن في قلب المجتمع، أثروا فيه وتأثروا به وساهموا ولو بشكل بسيط في التحولات الاجتماعية التي عرفها المجتمع الإسلامي خلال العصر الأموي سواء كان ذلك على صعيد الفنون أو الآداب، أو الأخلاق العامة أو العادات والتقاليد.

1-الأصفهاني، الأغاني، 348/12؛ السمعاني، الأنساب، 467/5.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة:

بناء على ما جاء في الرسالة يمكن أن نخلص إلى الاستنتاجات التالية:

- **تسمية** الأمة تطلق على كل امرأة وقعت في الرق، وفقدت حريتها لسبب من الأسباب سواء أكانت جارية، أو سبية، أو عبدة، أو قينة، أو وليدة، واستعباد النساء ظاهرة قديمة، ولما جاء الإسلام شرع العتق و لم يشرع الرق، وضيق منافذ العبودية والاسترقاق ووسع منافذ الحرية والانعتاق وجعل من العتق كفارة للذنوب والخطايا، وعملا صالحا يتقرب به العبد إلى ربه.
- **مورست** على المرأة المسترقة في العصر الأموي العبودية بتسميات متعددة الأمة، والجارية، والوليدة والوصيفة...الخ، هذه الأسماء وإن اختلفت في مدلولها اللغوي؛ فإنها جميعا تعبر عن المرأة المملوكة التي فقدت حريتها لسبب من الأسباب، وقد حصرها الإسلام في سبب واحد هو الحرب المشروعة.
- **انفرد** الإسلام عن غيره من الأديان والتشريعات والقوانين التي سبقته أو عاصرته باهتمامه بوضعية الإماء، والعمل على نقلهن من العبودية إلى الحرية وجعل من التسري بهن وسيلة للعتق، إكراما لهن ورحمة بهن، ووضع منظومة متكاملة من التشريعات المتعلقة بتحريرهن، وشرع أحكاما لعتقهن.
- **أعطى** الإسلام بعدا آخر لظاهرة التسري بالإماء واستيلادهن من خلال سنه للتشريعات الخاصة بذلك، حددت بموجبها شروط وكيفيات وطئ الإماء والزواج بهن، وبهذا أعاد الإسلام لهن جزء من إنسانيتهن بنقلهن من مجرد متاع يستعمله الرجل متى وكيف ما شاء إلى إنسان له حقوق يجب احترامها والوقوف عندها.
- **عاشت** الإماء في قلب المجتمع العربي الإسلامي خلال العصر الأموي أثرت فيه وتأثرت به، وتركت بصمات واضحة في مختلف مجالات الحياة خاصة الفنية منها والأدبية، وساهمت ولو بشكل جزئي وبسيط في تنمية الذوق العام لدى أفراد المجتمع ونقل الكثير منهم من حياة البداوة إلى التحضر والتمدن، بإدخالها لبعض التغيرات على الحياة الأسرية وفي مختلف جوانبها.
- **على** الرغم من التباين الواضح في المستوى الثقافي والحضاري بين الإماء والكثير من أفراد المجتمع العربي الإسلامي، واندهاش البعض منهم أمام حضارات الشعوب التي ينتمي إليها هؤلاء النساء، ورغبتهم الجامحة في الأخذ بأسباب التحضر والرقي، من خلال الاستفادة من موروث هذه الحضارات والذي ساهمت الإماء في نقل البعض منه، إلا أن هذا كله لم يؤثر على انتماءات أفراد المجتمع إلى الأمة العربية الإسلامية بما فيهم أبناء الإماء أنفسهم.

- **تمكن** أبناء الإماء من فرض وجودهم في المجتمع رغم نظرة البعض إليهم، ومحاولة التشكيك في انتمائهم العربي باعتبارهم ليسوا من العرب الصرحاء، وتفضيل أبناء الحرائر عليهم خاصة في موضوع المصاهرة والخلافة، وبينوا أن انتسابهم من جهة أمهاتهم إلى أصول غير عربية لم يغير في شيء من انتمائهم العربي الإسلامي، وساهموا كغيرهم من العرب والمسلمين في التأسيس للحضارة العربية الإسلامية، والتمكين للدين الإسلامي بمشاركتهم الفعالة في الفتوحات التي تمت في هذا العصر، أو من خلال تقلد البعض منهم لمناصب هامة في الدولة ونبوغ البعض الآخر في شتى مجالات العلم والمعرفة.

وأخيرا وليس آخرا، هل يمكن القول أن زمن الإماء والجواري قد ولّى وإلى غير رجعة، وأي حديث عنهن اليوم هو بمثابة اجترار للماضي؟ لأن حق المرأة في الحياة الحرة والكريمة كفلته القوانين والتشريعات والمواثيق، وصانته المنظمات والهيئات الدولية والإقليمية والعالمية **!!!**

أم أن استعباد المرأة اخذ شكلا آخرا؛ ربما يكون أبشع وأفظع وأحقر وأذل من عبودية القرون الوسطى والقرون التي سبقتها؟

الاقتراحات والتوصيات:

مازالت الحياة الاجتماعية في الدولة الأموية في حاجة إلى دراسات وأبحاث جادة وعميقة، وبعث الروح فيها من جديد لتكون أنموذج يقتدى به حاضرا ومستقبلا خاصة وأن العصر الأموي قريب العهد من العهدين النبوي والراشد بحيث الرقابة على الأيمان ما تزال قوية، كما أنه يظم الكثير من صحابة رسول الله ﷺوأبنائهم وخيرة التابعين من رجال ونساء الطبقة الأولى، فهو بحق أنموذج للوسطية والاعتدال والتسامح والتعاون والتضامن بين مختلف الطبقات الاجتماعية على اختلاف مراكزهم وألوانهم وانتماءاتهم وميولاتهم ومعتقداتهم.

لذا يوصى بدراسة جادة وهادفة لتاريخ الدولة الأموية بعيدة عن كل المؤثرات والميولات والانتماءات والأهواء، قائمة على ميزان الصدق والإخلاص والأمانة العلمية، ونقل الحقائق كما هي لا كما أريد لها أن تكون، لإنصاف هذه الحقبة التاريخية من تاريخ الأمة العربية الإسلامية، وإبراز دور بني أمية في المحافظة على ثوابت الأمة من لغة ودين وانتماء عربي وإسلامي، وتبيان كيف تمكن الأمويون من التكيف مع المتغيرات الجديدة في المجتمع الإسلامي والمحافظة على كيان الأمة العربية الإسلامية ومقوماتها.

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (01): جدول بأسماء خلفاء بني أمية، يبرز تنفذ أبناء الإماء في السلطة السياسية(الخلافة) خـــلال العقـــدين الآخرين من عمر الدولة الأموية.

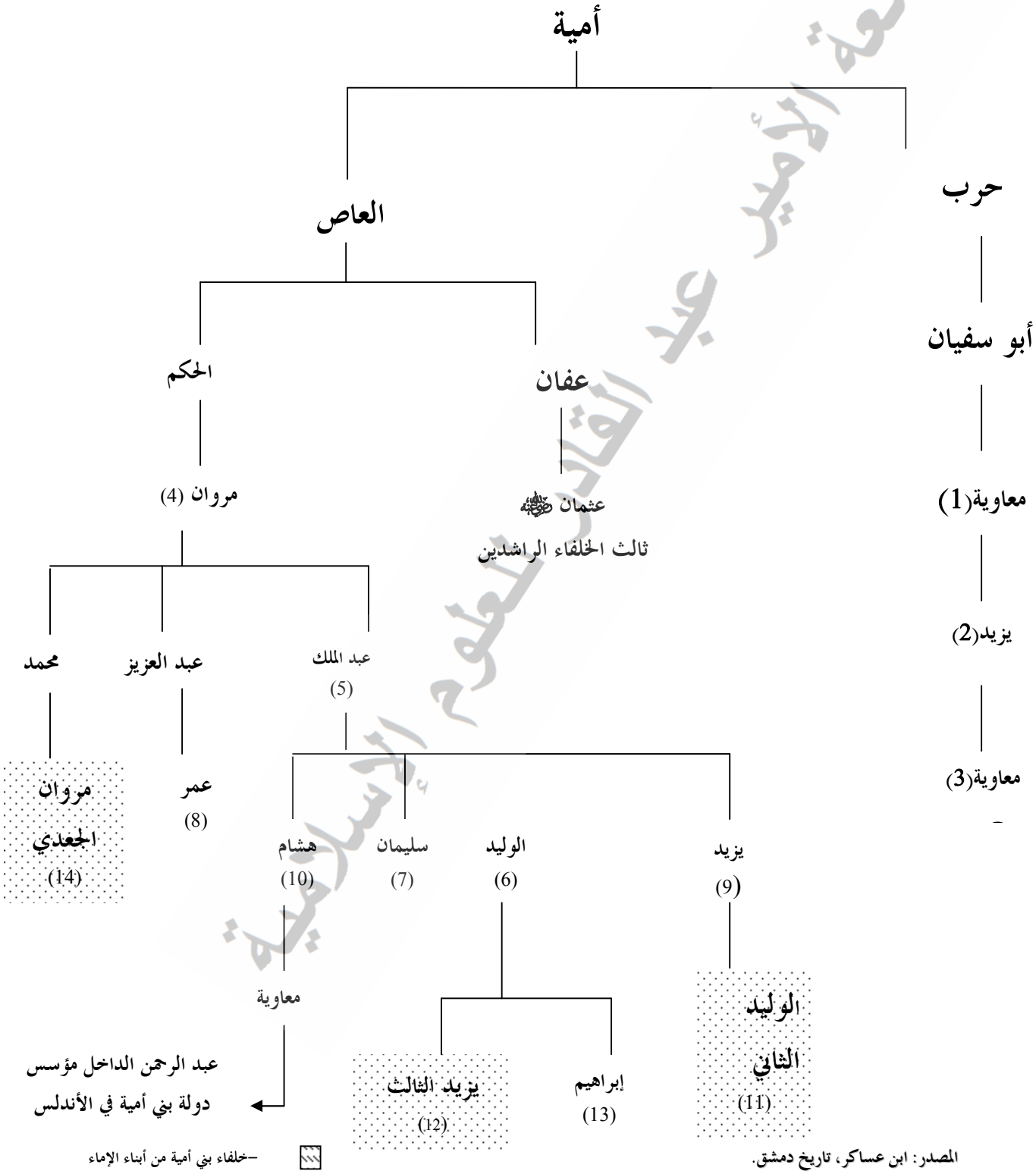

المصدر: ابن عساكر، تاريخ دمشق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (02): جدول بأسماء مشاهير أبناء الإماء في العصر الأموي، وقد أوردناه لإبراز مدى تنفذ أبناء الإمـــاء في مختلف اجهزة الدولة بما فيها منصب الخلافة، ونبوغ البعض منهم في مختلف العلوم.

الاسم	مجال الشهرة	الوفاة
مسلمة بن عبد الملك بن مروان	تولى قيادة الجيوش وفتح مناطق عديدة خاصة في الجهة الغربية-الروم-كما تولى الإمارة، اشتهر بالشجاعة والكفاءة، لم يعط ولاية العهد لكونه ابن أمة[1]	121هـ/738م
مروان بن محمد	آخر خلفاء الدولة الأموية تولى الخلافة رغم أنه ابن **أمة**، عرف بالشجاعة والدهاء والرزانة، تولى مناصب عديدة في الدولة منها الإمارة وقيادة الجيوش قبل أن يتقلد منصب الخلافة[2]	132هـ/749م
سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه	يعتبر من سادات التابعيين عرف بالعلم، والزهد، والورع،والتقوى، قال عنه الإمام مالك: لم يكن في زمن سالم بن عبد الله، أشبه ممن مضى من الصالحين في الزهد والفضل والعيش منه.[3]	106هـ/725م
القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه	عالما وفقيها وراوية للحديث، تربى على يد عمته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، علمته اللغة العربية السليمة والفقه والحديث وأمور الإسلام من قرآن وعقيدة وشريعة،كانت له منزلة كبيرة عند الشيعة.[4]	اختلف في تاريخ وفاته والراجح أنه توفي سنة 108هـ/727م
عبيد الله بن الحر الجعفي	شاعر وفارس عرف بالشجاعة والإقدام، قيل أنه من الشعراء الفتاك، ناصر معاوية بن أبي سفيان، ثم ثار ضد بني أمية، قال عنه ابن حمدون: عبيد الله شاعر فاتك كان لا يعط الأمراء طاعة له مواقع عظيمة وهائلة.[5]	68هـ/627م
محمد بن الحنفية	كان عالما ورعا ثقة له عدة أحاديث اشتهر بالفروسية والشجاعة شارك مع أبيه – علي بن أبي طالب كرم الله وجهه-في موقعة الجمل وصفين.[6]	81هـ/640م

1-ابن عساكر، تاريخ دمشق، 27/58؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 241/5.

2-الذهبي، سيرأعلام النبلاء،76/6، ابن عساكر، تاريخ دمشق،319/57،

3- ابن خلكان، وفيات الأعيان، 349/2، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 195/5.

4- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 194/5؛ وفيات الأعيان، 59/4.

5- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 417/37؛ الطبري، تاريخ الملوك والأمم، 168/7؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 24/3.

6- البلاذري، أنساب الأشراف، 214/5؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، 91/5.

الملحق رقم (03): جدول بأسماء أشهر الإماء اللواتي ذاع صيتهن خلال العصر الأموي وتركوا بصمات واضحة في مجال الفنون والآداب، خاصة الشعر والغناء.

اسم الأمة	سبب الشهرة
حبابة جارية يزيد بن عبد الملك	اشتهرت بالغناء وقول الشعر، نالت مكانة خاصة عند الخليفة يزيد بن عبد الملك، حتى أنه لما ماتت بسبب إشراقها بحبة رمان، حزن عليها حزنا شديدا، وقيل أنه مات بعد مرور أربعين يوما عن وفاتها.[1]
سلامة القس	جارية من مولدات المدينة، نبغت في الشعر والغناء، عرفت باسم سلامة القس لأن عبد الرحمان بن عمار العروف بالقس لزهده وورعه، وهو من قراء مكة تعلق بها وتعلقت به، لكنه قاوم حبه و تركها وعاد إلى زهده.[2]
الذلفاء	جارية كانت لسعيد بن عبد الملك اشتهرت بجمالها وحسن غنائها، نالت حظوة كبيرة عند الخليفة سليمان بن عبد الملك، وفيها قال الشاعر: إنما الذلفاء ياقوتة*** خرجت من كيس دهقان[3]
هوى	جارية اهداها معاوية بن ابي سفيان للحسين بن علي، اشتهرت بعلمها وأدبها وحسن أخلاقها، وحسن قراءتها للقرآن الكريم.[4]
عزة الميلاء	اشتهرت بإجادتها للغناء والطرب، وحسن إسلامها، أقامت مدرسة للغناء والطرب في المدينة، تعلم فيها الجواري الغناء تخرج على يدها الكثير من المغنين والمغنيات.[5]
جميلة	من أشهر المغنيات في المدينة، كان منزلها عبارة عن نادي يقصده الشعراء والمغنون،قيل انها كانت حجة في الغناء واليها يعود الفضل في ادخال العديد من الألحان الفارسية إلى العربية.[6]

[1]– ابن عساكر، تاريخ دمشق، 88/69؛ الأصفهاني، الأغاني، 122/15.

[2]– ابن عساكر، تاريخ دمشق، 231/69؛ الأصفهاني، الأغاني، 34/8.

[3]– الأصفهاني، الأغاني، 283/1؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 413/2.

[4] – ابن عساكر، تاريخ دمشق، 196/70.

[5]– الأصفهاني، الأغاني، 49/17.

[6]– نفسه، 195/8.

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية

- فهرس الأحاديث النبوية

- فهرس الأشعار

- فهرس الأعلام

- فهرس القبائل والشعوب

- فهرس البلدان والأماكن

- فهرس المحتويات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة -2-		
﴿ذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾	190	24
سورة آل عمران -3-		
﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾	92	45
﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾	134	38
﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾	134	38
﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	148	38
سورة النساء -4-		
﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ﴾	03	14
﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾	25	15
﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	25	48
﴿يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾	28	65

﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾	32	37
﴿وَالْمُسْتَمْلِحِينَ وَالْمُسْتَمْلِحَاتِ وَالْمُسْتَمْلِحِينَ وَالْمُسْتَمْلِحَاتِ وَالْمُسْتَمْلِحِينَ وَالْمُسْتَمْلِحَاتِ وَالْمُسْتَمْلِحِينَ وَالْمُسْتَمْلِحَاتِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾		
﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	76	24
﴿بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾	86	48
سورة الأنفال -8-		
﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	21	25
﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	193	24
سورة التوبة -9-		
﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾	12	25
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	60	28
سورة النور -24-		
﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	32	14

فهرس الأحاديث النبوية

نص الحديث	الصفحة
-أ-	
"إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعنوهم"	37
"إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين، أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي علاجه"	39
"أيما امرأة ولدت من سيدها فهي معتقة"	28
"أيما رجل كانت عنده جارية فعلّمها وأحسن تعليمها وأدّبها وأحسن تأديبها فأعتقها ثم تزوجها فله أجران"	41-15
-ل-	
"لا يقل أحكم أطعم ربك وضئ ربك أسقي ربك، وليقل سيدي مولاي، ولا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي"	15
-م-	
"من أشراط الساعة أن تلد الأمة ربها"	15
-و-	
"الولاء لمن اعتق"	47
"الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب"	47

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأشعار

البيت الشعري	الشاعر	الصفحة
- يَاصَحَـــــبِيَّ ألا لاحَيَّ باالوَادِي ∴ إلاَّ عَبيـــــــدُ وآمٍ بيْنَ أَزْوادِ	السليك بن السليكة	13
- إذَا لَمْ تَكُنْ في مَنْزِلِ المرْءِ حُرمـــــةٌ ∴ رأى خَلَلاً فيمَا تُدير الــوَلائِدُ - فَلاَ يَتخـــــذُ منْهُنَّ حرٌّ فَعيـــــدة ∴ فَهُنَّ لَعَمْر الله بِئْسَ القَعَائِــدِ	مجهول الجاحظ المحاسن والأضداد، 254	54
- إنَّ أوْلاَدَ السَّـــــــــــــرارِي ∴ كَثِـــــــرُوا يارَبِّ فيـــــنَا - ربِّ أدْخـــــــلِنِي بَلـــــــــدًا ∴ لا أَرى فـــــــيهِ هَجينَـــا	الرياشي	56
- لا تتْبِعَنِّ لــوْعة إثْرِي ولاَ هَلَـــــعَا ∴ ولا تُقاسنَ بَعْدِي اللَّهمَّ والجَـــــــزَعَا. - ما تصْنَعَنَ بعْينِ عنْكِ طَامِحَـــــــةً ∴ إلى سِواكِ وقلبٌ عنْكِ قـــــدْ نَزَغَـــا.	بشير البصري	58
- أرادَتْ عِرارًا بِالْهَـــوْنِ ومنْ يُـــردْ ∴ عِرارًا لعمْرِي بالهوَانِ فَقَدْ ظَلَـــمْ - فإنْ كُنْتِ منِّي أوْ تُريدينَ صُحْبَتِي ∴ فكوني لهُ كالسَّمْنِ رَبتْ لهُ الآدم.	عمر بن شأس	58
- كنْتُمْ زَعَمْتُمْـ أنّها ظَلَمَتْكـــــمْ ∴ كَذِبْتُم وبيْتُ الله بَلْ تَظْلِمُـــوهَا - فإنْ لَمْ تَعُـــدُّوا أمَّها منْ نسائِكمْ ∴ فـــإنَّ أَبَاهَا والدٌ لنْ يُشِنْـــــهَا	الفرزدق	59
- كُنَّـــا بخيْـــرٍ صَالِحًا ذَاتَ بيْنـــنَا ∴ قَديمًا فَأَمْسَتْ فَـــرَّقَتْ بيننَا هِنْـــــدُ - فإنْ تَكُ هِنْدٌ لم تلدْنِي فإنّنـــــي ∴ لبيْضَاءِ، يُنَمِّيهَا غَـــطارِفةُ نَجْـــــدُ.	عنبسة بن أبي سفيان	60
- ومُضْمِرِ الكَشْحِ يطْوِيهِ الضَّجيعِ بهِ ∴ طيِّ الحَمَائِلِ لا جافٍ ولا فَقَـــرُ - وذِي رَوادٍ فَلا يُلْـــفَ الإزارُ بِهَـــا ∴ يُلْوي ولوْ كانَ سبْعًا حينَ يُأتَزرُ	نصيب	64
- مَا ضَرَّهَا أنْ لَمْ يَلِدْهَا ابن عَاصِمِ ∴ وأنْ لَمْ يَلِدْهَا من زُرَارة معْبَـــدُ - ربيبةُ دايـــاتِ ثلاثِ ربِبْنهـــــا ∴ يُلْقِمْنها منْ كلِّ سُخنٍ ومبـــردِ - إذا انْتَهَتْ أطْعَمْنهَـــا وأسقيْنَاهَـــا ∴ وإنْ أخَذَتْها نَعْسةً لَمْ تَسْهَـــــدِ	الفرزدق	70
- فإنْ كَانَتْ أُمِي منْ نساءِ أفَـــاءَهَا ∴ جيَادُ القَنَا والمُرْهقَاتِ الصَّحَائِفِ - فتبًّا لِفضْلِ الحُـــــرِّ إنْ لَمْ أَنَـــلْ بِه ∴ كَرَائِم أولادِ النِّسَاءِ الصَـــرَائِحِ	عبيد بن الحر	83
- أهِيمُ بِدُعْدِ ما حيِيْتُ فـــــإنَّ مُتُ ∴ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي منْ يَهِيمُ بها بَعْدِي	الأحوص	93
- أهِيمُ بِدُعْدِ ما حيِيْتـــــــُ فإنْ مُتُ ∴ فلاً صَلُحَتْ للذِي خَلَتْ بَعْـــدِي	عبد الملك بن مروان	93

- ولقَدْ ذَكَرْتُكِ والرَّمَاحُ نواهِلٌ منِّي ∴ وبيضُ الهِنْـــد تَقْـطُرُ مِـنْ دَمِ - فودَدْتُ تَقْبيلَ السُّيُـوفِ لأنَّهَـا ∴ لمعتْ كَبَـــارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ	عنترة بن شداد	94
- ويَوْمَ دَخَلْتُ الخُدْرَ خُدْر عُنَيْـزَة ∴ فقالتْ لكَ الويْلاتُ فإنَّكَ مُرْجِلي - تقول وقدْ مالَ الغَبيطُ بنَا مَعًـا ∴ عَقَرْتَ بعيرِ يامْرأ القَيْسْ فانْـزِل - فَقُلْتُ لها سيرِي وارْخِي زِمَامَـهُ ∴ ولا تُبْعدِيني عنْ جنَـاكِ المُعَـلّ	امرئ القيس	94
- ما بالُ قَلْبِكَ لا يَزَالُ يَهِيمُـــهُ ∴ ذِكْرُ عَواقِب غيَبَهُنَّ سِـقَـامُ - إنَّ التي طَرَفَتْكَ بينَ رِكَـــابِ ∴ تَمْشِي بزَمْهَرِهَا وأنْتَ حَـرَامُ - لتصيدَ قَلْبَكَ أو جزاءَ مَـــوَدَّةٍ ∴ إنَّ الرَّقيقَ عَلَيْـكَ حَـــرَامُ - باتتْ تُعَلِّلُنَا ونَحْـــسِبُ إنَّنَـا ∴ في ذاكَ أيْقَـاظُ ونَحْنُ نِيَّـامُ - حتَّى إذا سَطَـــحع الصَّبَـاحُ ∴ فإذا وذلك بيْنَنا أَحْـــلامُ	عبد الرحمن بن أبي عمار	95
- ألاَ لا تَلُمْـهَ اليَـوْمَ أنْ يَتَبَـــلدَا ∴ فقَـدْ غُلِـبَ المحـــزونُ أنْ يتَـجَلدَ - بكيْتُ الصبَا جُهْدِي فمنْ شَاءَ لامِني ∴ ومَـن شَـاءَ أسَـى في البُكاءِ واسْـعَدَا - وإنِّي وإنّ فَقَدْتُ في طَلَبِ الغِـــنَى ∴ لا عِلْمَ أنّي لَـسْتُ في الحُـبِّ أوْحَـدَا - إذا أنْتَ لَمَ تَعْشَقْ ولَمْ تَدْرِ ما الهَوَى ∴ فَكُنْ حَجَرًا منْ يَابِسِ الصَّـخْرِ جُلْمُـدَا	الأحوص	95
- وحديثُ الـذَّهُ هو مِمَـا ∴ تشْتَهيهِ النُّفُوسَ يُـــوزنُ وزْنَا - منْطِقُ صائبٌ وتَلْحِنُ أحْيانًا ∴ وخيْرُ الكَـــلامِ ما كان لَحْنَا	مالك بن أسماء	99
- أكثرُ ما أسْمَعُ منها في السِّحْرِ ∴ تَذْكـــيرهَا للأُنْثَى وتَأْنيثُ المُذَكَّرِ	مجهول، الجاحظ البيان والتبيين، 53.	100

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

-أ-

- ابن الأثير: 27.
- الأحوص: 22، 82.
- الأزهري: 18.
- أبو الأسود الدؤلي: 102، 102.
- الأصفهاني: 77، 95، 101.
- أنا ماري شيمل: 41.

-ب-

- إبراهيم ب الوليد: 95.
- أبو بكر الصديق ﷺ: 32.
- أبو بكر بن حزم: 78.
- بلال بن جرير الخطفي: 92.

-ج-

- الجاحظ: 110.
- جرير: 62، 110.
- الجراح بن عبد الله الحكمي: 53.
- جميل بثينة: 105.
- جميلة: 66، 67، 98، 100.
- جواد علي: 19، 28، 81.
- جوستاف لوبون: 41.
- ابن الجوزي: 46.

-ح-

- حبابة: 65، 99، 100.
- الحجاج بن يوسف: 56، 92.
- الحسن البصري: 94.
- الحسين بن علي: 32، 47، 50، 54، 57.
- ابن حمدون: 94، 101.

-خ-

- ابن خلدون: 78، 81.

-ذ-

- الذلفاء: 65.

-ر-

- الرسول ﷺ: أغلب الصفحات في المذكرة.

-ز-

- زبيبة: 28.
- الزمخشري: 47، 56.
- زيد بن حارثة: 14.
- زيد بن علي بن الحسين: 14.

-ط-

- طاووس بن كيسان: 72، 83، 94.
- الطبري: 55.

-س-

- سايب خاثر: 98.
- سالم بن عبد الله بن عمر: 32، 97.
- سيبويه: 18.
- سعيد ابن إبراهيم الزهري: 81.
- سعيد بن جبير: 72، 94.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- سعيد بن المسيب: 94.
- سلامة القس: 67، 99، 100، 105.
- السنيك بن السيلكة: 13.
- سليمان بن يسار: 72.
- سلميان بن عبد الملك: 65، 99، 100، 101، 102.
- سميرة إينس: 102.
- سنوك: 42.
- سهيل بن عبد الرحمن بن عوف: 67.
- سوار القاضي: 94.

-ش-

- شاهبانو: 72.
- الشعبي: 67، 68.

-ص-

- صهيب الرومي: 97.

-ع-

- عامر بن سعيد بن العاص: 72.
- ابن عبد ربه: 15.
- عبد الله بن جعفر: 66، 67.
- عبد الرحمن بن أبي عمار: 67، 68.
- عبد الله بن الزبير: 32، 48.
- عبد الله بن عباس: 101.
- عبد الله بن عمر: 32، 44، 47.
- عبيد الله بن الجراح: 92، 94.
- عبد الملك بن مروان: 54، 68، 69، 72، 73، 92، 100، 103.
- عبد الملك بن عمر: 59.
- عتبة بن أبي سفيان: 63.
- عرار بن عمر: 61.
- العرجي: 99.
- عزة الميلاء: 47، 98.
- ابن عساكر: 40، 46، 56.
- عطاء بن رباح: 73، 94.
- علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: 32، 112.
- علي بن الحسين: 32، 38، 72.
- عمر بن أبي ربيعة: 48، 74، 98، 99، 106، 112.
- عمر بن الخطاب ﷺ: 14، 32.
- عمر بن عبد العزيز ﷺ: 31، 40، 43، 46، 84، 90، 101.
- عمر بن مصعب بن الزبير: 94.
- عمرو بن العاص: 56.
- عميرة بن زيد الفلسطيني: 31.

-ف-

- فاطمة بن عبد الملك بن مروان: 40.
- فاطمة الصغرى بنت الحسين: 90.
- الفرزدق: 62، 67.

-ق-

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القاسم بن محمد بن أبي بكر: 32.

قتيبة بن مسلم الباهلي: 35، 56، 92.

ابن قتيبة الدينوري: 71.

القرطبي: 14.

- القزويني: 32.
- قيس بن سعيد: 49.
- قيس بن الملوح: 105.

-م-

- ماري شيمل: 41.
- مالك بن أسماء: 109.
- محمد بن أبي بكر: 32.
- محمد بن الحنفية: 59.
- محمد بن المنكدر: 89.
- مروان بن محمد: 59، 89، 95، 100.
- مسلمة بن عبد الملك: 35، 59، 63، 89، 94.
- معاوية بن أبي سفيان: 32، 47، 56، 60، 64، 66، 72، 81، 100.
- مكحول: 72، 94.
- المهلهل: 104.
- موسى بن نصير: 27.
- ميسون: 60.
- ميمون بن مهران: 96.

-ن-

نشيط الفارسي: 98.

نصيب: 68، 69.

نوار: 62.

-هـ-

هشام بن عبد الملك: 100.

- هند: 63.
- هوى: 47.
- هوب هاي: 42.

-و-

- وضاح اليمن: 106.
- الوليد بن عبد الملك: 27، 35، 92.
- الوليد بن يزيد: 65.

-ي-

- يزدجرد الثالث: 72.
- يزيد بن معاوية: 60، 89.
- يزيد بن الوليد: 56، 59، 63، 65، 89.
- اليعقوبي: 35.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الشعوب والقبائل:

- الأحباش: 38.
- الأرمن: 35، 36، 38.
- الإسبان: 35، 36.
- الأشوريين: 102.
- البابيليين: 13، 102.
- البربر: 35، 36، 74.
- الترك: 35، 36، 38.
- الرومان: 22، 35، 73، 74، 76، 77، 78، 80، 85، 109.
- الزنوج: 35، 36.
- السولاف: 38.
- السومريين: 13.
- العرب: أغلب الصفحات.
- الفرس: 38، 73، 74، 78، 80، 85، 98، 109.
- القوط: 27.
- المصريين: 102.
- النصارى: 32.
- النوب: 37.
- الهنود: 28، 35، 36، 103.
- اليهود: 28، 30، 38.
- اليونان: 28.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الدول والأماكن:

- إسبانيا: 27.
- آسيا: 35.
- إفريقيا: 35.
- أوروبا: 35.
- بجاوة: 37.
- البرتغال: 27.
- البصرة: 101.
- بيلة: 32.
- الحجاز: 31.
- خرسان: 56.
- خوارزم: 35.
- دمشق: 27، 31.
- السند:25.
- الشام: 27، 31.
- شبه جزيرة أيبيريا: 27.
- شبه الجزيرة العربية: 24.
- الصين: 25.
- العراق: 31.
- فرنسا: 25.
- الفسطاط: 101.
- الكوفة: 101.
- ألمانيا: 41، 42.
- المدينة: 47، 73، 101، 106.
- مصر: 31.
- المشرق العربي: 27.
- المغرب: 27.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثبت

المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا-المصادر:

-القرآن الكريم

أولا: المصادر الأولية

1-كتب التاريخ العام:

1-ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط الليثي، (ت240هـ/854م):

52/ **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: ضياء العمري، (ط.2، بيروت: دار القلم، 1397هـ).

2-الطبري، محمد بن جرير، (ت310هـ/922م):

-**تاريخ الأمم والملوك المسمى تاريخ الطبري**،د.ت، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ).

3-اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، (ت 284 هـ /897م):

- **تاريخ اليعقوبي**، تقديم: آل بحر العلوم محمد صادق، (د.ط، النجف: المكتبة الحيدرية، 1973).

-ثانيا: كتب الأدب:

4-الأحوص أبو محمد عبد الله بن عاصم، (ت105هـ/723م):

- **شعر الأحوص الأنصاري**، جمع وتحقيق: عادل سليمان جمال، ط.2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990).

5-الأصفهاني، علي بن الحسين أبي الفرج، (ت356هـ/ 976م):

- **الأغاني**، تحقيق واشراف: لجنة من الأدباء، (د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر،1983م

6-البيهقي، إبراهيم بن محمد، (ت 320هـ/932م):

-**المحاسن والمساوئ**،د.ت، (د. ط، بيروت: دار صادر، 1960م).

7-الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت255هـ/868م):

-رسائل الجاحظ، تحقيق، عبد السلام هارون، (ط.1، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، 1964م).

- **البيان والتبيين**، تحقيق: عطوي فوزي، (د. ط، بيروت: دار الفكر، 1968م

- **المحاسن والأضداد**، (ط.2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994م).

- **البخلاء**، تقديم: عباس عبد الستار، (د.ط، بيروت: دار مكتبة الهلال، 2009م).

8-جرير بن عطية الخطفي (ت114هـ/732م):

34/ **الديوان**، (د.ط، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1986).

9-ابن خردذابة، أبي القاسم عبد الله بن عبد الله، (ت280هـ/893م):

-**كتاب اللهو والملاهي، ملحق بكتاب الموسيقى العربية في عهد الماغول والتركمان**، تحقيق: عباس الغزاوي، (ط.1، بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة،1951م).

10-السري، بن احمد بن السري الكندي الرفاء، (ت362 هـ /980م):

- **المحب والمحبوب المشموم والمشروب**، تحقيق: مصباح غلاونجي، (د. ط، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية،1986م).

11-الصنعاني، أبي بكر عبد الرزاق بن همام،(ت 211هـ/827م):

-**المصنف**، تحقيق: الأعظمي حبيب الرحمان،(د.ط، بيروت: المكتب الإسلامي،1403م).

-**المعارف**، تحقيق: ثروة عكاشة، (ط.4، القاهرة: دار المعارف، 1119هـ).

-**الشعر والشعراء**، (ط.2، القاهرة: دار الحديث، 1423هـ).

- **أدب الكاتب**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (ط.4، القاهرة: المكتبة التجارية، 1963م).

12-القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون، (ت356هـ/967م):

-**الأمالي**، تحقيق: الأصمعي محمد عبد الجواد، (ط.2، بالقاهرة: دار الكتب المصرية، 1926م)

13-ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت 276هـ/889م):

عيو-ن الأخبار، تصنيف: ناجي عبد الجبار، (د. ط، بغداد: دار الحكمة، 2000م).

14-القرشي، أو زيد محمدبن أبي خطاب،(ت170 هـ /786م):

-**جمهرة القرشي**، (مكتبة الشاملة الإلكترونية)

15-المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (285هـ/898م):

-**الكامل في اللغة والأدب**، تعليق، محمد أبو الفضل، (ط.3، القاهرة، دار الفكر العربي، 1987م.

16-الوشاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق، (ت325 هـ /937م):

-**الموشى أو الظرف والظرفاء**، (د. ط بيروت: دار الكتب العلمية، 1965م).

ثالثا: كتب التراجم والأعلام والطبقات:

17-ابن حبيب، أبو جعفر محمد، (ت245هـ/860م):

- **المحبر**، تحقيق: ايلزة ليختن شتيتر، (د.ط، بيروت:دار الافاق الجديد،د.ت).

18-ابن حبان، محمد بن أحمد بن حيان بن معاذ التميمي، (ت354هـ/966م):

- **الثقات**، تحقيق: شرف الدين أحمد، (ط.1، بيروت:دار الفكر ،1975م).

19-ابن سعد، ابو عبد الله محمد بن سعيد بن منيع، (ت230 هـ /837م):

- **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م).

20-ابن عبدالحكم، أبي محمد عبد الله، (ت 214هـ/827م):

-**سيرة عمر بن عبد العزيز**، تحقيق: أحمد عبيد،(د.ط، بيروت: دار عالم النشر، 1984م).

رابعا:كتب الجغرافيا والبلدان والقواميس والمعاجم:

21-الجوهري، إسماعيل بن محمد، (ت393هـ/1002م):

-**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور، (د. ط، بيروت: دار العلم للملايين، 1987)

22-ابن فارس، أبو الحسن أحمدبن فارس بن زكريا، (ت365هـ/981 م):

- **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق، عبد السلام هارون، (ط. 1، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1366هـ)

خامسا: **كتب الأنساب:**

23- ابن بكار، الزبير الأسدي القريشي، (ت 256هـ/870م):

- **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، تحقيق: محمود محمد شاكر، (د. ط، القاهرة: مطبعة المدني، 1381هـ).

24-البلاذري، أبو الحسن محمد بن يحي، (279هـ/829م):

- **أنساب الأشراف**، تحقيق: محمد حميد الله، (ط.4، القاهرة: دار المعارف، 1959م).

25-الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت، (ت230 هـ / 851م):

- **نسب قريش**، تحقيق: ليفي بروف نسال، مراجعة أحمد ساكر وعادل الغضبان، (ط.3، القاهرة: دار المعارف، د.ت).

سادسا:كتب التفاسير والحديث والفقه والسياسة الشرعية:

26-البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت256هـ/869م):

- **صحيح البخاري**، تحقيق: الناصر محمد بن الناصر، (ط. 1، دمشق: طوق النجاة، 1422هـ).

27-ابن حنبل، احمد أبو عبد الله الشيباني، (ت 241هـ/855م):

-**مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (د.ط، القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت).

28-الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، (360هـ/918م):

-**مسند الشاميين**، تحقيق: السلفي حمدي بن عبد المجيد، (ط.1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984م).

28-النسائي، احمد بن شعيب بن عبد الله، (ت303 هـ /915م):

-**السنن الكبرى**، تحقيق: البنداري عبد الغفار سليمان، وكسروي حسن،(ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991 م).

29-ابن سلام، أبو عبيد القاسم الهروي، (ت224هـ/838م):

-**كتاب الأموال**، تحقيق: خليل محمد هراس، (بيروت: دار الفكر)، 1408م.

30-مالك بن أنس، بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، (ت179 هـ /795م):

-**المدونة الكبرى**، تحقيق: عميرات زكريا، (د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

- **الموطأ**، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، (د. ط، الجزائر، دار الكتاب الحديث، 2012).

المصادر الثانوية:

أولا: كتب التاريخ العام:

31-ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين على بن ابي الكرم، (ت630هـ/1232م):

- **الكامل في التاريخ**، تحقيق: أبي الفداء عبد الله، (ط.2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ).

32-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (808هـ/1405م):

- **المقدمة**، تحقيق: أحمد جاد، مراجع عبد الباري محمد الطاهر، (ط.1، القاهرة: دار الغد الجديد، 2008م).

33-الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد،(ت520هـ/1126م):

-**سراج الملوك**، (ط.1،: المطبعة الأزهرية المصرية، 1319هـ).

34-أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود، (ت 732هـ/1331م):

- **المختصر في تاريخ البشر**، د.ت، (د.ط، القاهرة: المطبعة الحسينية،1325هـ).

35-ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت774 هـ /1372م):

-**البداية والنهاية**، (ط.1، بيروت: مطبعة المعارف، 1974م).

36-المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت 346هـ/957م):

-**مروج الذهب ومعادن الجوهر**، (ط.4، بيروت: دار الأندلس، 1981م).

ثانيا: كتب الأدب:

37-الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن احمد أبي الفتح، (ت850هـ/1446م):

-**المستطرف في كل فن مستظرف**، تحقيق: قميحة مفيد، (د. ط، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي، 1962م).

38-الآبي، أبو سعيد منصور بن الحسن الرازي، (ت421هـ/1038م):

- **نثرالدرر**، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية،2004م).

39-الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت502هـ/1110م):

- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، تحقيق: الطباع عمر، (ط.2، بيروت:دار القلم، 1999م).

40-الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (ت 370هـ/962م):

-**تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط.1، بيروت: دار احياء التراث العربي،2001م).

41-الأنطاكي، داود بن عمر عبد العزيز الضرير، (ت 1008 هـ /1610م):

- **تزين الأسواق بأخبار العشاق**، تحقيق: محمد التونجي، (ط.1، بيروت: عالم الكتب،1993م).

42-ابن بطلان، أبي الحسن المختار بن الحسن، (ت455هـ/1067م):

- **رسالة شافعة نافعة في شراء الرقيق وتقلب العبيد**، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط.1، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1954م).

43-البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت1093هـ/1681م):

- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**،تحقيق:طريفي محمد نبيل واليعقوب إميل بديع، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.

44-التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس، (ت414هـ/1023م):

- **البصائر والذخائر**، تحقيق: وداد القاضي، (ط.1، بيروت: دار صادر، 1996).

45-الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت430هـ/1038م):

- **التحفة البهية والطرفة الشهية**، (د.ط، القسطنطنية: مطبعة الجوائب،1302هـ).

- **اللطف واللطائف**، (مكتبة الشاملة الإلكترونية).

- **التمثيل والمحاضرة**، (مكتبة الشاملة الإلكترونية).

46-ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي، (ت597/1205م):

- **أخبار النساء**، تحقيق: نزار رضا، (د.ط، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1982م).

47-ابن حجة، الحموي تقي الدين ابي بكر علي بن عبد الله، (ت837ه/1433م):

-**ثمرات الأوراق**، تحقيق: عصام شعيتو، (ط.1، بيروت: دار مكتبة الهلال، 1987م).

48-ابن حمدون، محمد بن الحسين بن محمد بن علي، (ت562ه/1167م):

-**التذكرة الحمدونية**، تحقيق: احسان عباس وبكر عباس، (ط.1، بيروت: دار صادر، 1996م)

49-الدميري، كمال الدين بن موسى، (ت808 هـ /1407م):

-**حياة الحيوان الكبرى**، تهذيب وتصنيف:أسعد الفارس، (ط.1، دمشق: دار طلاس، د.ت).

50-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت538 هـ /924م):

- **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م).

- **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، تحقيق: عبد الأمير مهنا، (د.ط، بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1992).

51-ابن سيده، أبو الحسن بن إسماعيل النحوي (ت448هـ/1056م):

- **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (ط .1، بيروت: دار احياء التراث العربي، 1996م).

52-ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، (ت463هـ/1071م):

- **بهجة المجالس وأنس المجالس**، (مكتبة الشاملة الإلكترونية).

53-ابن عبد ربه، أبو عمر بن محمد، (ت327هـ/938م):

-**العقد الفريد**، شرح وتصحيح أحمد أمين، وآخرون، (ط.3، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965م).

54-العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت395هـ/1008م):

- **جمهرة الأمثال**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، (ط.2، بيروت: دار الفكر، 1988م).

55-العصامي، عبد الملك بن الحسين بن المكي،(ت1111هـ/1705م):

-**سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م).

56-القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، (ت453هـ/1061م):

- **زهر الآداب وثمر الألباب**، تحقيق: يوسف علي طويل، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م).

57-القلقشندي، أبو العباس علي بن أحمد الفزاري، (ت821 هـ /1325م):

-**صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين وآخرون، (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م).

58-القلعي، أبو عبد الله محمد بن الحسين (ت673هـ/ 1274م):

-**تهذيب الرياسة وترتيب السياسة**، تحقيق: إبراهيم يوسف ومصطفى عجو، (ط. 1، الأردن: مكتبة المنار، د. ت).

60-الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، (ت518هـ/1224م):

-**مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (د. ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت).

61-النويري، شهاب الدين محمد بن عبد الوهاب،(ت733 هـ /1332م):

-**نهاية الأرب في فنون الأدب**،تحقيق: قميحة محمد وآخرون، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004 م).

62-الوطواط، أبو إسحاق برهان الدين محمد بن ابراهيم، (ت718 هـ /1318م):

-**غرر الخصائص الواضحة**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م).

63-اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد أبو علي، (ت1102هـ/1691م):

-**المحاضرات في اللغة والأدب**، تحقيق: محمد حجي وأحمد الشرقاوي اقبال، (ط.1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982م).

ثالثا: كتب التراجم والأعلام والطبقات:

64-ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين على بن ابي الكرم، (ت630هـ/1232م):

-**أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م).

65-الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد، (ت430هـ/1038م):

-**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، د.ت،(د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، 1409هـ).

66-ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي، (ت597/1205م):

- **صفوة الصفوة**، تحقيق: أحمد بن علي، (د. ط، القاهرة: دار الحديث، 2000م).

67- ابن حجر،شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني،(ت852هـ/1260م):

- **الإصابة في تميز الصحابة**، تحقيق:البجاوي محمد علي، (ط.1، بيروت: دار الجيل،1412هـ.

- **تهذيب التهذيب**، تحقيق: بشار عواد، (ط.1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1980م).

68-ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد، (ت681 هـ /1282م):

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: عباس إحسان، (ط.1، بيروت: دار صابر، 1900م).

69-الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين، (ت748هـ/1347م):

- **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (د.ط، القاهرة: دار المعارف، 1956م).

70-الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، (ت1396 هـ /1999م):

- الأعلام، دت، (ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 2002م).

71-ابن عساكر أبو القاسم بن الحسين، (571هـ/1179م):

-**تاريخ دمشق**، تحقيق: العموري عمرو بن غرامة، (ط.3، د. م: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1991م).

72-ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، (ت463هـ/1071م):

- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: البخاري علي محمد، (ط.1 بيروت: دار الجيل، 1992م).

73-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمانابي بكر، (ت911هـ/1505م):

- **تاريخ الخلفاء**، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، (د. ط، القاهرة، دار السعادة، 1952م)

74--الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت746هـ/1362م)

– **الوافي بالوفيات**، تحقيق: الأرناؤوط أحمد، وتركي مصطفى، (د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000م) .

75 –ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد، (ت660هـ/1260م):

- **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار، (د.ط، بيروت: دار الفكر، 1989م).

76–العكري، عبد الحي بن أحمد بن محمد، (ت1032هـ/1662م):

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبد القادرالأرنؤوطي، ومحمد الأرنؤوطي، (د.ط، دمشق: دار ابن كثير، 1406هـ

77–القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646 هـ /1259م):

-**أخبار العلماء بأخبار الحكماء**، د. ت، (ط.1، مصر: مطبعة السادة، 1326هـ).

78–المحب الطبري، أبو جعفر أحمد بن عبد الله الطبري، (ت694 هـ /1294م):

- **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، تحقيق: عيسى بن عبد الله بن محمد بن مانع الحميري،(ط.1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996م).

79–ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت711هـ/1311م):

-**طبقات الفقهاء**، تحقيق، إحسان عباس، (ط.1، بيروت: دار الرائد العربي، 1970م).

-**مختصر تاريخ دمشق**، تحقيق: روحية النحاس، وآخران، (ط.1، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، 1984م).

80–المزي، أبو الحجاج يوسف بن الزكي بن عبد الرحمان، (ت742 هـ /1342م):

- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد، (ط.1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1980م).

81–وكيع، أبو بكر محمد بن خلف بن حيان الضبي، (ت306هـ/918م):

- **اخبارالقضاة**، تحقيق: المراغي عبد العزيز مصطفى، (ط.1، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1947م)

82–النووي، أبو زكريا يحي بن شرف بن مري بن حسن الشافعي، (ت 676 هـ /1289م):

- **تهذيب الأسماء واللغات**، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

رابعا:كتب الأنساب:

83–ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت456هـ/1064م):

-**جمهرة أنساب العرب**، (ط.3، بيروت: دار الكتب العلمية،2003م).

84-السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، (ت230هـ/851م):

- **الأنساب**، تحقيق: المعلمي عبد الرحمان بن يحي وآخرون (ط.1، الهند: دائرة المعارف العثمانية، 1982م).

85-الشيباني، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، (ت630هـ/1232م):

- **اللباب في تهذيب الأنساب**، د.ت، (د. ط، بيروت: دار صادر، 1980).

خامسا:**كتب التفسير والحديث والفقه والسياسة الشرعية**:

86-البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (ت510هـ/1128م):

-**تفسيرالبغوي-معالم التنزيل**-، تحقيق: النمر محمد عبد الله، وأخران، (ط .4، دار طيبة للنشر والتوزيع؛1997م).

87-البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، (ت685هـ/1285م):

- **أنوار التنزيل واسرارالتأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمان المرعشلي، (ط.1، بيروت: دار احياء التراث،1418هـ).

88-البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، (ت458هـ/1066م):

- **سنن البيهقي الكبرى**، تحقيق: عطا محمد عبد القادر، (د. ط، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز،1994م).

89-ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد، (ت727هـ/1296م):

- **مجموع الفتاوى**، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، (ط.3، د. م، دار الوفاء، 2005م).

90-الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف، (ت875هـ/1471م):

- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، (ط.1، بيروت: دار احياء التراث،1997).

91-الخرشي محمد بن عبد الله أبو عبد الله المالكي، (ت1101هـ/1690م):

- **شرح مختصر خليل**، (د. ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت).

92-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت538 هـ /924م):

- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيف: المهدي عبد الرزاق، (ط.3، بيروت: دار الكتاب العربي،1407هـ).

93-ابن حيان، الأندلسي محمد بن يوسف، (745هـ/1244م):

-**تفسير البحر المحيط**، تحقيق، الشيخ عبد الموجود عادل أحمد، (ط.1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001).

94-السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهيل، (483 هـ /863م):

-**شرح السير الكبير**، تحقيق: الشافعي محمد حسن، (ط.1، بيروت:دار الكتب العلمية، 1997م).

95-السمعاني،أبو المظفر منصوربنمحمدبنعبدالجبار،(ت 489هـ/1097م):

- **تفسير السمعاني**، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم بن عباس، (د.ط، الرياض: دار الوطن،1997م).

-**جامع البيان لأحكام القرآن**، تحقيق: شاكر أحمد محمد، (ط.1، القاهرة: مؤسسة الرسالة، 2000م).

96-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمانابي بكر، (ت911هـ/1505م):

-**جامع الأحاديث**، (مكتبة الشاملة الإلكترونية).

-**الدر المنثور**، (د.ط، بيروت: دار الفكر، 1972).

97-ابن شيبة، أبو بكر عبد الله محمد (ت235هـ/843م):

- **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: عوامة محمد، (د. ط، د.ت، د. م).

98-الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، (ت 1393هـ/ 1996م):

-**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (د. ط، بيروت: دار الفكر، 1995م).

99-الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت 1250هـ/1834م):

-**نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**، تحقيق: محمد منير، (ط.3، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، د.ت).

100-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت671هـ/ 1262م):

- **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق، البخاري هشام سمير، (ط. 1، الرياض: دار عالم الكتب، 2003م).

101-القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، (ت595 هـ /1208مـ):

- **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، (د. ط، القاهرة: دار الحديث، 2004م).

102-القنوجي، أبو الطيب محمد بن الصديق، (1307 هـ /1910م):

- **فتح البيان في مقاصد القرآن**، تحقيق: الأنصاري عبد الله إبراهيم، (د.ط، صيدا: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1992م).

103-ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت774 هـ /1372م):

-**تفسير بن كثير**، سامي محمد سلامة، (ط.2، د. م، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م).

104- ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي، (ت 543هـ/1148م):

-**المحصول في أصول الفقه**، تحقيق: البدري حسين علي، (ط.1، الأردن: دار البيارق، 1999م

105-الغزالي أبو حامد محمد بن محمد،(505 هـ /1111م):

- **إحياء علوم الدين**، (ط.2، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، 1966م).

106-الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، (ت1270هـ/1653م):

- **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية،1415هـ).

107-الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد، (ت 450 هـ /1058م):

-**الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، (د. ط، القاهرة: دار الحديث د.ت).

- **النكت والعيون-تفسير الماوردي**-تحقيق: السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم، (د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت).

108-المناوي، محمد عبد الرؤف بن تاج العارفين، (ت1031 هـ /1634م):

-**فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**، تعليق: أحمد عبد السلام، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م).

109-النووي، أبو زكريا يحي بن شرف بن مري بن حسن الشافعي، (ت 676 هـ /1289م):

- **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، د.ت، (ط.2، بيروت: دار إحياء التراث العربي،1392هـ).

110-ميارة،أبي عبد الله محمد بن احمدبن محمد المالكي،(ت1072 هـ /1675م)،

-**شرح ميارة**، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمان، (د.ط، بيروت:دار الكتب العلمية، 2000م).

سادسا: كتب الجغرافيا والقواميس والمعاجم:

111-البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، (ت487هـ/1095م):

-**معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقا (ط. 3، بيروت: دار عالم الكتب، د.ت

112-الزبيدي محمد مرتضي (ت1205هـ/1790م):

- تاج العروس، (د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1966).

113- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت626هـ/1228م):

-**معجم البلدان**، د.ت، (ط .2، بيروت: دار صادر، 1995م).

114-الجرجاني، علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني، (ت816هـ/1413م):

- **التعريفات**، تحقيق: الأبياري إبراهيم، (ط.1،بيروت: دار الكتاب العربي،1405هـ).

115-العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت395هـ/1008م):

- **التلخيص في معرفة أسماء الأشياء**، تحقيق: عزة حسن، (ط.2، دمشق: دار طلاس، للترجمة والنشر، 1956م).

116-الفيروز أبادي، مجد الدي ن محمد، (ت810هـ/1414م):

- **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، (ط.8، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م).

117-القزويني، أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود، (ت682هـ/1283م):

- **آثار البلاد وأخبار العباد**، د.ت، (د. ط، بيروت: دار صادر، د.ت).

118-المقدسي، عبد الله بن بري بن عبد الجبار، (ت582 هـ /1107م):

- **التعريب والمعرب**، تحقيق: السامرائي إبراهيم، (د. ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ذ.ت).

119-المناوي، محمد عبد الرؤف بن تاج العارفين، (ت1031 هـ /1634م):

- **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: الداية محمد رضوان، (ط.1، بيروت: دار الفكر المعاصر،1410 هـ).

120-ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت711هـ/1311م):

- **لسان العرب**، إعداد وتصنيف يوسف خياط، (ط. 1، بيروت: دار صادر، د.ت).

ثانيا: المراجع

1- المراجع العربية:

1-أحمد أمين:

-**ضحى الإسلام**، (ط.6، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1961م).

2- أحمد صفوت زكي:

جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، (د.ط، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت).

3-الأسد ناصر الدين:

- **القيان والغناء في العصر الجاهلي**، (ط.3، بيروت: دار الجيل للطباعة والنشر، 1988م).

4-الأنصاري فاضل:

- **العبودية؛ الرق والمرأة بين الإسلام الرسولي والإسلام التاريخي**، (ط.1، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع،2001م).

5-الترمانيني عبد السلام:

- **الرق ماضيه وحاضره**، (د. ط، الكويت: المجلسالوطني للثقافة والفنونوالآداب، 1978م).

6-جرجي زيدان:

- **تاريخ التمدن الإسلامي**، (د.ط القاهرة: كلمات عربية للطباعة والنشر، د.ت).

7-جواد علي:

- **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، (ط.4، بغداد: مطبعة المجتمع العلمي العراقي، 1972).

8-حريشة علي ومحمود سالم:

حاضر العالم الإسلامي، (ط. 1، القاهرة: الناشر الدحوي مطاب، د. ت).

9-الخياط عبد العزيز:

- **نظرية العرف**، (د.ط، عمان: مكتبة الأقصى،1977م).

10-الرزقي محمد الطاهر:

- **قراءات في مجتمع المدينة من خلال كتاب الموطأ**، (ط.1، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، 1998م).

11-سعيد عبد الفتاح عاشور:

- **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، (د.ط، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1976).

12-السيف عبد الله محمد:

- **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي**، (د.ط، الرياض، د.ر، 1983

13-الشامي قدورة فاطمة:

- **الرق والرقيق في صدر الإسلام والدولة الأموية**، (ط1، بيروت: دار النهضة العربية، 2009).

14-شحاتة محمد صقر:

- **معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين**، (د.ط، الإسكندرية: مكتبة الأصولي، د. ت).

15-صبحي الصالح:

- **النظم الإسلامية**، (د. ط، إيران: منشورات دار الشريف حسين، 1997م).

16-عبد الحميد محمد إبراهيم:

- **الرق بين الإسلام والأمم الأخرى**، (ط.1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1990م.

17-علي بن نايف الشحود:

المفصل في شرح الشروط العمرية، (المكتبة الإلكترونية الشاملة).

18-العلي صالح:

- **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة**، (ط.1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر،1953م).

19-قباني محمد:

الدولة الأموية، (ط1، الجزائر: دار الأصالة، 2010م)

20-الكتاني عبد الحي (ت 1382هـ/1962م):

- **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية**، (د. ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت).

21-مصطفى الجداوي:

- دراسات جديدة عن الرق في التاريخ والإسلام، (د. ط، القاهرة: د.د، 1963.

22-المقداد محمد:

-**الموالي ونظام الرق**، (ط.1، دمشق: دار الفكر، 1988).

2-المراجع المعربة:

1-أحمد شفيق:

- **الرق في الإسلام**، ترجمة أحمد زكي، (ط.1، بولاق مصر: المطبعة الأهلية الاميرية، 1892م).

2-وال جيمس ديو رانت:

- **قصة الحضارة**، ترجمة: محمد بدران،(د.ط، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1964م).

3-القواميس والموسوعات:

1-بن هادية علي، وآخرون:

- القاموس الجديد، (ط.1، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م).

2-محمد راوس قلعجي:

- **معجم لغة الفقهاء**، ط.2، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر، 1988م

3-الموسوعة الفقهية:

3/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1409هـ/1988).

4- البحوث والمقالات:

1-الحلمي رفيق حسين:

- **السامية ومعداتها في الفكر الإسرائيلي**= مجلة الوعي الإسلامي، (ع/532 الكويت: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سبتمبر2010م).

2-عبد العال محمد رضا:

- **الموالي والرقيق في نجد والحجاز في العصر الأموي** = مجلة المؤرخ المصري، (العدد 13، القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ يوليو 1994م).

فهرس المحتويات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

المحتوى **الصفحة**

مقدمة ..... أ

الفصل الأول: وضعية الإماء في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي

المبحث الأول: الإماء لغة واصطلاحا 13

1-تعريف الإماء لغة 13

2-تعريف الإماء اصطلاحا 13

المبحث الثاني: مقارنة بين الإماء والرق والعبودية والسبي 17

أ-التعريف بالرق والعبودية والسبي 17

توطئة 17

أولا: الرق 17

1-الرق لغة 17

2-الرق اصطلاحا 17

ثانيا: العبودية 18

1-لغة 18

2-اصطلاحا 19

ثالثا: تعريف السبي 19

1-لغة 19

2-اصطلاحا 20

ب-الفرق بين الإماء والرق والعبودية والسبي 20

المبحث الثالث:مصادر الإماء 23

توطئة 23

1-المصادر العسكرية (الفتوحات) 24

2-المصادر الاجتماعية 27

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3-المصادر الاقتصادية 30
المبحث الرابع: أعراق الإماء وجنسياتهن 34
المبحث الخامس: معاملة الإماء 38
المبحث السادس:حقوق الإماء و واجباتهن 42
أولا: الحقوق 42
1-الحق في التعليم 42
2-الحق في الزواج والطلاق 42
3-حق الرعاية والحماية 43
4-الاستفادة من مال الصدقات 44
5-الحق في العتق 45
6-المشاركة في الحياة العامة 46
ثانيا: الواجبات 47
1-الطاعة والإخلاص 47
2-خدمة السيد 47
3-المحافظة على أملاك السيد 47
4-التصرف بشكل لائق 48
5 –الولاء للسيد 48

□الفصل الثاني: أثر الإماء في الحياة الأسرية في العصر الأموي

المبحث الأول: مكانة الإماء في التراتبية الاجتماعية 52
المبحث الثاني: أثر الإماء في تركيبة الأسرة وعلاقة أفرادها 57
المبحث الثالث: أثر الإماء على الرجال 62
أ-تأثير الإماء على رجال الطبقة الخاصة 63
ب-تأثير الإماء على الأشراف 63
ج-تأثير الإماء على العامة 64
المبحث الرابع: تأثير الإماء في الزواج 66

المبحث الخامس:تأثير الإماء في شؤون المنزل 70
المبحث السادس: تأثير الإماء على المأكل والمشرب والملبس..... 74
1-المأكل والمشرب 74
2-اللباس 76

الفصل الثالث: أثر الإماء في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي

المبحث الأول: اختلاط النسب العربي وظهور المولدين 82
المبحث الثاني: دور الإماء في انتشار الغناء والطرب 89
المبحث الثالث: علاقة الإماء بظهور الخصاء 93
المبحث الرابع: دور الإماء في إحياء وانتشار شعر الغزل والتشبيب 95
المبحث الخامس: دور الإماء في انتشار وشيوع اللحن في اللغة..... 100
الخاتمة 106
الملاحق..... 109
الفهارس..... 112
1- فهرس الآيات القرآنية 113
2- فهرس الأحاديث النبوية 115
3- فهرس الأشعار..... 116
4- فهرس الأعلام 118
5- فهرس الشعوب والقبائل..... 121
6- فهرس الأماكن والمدن 122
ثبت المصادر والمراجع..... 124
فهرس المحتويات 141

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بحمد الله